مجلة بادر
المُحكّمة لعلم النفس الإسلامي
PADİR
İslami Psikoloji Hakemli Dergisi

ISLAMIC PSYCHOLOGY COLLEGE

مجلة بادر
المُحكّمة لعلم النفس الإسلامي

Issue 4 – September 2024

العدد الرابع – سبتمبر 2024

الأبحاث والدراسات:

1- **تقويم النّفس الإنسانية في المنظور الإسلامي.**

أ.م.د. شيماء ياسين طه الرفاعي

2- **أهم مقومات الاستقرار الأسري.**

د. أحمد الرزاقي.

3- **أهم مقومات الاستقرار الأسري.**

د. علال الحبشي.

4- **صعوبات التّعلم بين الظل والضوء.**

د. شيماء حسنين.

5- **المشكلات التعليمية والاجتماعية التي يواجهها متعلموا اللغة العربية الناطقون بغيرها في غانا مدينة (فري) أنموذجا.**

د. موسى عيسى زين الدين - مسعود إبراهيم انياس.

6- **مراجعة كتاب "مدخل إلى علم النفس الإسلامي" للدكتور محمد محمود مصطفى.**

د. سعيد الشوية.

7- **حوار: علم النفس الإسلامي وسؤال المفهوم والتاريخ مع الدكتور/ محمد محمود مصطفى.**

د. يوسف عكراش.

مجلة فصلية محكمة – تصدر عن كلية علم النفس الإسلامي

ISSN : 3023-6231

مجلة بادر

مجلة فصلية محكمة

تصدرعن كلية علم النفس الإسلامي - تركيا

تعنى بالبحث العلمي في مجال علم النفس الإسلامي

مجلــة بــادر

info@journal.padir-der.org

journal.padir-der.org

00905522880846

ISSN :3023-6231

مجلة بادر

المُحكّمة لعلم النفس الإسلامي

مجلة بادر

مجلة فصلية محكمة، تعنى بالبحث العلمي في مجال علم النفس الإسلامي

رئيس التحرير:

د. محمد محمود مصطفى- عميد كلية علم النفس الإسلامي – مصر.

مدير التحرير:

أ. يوسف عكراش- وزارة التربية الوطنية - المملكة المغربية

هيئة التحرير:

- د. ماجدة المولا / نائب مدير - كلية علم النفس الإسلامي – تركيا.
- د. علي الصهيل- كلية علم النفس الإسلامي – السعودية.
- د. إبراهيم بوزيداني -كلية الإلهيات – جامعة إسطنبول – الجزائر.
- د. شيماء حسنين- كلية علم النفس الإسلامي – مصر.
- د. أحمد عبد العال – كلية علم النفس الإسلامي – مصر.

- التدقيق اللغوي: أ. ناجية بشير
- السكرتيرة التنفيذية: أ. نور ترجمان اوغلو
- الإخـراج الفـني: م. عُباد بالي أوغلو

الهيئة الاستشارية

- بروفيسور عبد الله بن ناجي المخلافي
- بروف داتو د. أنصاري أحمد – رئيس جامعة آسيا – ماليزيا.
- بروف د. علي سعيد مبارك بن سنكر – مدير الجامعة الإسلامية – كينيا.
- بروف د. سليمان ديرين – جامعة مرمرة – كلية الإلهيات – تركيا.
- د. حميد أكتشاي – جامعة بندرما 17 أيلول – تركيا
- د. خالد مختار الزمزمي – جامعة هوبكنز – أمريكا
- د. حمدي عبيد – المجلس الاسلامي العالمي للدعوة والإغاثة – مصر.
- د. السر أحمد سليمان - جامعة حائل- السعودية
- د. محمد محمود مصطفى- كلية علم النفس

مجلة بادر

المُحكّمة لعلم النفس الإسلامي

ISSN :3023-6231

شروط النشر

- أنْ تندرج المادة المرسلة للتحكيم ضمن تخصص المجلة وما يتقاطع معه.
- أنْ يكون البحث أصيلًا، وليس مستلا من عمل سابق أو مبنيًا على أفكار مستهلكة ومبحوثة سابقًا.
- أنْ يلتزمَ الباحث بمواصفات البحث العلمي الأكاديمي، وأنْ يحترمَ قواعد، وضوابط التوثيق والكتابة الخاصة بالمجلة (ينظر موقع المجلة).
- أن يبرز الباحث في مقدمة البحث الإشكالية التي يروم الإجابة عنها مع توضيح وجهة نظره في مقاربتها.
- أنْ تكونَ لغة المادة المرسلة للتحكيم لغة علمية أكاديمية رصينة لا خطأ فيها.
- أنْ تُعتمدَ الدقة والأمانة في الاقتباس والأخذ بالنزاهة في توجيه معاني النصوص ودلالتها.
- يشترط في المادة ألا تكون قد نُشرت إلكترونيًا أو ورقيًا أو مقبولة للنشر أو قدمت إلى أي جهة أخرى.
- أن يتراوح عدد كلمات البحث بين 4000 و8000.
- تقبل المشاركات الفردية والثنائية والجماعية.
- تقبل المجلة قراءات ومراجعات الكتب، والترجمات، والحوارات بما هو متوافق مع ضوابط الكتابة في هذه أنواع.

مجلــة بــادر

info@journal.padir-der.org

journal.padir-der.org

ISSN :3023-6231

مجلة بادر
المُحكّمة لعلم النفس الإسلامي

الفهرس

افتتاحية العدد 6

بقلم رئيس التحرير أ.د. محمد محمود مصطفى.

الأبحاث والدراسات:

- **تقويم النّفس الإنسانية في المنظور الإسلامي 9**

أ.م.د. شيماء ياسين طه الرفاعي

- **أهم مقومات الاستقرار الأسري 49**

د. أحمد الرزاقي.

- **إشكالية التحرير من المعاصي – الجزء الثاني 71**

د. علال الحبشي.

- **صعوبات التّعلم بين الظل والضوء 92**

د. شيماء حسنين.

- **المشكلات التعليمية والاجتماعية التي يواجهها متعلموا اللغة العربية الناطقون بغيرها في غانا مدينة (فري) أنموذجا 124**

د. موسى عيسى زين الدين - مسعود إبراهيم انياس.

- **مراجعة كتاب "مدخل إلى علم النفس الإسلامي" للدكتور محمد محمود مصطفى 155**

د. سعيد الشوية.

- **حوار: علم النفس الإسلامي وسؤال المفهوم والتاريخ مع الدكتور/ محمد محمود مصطفى 166**

د. يوسف عكراش.

مجلة بادر
المُحكّمة لعلم النفس الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، وبعد؛ فإن المشاعر التي تنتابني عند كتابة هذه المقدمة لفي غاية الاختلاط، فحزن وسرور، وألم وراحة، فمن ناحية ما زال الجسد المسلم يتألم في غزة والسودان وسوريا ولبنان، وهو مما يقض المضاجع ويكدر الخواطر، ولولا الإيمان بالله تعالى، والمعرفة بسنن الله تعالى الكونية لطاشت العقول من هول ما نرى ونسمع، والله تعالى المسؤول أن يفرج الكرب ويزيل الهم وينصر الإسلام والمسلمين، ومن ناحية أخرى ها هو العدد الرابع من المجلة المحكمة (بادر) لسان حال كلية علم النفس الإسلامي يخرج للنور متزامنًا مع خبر لطالما انتظره المحبون والمهتمون بعلم النفس الإسلامي وهو الاعتماد الأكاديمي لكلية علم النفس الإسلامي من طرف الجامعة الإسلامية في دولة كينيا، وتوقيع مذكرة التفاهم المشتركة المتضمنة لهذا الاعتماد، والحمد لله على توفيقه، وهي خطوة عملاقة إلى الأمام.

وإن التعاون الأكاديمي والمشاركة العلمية والتبادل الثقافي من علامات النضج المعرفي، وهذا من قواعد ديننا المعروفة بضرورة التعاون على البر والتقوى، وأنا أسأل الله لكم جميعًا بالتوفيق والسداد .

وقد بدأ هذا العدد من المجلة ببحث الدكتور علال الحبشي، وهو يتناول الجانب الآخر من إشكالية النّزوع إلى المعصية، وهو كيف يكون كفاحها وعلاجها بمنهج الشريعة؛ من خلال ما ينشئه الإيمان في وعي الإنسان وإدراكه، فإن كل علاج لا يأخذ هذا البعد الداخلي من الإنسان لهو علاج وهم، ثم يليه بُعْدُ الاستعاضة عنها بما يمكن إدراكه والتمتع به من النّعم المشروعة، ثم بُعْدُ العقوبات، ثم بُعْدُ تجفيف منابع الفساد وأسباب الفسوق، لتحرير الحلال الطيب والتمتع به على وجه الحرية المباحة، وهي في النهاية صورة من صور التعبد لمن ألقى السمع وهو شهيد.

وتناول البحث الثاني المشكلات التعليمية والاجتماعية التي يواجهها متعلمو اللغة العربية الناطقون بغيرها في غانا مدينة (فري) أنموذجا والذي قام به كل من الدكتور موسى عيسى زين الدين ، والدكتورمسعود

إبراهيم انياس وهدفت الدراسة إلى الوقوف على أهم المشكلات التعليمية والاجتماعية التي يواجهها متعلمو اللغة العربية في غانا- مدينة فري أنموذجا. والوصول إلى أهم الحلول المناسبة لهذه المشكلات. وقد استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لتحديد أهم المشكلات التعليميةوالاجتماعية التي يواجهونها ، وأظهرت الدراسة أن أهم المشكلات التعليمية والاجتماعية التي يواجهها متعلمو اللغة العربية في مدينة فري تكمن في: ضعف استخدام اللغة العربية كوسيلة للتواصل في البيت وفي المدرسة، وهذا يرجع إلى قلة تشجيع المعلمين للطلاب بالتحدث باللغة العربية، وكذلك قلة توفر العالمين باللغة العربية في مجتمعات الطلاب، وتقديم المجتمعات للغة الانجليزية على اللغة العربية في التقدير والاحترام والاهتمام.

تناول البحث الثالث أهم مقومات الاستقرار الأسري والذي قام به الباحث الدكتور أحمد الرزاقي ويهدف هذا المقال إلى بيان أهمية الأسرة المسلمة في استقرار المجتمع وتحقيق الحياة الطيبة للإنسان في الدنيا والآخرة، فجاء المقال في تمهيد وثلاثة مباحث فضلا عن مقدمة وخاتمة، بالمعتمد على المنهج التحليلي لمقاربة القضايا بموضوعية.

وحاور د.يوسف عكراش د. محمد محمود مصطفى عميد كلية علم النفس الإسلامي، وتناول الحوار مفهوم علم النفس الإسلامي، موضحًا أنه يعتمد على مصادر معرفية متعددة، أهمها الوحي، الذي يميز بينه وبين العلوم النفسية الغربية. يشير إلى أن علم النفس الإسلامي له جذور تاريخية تعود إلى القرون الأولى من الإسلام، حيث اهتم العلماء بقضايا النفس والأخلاق.

يتحدث عن التحديات التي تواجه قبول علم النفس الإسلامي في الأوساط الغربية، حيث يُعتبر الدين غالبًا غير ملائم للمناهج العلمية الحديثة. كما يسلط الضوء على أهمية الاستفادة من الإرث الإسلامي في تطوير هذا العلم، مشددًا على ضرورة إعادة صياغته ليتناسب مع العصر الحالي.

يؤكد على أهمية الربط بين التاريخ والمعاصرة في دراسة علم النفس الإسلامي، ويشجع الباحثين على استكشاف المحطات التاريخية للاستفادة من إسهامات العلماء السابقين.

وتناولت الدكتورة شيماء حسنين صعوبات التعلم بين الظل والضوء، حيث تعتبر صعوبات التعلم تحديًا تربويًا يؤثر على نسبة كبيرة من الأفراد في مختلف أنحاء العالم. هذه الصعوبات التي تعيق القدرة على تعلم مهارات أساسية مثل القراءة والكتابة والحساب، ليست ناجمة عن نقص في الذكاء، بل عن عوامل بيولوجية، ووراثية وبيئية معقدة. وعلى الرغم من أن صعوبات التعلم قد تصيب أي فرد بغض النظر عن

عمره أو خلفيته، إلا أنها غالبًا ما تظهر في الطفولة المبكرة وتستمر طوال الحياة إذا لم يتم التعامل معها بشكل مناسب. لذا فإن التشخيص المبكر لهذه الصعوبات يعد أمر غاية في الأهمية لتقديم الدعم اللازم للطفل، حيث أن التدريس التقليدي قد لا يكون كافيًا لتلبية احتياجاته الخاصة.

وقام الدكتور سعيد الشوية بمراجعة لكتاب (المدخل إلى علم النفس الإسلامي) لمؤلفه أ.د محمد محمود مصطفى ، وخلص إلى أن كتاب "المدخل إلى علم النفس الإسلامي" يعتبر إضافة نوعية في بناء هذا العلم، ومحاولة مؤسسة سعت إلى تأصيله انطلاقا من النصوص الشرعية، ووضع بعض أسسه انطلاقا من الممارسة الفعلية، وقد طاف فيه المؤلف بالقارئ حول جملة من موضوعات علم النفس، بدءا بالحديث عن النظرية المعرفية وتعريف علم النفس عموما وعلم النفس الإسلامي خاصة، ومرورا بالحديث عن نظرة الأديان إلى النفس البشرية وأهم أقسام علم النفس، وانتهاء بالحديث عن الشخصية وأهم نظريات دراستها والعوامل المؤثرة فيها، وبالحديث عن أهم الشبهات والاعتراضات التي توجه إلى فكرة علم النفس الإسلامي والرد عليها.

رئيس التحرير

أ.د. محمد محمود مصطفى

مجلة بادر
المُحكّمة لعلم النفس الإسلامي

تقويم النّفس الإنسانية في المنظور الإسلامي

أ.م.د. شيماء ياسين طه الرفاعي[1]
shaima.yaseen78@gmail.com

الملخص

لقد جاء إختيار بحثنا هذا الموسوم ب: (تقويم النّفس الإنسانية في المنظور الإسلامي) ليسلط الضوء على النّفس وأحوالها، فيقف على المحمودة منها وكيفية الوصول إليها، والثبات عليها، ويرصد المذمومة منها، وكيفية تقويمها، وأساليب الوقاية منها، وهذا كله بإطار إسلامي من نهج القرآن والسنة .. وأهمية الموضوع: تظهر من خلال الأثر البالغ في تقويم النّفوس على الفرد ذاته وعلى المجتمع من حوله، وللحد من أمراض النفوس التي تتآكل بسببها أسباب الراحة، وتقضي على العيش الآمن في المجتمع .. أما في منهج البحث فقد اعتمدت فيه على البحث والتقصي للنفس بموضوعية استقرائية قائمة على رصد الحالة والوقوف على أساليب علاجها وتطبيقات ذلك من النصوص الشرعية، مع الاستشهاد بما قاله العلماء في ذلك من المصادر المعتمدة من كتبهم ..وكان من أهم ما أسفر عنه البحث من نتائج هي :

1. إن لفظ (تقويم) أصله الإستقامة، ومعانيه متنوعة؛ وهي تناسب الموضوع؛ فهي إعتدال النفس، والمحافظة على اتزانها، وثقافها بتقويم اعوجاجها، وتوجيهها إلى جادة الصواب، وحملها على العدل، والإخذ بها إلى تمام أمرها، والسير بها على النظام، وثباتها على الصلاح والخير .
2. من أساليب التقويم للنّفس الإنسانية في الإسلام ما شرعها الله سبحانه لتكون في أركان الدين الخمسة روحاً وعملاً .
3. على السالك في طريق تقويم نفسه ضرورة الإلتزام بالاعتدال في ذلك؛ بما لا يؤدي بالنّفس إلى إرهاقها ولا يصل بها إلى السّامة والملل .
4. تقويم النفوس بشرع الله وقيم الإسلام؛ يمثل بنيان متين لقيام مجتمع إسلامي متماسك يهدف إلى نشر الأخلاق الفاضلة والقيم السامية.

الكلمات المفتاحية: تقويم، النفس، المحمودة، المذمومة

---

[1] الجامعة العراقية / كلية التربية للبنات بغداد - العراق.

Evaluating the human psyche in the Islamic perspective

A.M.D. Shaima Yassin Taha Al-Rifai[2]
shaima.yaseen78@gmail.com

Abstract

The choice of our research entitled: (Evaluating the human soul in the Islamic perspective) came to shed light on the soul and its conditions, so it identifies the praiseworthy parts and how to reach them and remain steadfast in them, and monitor the reprehensible ones, how to evaluate them, and methods of preventing them, and all of this within an Islamic framework of the approach. The Qur'an and the Sunnah... and the importance of the topic: It appears through the profound impact it has on the individual himself in improving souls
And on the society around him, and to reduce the diseases of the souls that erode the means of comfort and eliminate safe living in society.. As for the research method, I relied on research and investigation of the soul with inductive objectivity based on monitoring the condition and finding out the methods of treating it and the applications of that from the legal texts. Citing what the scholars said about this from the approved sources in their books...and among the most important results that the research yielded were:

1. The word (correction) has its origin in uprightness, and its meanings are diverse. It fits the topic; It is moderating the soul, maintaining its balance, educating it by correcting its crookedness, directing it to the right path, making it follow justice, taking it to the completion of its purpose, following the system, and making it steadfast in righteousness and goodness.

Iraqi University/College of Education for Girls Baghdad - Iraq[2]

2. Among the methods of correcting the human soul in Islam are what God Almighty has prescribed so that it is part of the five pillars of the religion in spirit and action.
3. The one who is on the path to improving himself must adhere to moderation in this matter. In a way that does not lead to exhaustion and does not lead to toxicity and boredom.
4. Evaluating souls according to God's law and the values of Islam; It represents a solid foundation for the establishment of a cohesive Islamic society that aims to spread virtuous morals and lofty values.

Keywords: evaluation, self, praiseworthy, blameworthy

المقدمة

الحمد لله خالق الأنفس والعالم بما في سرها ونجواها، الملهم لفجورها وتقوّاها، والمتجاوز عما همّ فيها، والمحاسب على ما كان من فعلها وأقوالها، والمنعم على من زكّاها، والمعاقب لمن تركها لهواها، خالق الموت حق عليها ليجزي كل نفسٍ أجرها ويرد عليها ظلمها، والصلاة والسلام على أزكى وأطهر خلق الله سيدنا محمد الهادي لنفوس العباد بالقرآن والسنة، وعلى آله الطيبين الطاهرين سادات الدنيا وأهل الفردوس الأعلى المهديين بالحق المبين، وعلى أصحابه أعلام الأرض وأركان الحق ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .. أمّا بعد ..

فلمّا خلق الله الأرض وجعل الإنسان خليفة عليها ليعمرها ويعبد فيها سبحانه، أنزل الله شرعاً ومنهاج حياة حتى لا يترك الإنسان لنفسه وهواه، فكان حتماً على النفوس أن يستقيم عملها على وفق ما أراده الله من الإنسان في ذات نفسه ومع الآخرين في مجتمعه، لذلك جاء إختيار بحثنا هذا الموسوم بـ: (تقويم النّفس الإنسانية في المنظور الإسلامي) ليسلط الضوء على النّفس وأحوالها، فيقف على المحمودة منها وكيفية الوصول إليها، والثبات عليها، ويرصد المذمومة منها، وكيفية تقويمها، وأساليب الوقاية منها، وهذا كله بإطار إسلامي من نهج القرآن والسنة .. وأهمية الموضوع: تظهر من خلال الأثر البالغ في تقويم النّفوس على الفرد ذاته وعلى المجتمع من حوله، وللحد من أمراض النفوس التي تتآكل بسببها أسباب الراحة، وتقضي على العيش الآمن في المجتمع .. أما في منهج البحث فقد اعتمدت فيه على البحث والتقصي للنفس بموضوعية استقرائية قائمة على رصد الحالة والوقوف على أساليب علاجها وتطبيقات ذلك من النصوص الشرعية، مع الاستشهاد بما قاله العلماء في ذلك من المصادر المعتمدة من كتبهم .. أما خطة البحث: فقد اقتضت تقسيمه على مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة؛ كان المبحث الأول منها في تعريف التقويم، وبيان الألفاظ ذات الصلة بمعناه في النصوص الإسلامية، والمبحث الثاني في ماهية النّفس الأنسانية، والمبحث الثالث في مراتب النّفس الإنسانية وأحوالها في القرآن الكريم، والمبحث الرابع في أساليب تقويم النّفس الإنسانية في الإسلام ، وبيان أثر ذلك على الفرد والمجتمع ..

وبقي لزاماً عليَّ أن أقول أن هذا ما مكنني منه جهدي المتواضع فما أصبت فيه فمن الله وبركاته، وما أخطأت به فمن عند نفسي وأسال الله فيه العفو والمغفرة ..

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المبحث الأول

مفهوم التقويم، وبيان الألفاظ ذات الصلة بمعناه في النصوص الإسلامية

المطلب الأول

معنى التقويم في اللغة والاصطلاح

أولاً: معنى التقويم في اللغة،

التقويم في اللغة، مصدر مشتق من الفعل (قوّم)، وهو في اللغة على عدة معانٍ[3]؛ أذكر منها:

1- الإعتدال والاستواء: يقال، أقيم الشيء؛ أي: إعتدل واستوى[4] .

2- الإستقامة: يقال: أقمتُ الشيءَ وقوّمتهُ؛ أي: استقام[5] .

3- الإتزان: قال أبو إسحاق: إستقام الشعرُ وقوّمتهُ؛ أي: اتزن[6] .

4- الثقاف[7]: ومنه حديث السيدة عائشة تصف أباها، - رضي الله عنهما- : (وأقام أوّده بثقافه)[8]؛ أي: تَقويم المُعوَج[9].

---

[3] ينظر: لسان العرب: (224/12) .

[4] المصدر نفسه.

[5] تهذيب اللغة للأزهري: (291/3)

[6] لسان العرب: (224/12).

[7] الصحاح: (216/5) .

[8] في الحديث: (بلَغ عائشةَ أن ناسًا ينالون من أبي بكرٍ فبعَثَت إلى أَزْفَلةٍ منهم فسدَلَتْ أستارَها وعذَلَت وقرَّعَت وقالَت أبي وما أبيه أبي لا تُعطُوه الأيدي هيهاتَ واللهِ ذاك طَوْدٌ مَنيفٌ وظِلٌّ مَديدٌ أنجَح واللهِ إذ أكدَتيم وسبَق إذ وَنَيْتُم سبَق الجوادَ إذا استولى على الأمدِ فتى قريشٍ ناشئًا وكهفها كهلًا يفُكُّ عانيَها ويَرِيشُ مُمْلِقَها ويرأَبُ روعَها ويلُمُّ شعثَها حتَّى حلِيَتْه قلوبُها ثُمَّ استشرى في دينِه فما برحَتْ شكيمتُه في ذاتِ اللهِ حتَّى اتَّخَذ بفنائِه مسجدًا يُحْيِي فيه ما أمات المُبطِلونَ وكان رحِمه اللهُ غزيرَ الدَّمعةِ وَقِيدَ الجوانحِ شجيَّ النَّشيجِ فأصفَقَتْ إليه نِسوانُ مكَّةَ وولدانُها يسخَرونَ منه ويستهزِؤون به {اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} فأكبَرَت ذلك رجالاتُ قريشٍ فحنَت قِسِيَّها وفوَّقَت سهامَها وامتثَلوه غرضًا فما فلُّوا له صفاةً ولا قصَفوا له قناةً ومرَّ على سِيسائِه حتَّى إذا ضرَب الدِّينُ بجِرانِه وألقى بَرْكَه ورسَت أوتادُه ودخَل النَّاسُ فيه أفواجًا ومن كلِّ فرقةٍ أرسالًا وأشتاتًا اختار اللهُ لنبيِّه ما عندَه فلما قبَضه اللهُ عزَّ وجلَّ ضرَب الشَّيطانُ رِواقَه ونصَب حبائلَه ومدَّ طُنُبَه وأجلَب بخَيْلِه ورَجْلِه فاضطَرَب حبلُ الإسلامِ ومرَج عهدُه وماج أهلُه وعاد مَبْرِمُه أنكاثًا وبغى الغوائلُ وظنَّتِ الرِّجالُ أن قد أكثَبَتْ أطماعُهم ولاتَ حينَ يرجِعونَ وأنا والصِّدِّيقُ بينَ أظهرِهم فقام حاسرًا مشمِّرًا فرقع حاشيتَه وجمَع قرطته فردَّ ينشُرُ الإسلامَ على غِرَّةٍ ولمَّ شعثَه بطَيِّه وأقام أَوْدَه بثِقافِه فابدَعَر النِّفاقُ بوطأتِه وانتاش الدِّينُ بنعشِه فلمَّا راح الحقُّ على أهلِه وأقَر الرُّؤوسَ على كواهلِها وحقَن الدِّماءَ في أَهَبِها حضَرَت منيَّتُه فسدَّ ثُلْمَتَه بشقيقِه في المرحمةِ ونظيرِه في السِّيرةِ والمعدَلةِ ذاك ابنُ الخطَّابِ للهِ أمٌّ حمَلَت به ودرَّت عليه لقد أوحَدَت به ففتَح الكفرةِ وذَيْخَها وشرَّد الشركَ شذَرَ مذَرَ وبعَج الأرضَ فقاءَت أكلَها ولفِظَت خبيئَها ترأَمُه ويصدِفُ عنها وتصدَّى له ويأباها ثُمَّ ورِع فيها ثُمَّ تركَها كما صجِيها فأروني ماذا تقولونَ وأيُّ يومَيْ أبي تنقِمونَ أيومَ إقامتِه إذ عدَل فيكم أو يومَ ظعنِه إذ نظَر لكم أقولُ قولي هذا وأستغفِرُ اللهَ لي ولكم)، أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، باب خطبة عائشة – رضي الله عنها – الجزء 23، صفحة 184، رقم الحديث: 300 .

[9] النهاية في غريب الحديث: (80/1) .

5- السداد والصواب[10]: ومنه قوله تعالى: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ [11]؛ أي: أسد وأصوب[12] .

6- العدل: يقال: فلان أقوم كلاماً من فلان؛ أي: أعدل كلاماً[13]، ومنه قوله تعالى: وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ [14]؛ أي: النفقة بالعدل[15].

7- الحسن والتمام: يقال، رجل قويم وقوام؛ أي: حسن القامة وتمام الجسم[16].

8- النظام والعماد: يقال، هذا قِوام الأمر ومِلاكه؛ أي: نظامه وعماده[17].

9- الثبات[18]:ومنه قوله تعالى: مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ [19]؛ أي:ثابتة على الحق[20].

وقال الجوهري: (قومت الشيء فهو قويم، أي: مستقيم، وقولهم: ما أقومه شاذ، قال ابن بري: يعني كان قياسه أن يقال فيه ما أشد تقويمه; لأن تقويمه زائد على الثلاثة، وإنما جاز ذلك لقولهم: قويم، كما قالوا ما أشده وما أفقره، وهو من اشتد وافتقر؛ لقولهم شديد وفقير)[21].

ومما تقدم نجد أن لفظ (تقويم) أصله الإستقامة، ومعانيه متنوعة؛ وأنّ منها ما يناسب موضوعنا كالاعتدال، والاتزان، والثقاف، والصواب، والعدل، والتمام، والنظام، والثبات؛ من حيث:أنّ في التقويم-وعلى التوالي-: إعتدال النفس، والمحافظة على اتزانها، وثقافها بتقويم اعوجاجها، وتوجيهها إلى جادة الصواب، وحملها على العدل، والإخذ بها إلى تمام أمرها، والسير بها على النظام، وثباتها على الصلاح والخير .

ثانيا: معنى التقويم في الاصطلاح،

عُرّف التقويم بمعناه الاصطلاحي بحسب موضوعاته بتعريفات متنوعة؛ منها:

- تعريف التقويم بأنه:(تحديد الشيء وتعيينه وإعادة توجيهه من حال إلى حال)[22].

- وعرفوه أيضاً بأنه: (القدرة بالحكم على قيمة الشيء أو المادة لغرض معين)[23].

---

[10] لسان العرب: (12/ 224) .

[11] سورة الإسراء: آية 9 .

[12] تفسير القرطبي: (10/ 203) .

[13] تهذيب اللغة: (291/3) .

[14] سورة الفرقان: آية 67 .

[15] ينظر: تفسيرإبن كثير: (365/25) .

[16] تهذيب اللغة: (291/3) .

[17] لسان العرب: (12/ 224) .

[18] المصدر نفسه .

[19] سورة آل عمران: من آية 113 .

[20] تفسير الطبري: (64/3) .

[21] لسان العرب: (224/12) .

[22] مفسر المفاهيم الأساسية، لإدريس بو خصيمي، جامعة لافال، كندا، الطبعة الأولى لسنة 1996م ، ص 24.

[23] أساسيات القياس والتقويم في التربية، لماجد الخياط، عمان- الأردن، للعام 2009م، ص35 .

- وقالوا هو: (تقدير الشيء وإعطاؤه قيمة ما، والحكم عليه وإصلاح اعوجاجه)[24].

- وعرّف محمد رفعت التقويم: (عملية تقدير أو وزن أو حكم على قدر الأشياء وهي عملية ترتبط أساسا بموضوع القيم)[25].

- وقالوا أيضاً: (التقويم عملية التأكد من قيمة الشيء وتثمينه بعناية، بحيث يكون الحكم الصّادر على قيمة الأشياء أو الموضوعات أو المواقف أو السّلوكات أو الأشخاص مستنداً إلى معايير معينة)[26].

- وعرّف وهيب سمعان التقويم: (عملية تتضمن التغيرات السلوكية الفردية والجماعية والبحث في العلاقة بين هذه التغيرات وبين العوامل المؤثرة فيها)[27].

- وعرّفه أصحاب التقويم التربوي بأنه: (تقدير مدى صلاحية أو ملاءمة شيء في ضوء غرض ذات صلة، أي أن التقويم يستهدف اتخاذ قرار حول ملائمة أو صلاحية العمل التربوي لتحقيق غرض أو أغراض تربوية)[28].

- وعرّفه أهل القياس بأنه: (عملية منهجية منظمة مخططة تتضمن إصدار الأحكام على السلوك أو الفكر أو الوجدان أو الواقع المقيس المراد تقويمه ، وذلك بعد موازنة المواصفات، والحقائق لذلك السلوك أو الواقع التي تم التوصل إليها عن طريق القياس مع معيار جرى تحديده بدقة ووضوح)[29].

ومما تقدم نجد بأن تعريف التقويم المناسب لموضوعنا هو :(تقدير الشيء وإعطاؤه قيمة ما، والحكم عليه وإصلاح إعوجاجه)؛ لأنه يقف على حيثية الشيء ويقدره ويحكم عليه بما يصلحه ويعيده مساره الصحيح، وهو غاية أمرنا في مضمون بحثنا لتقويم النفس الإنسانية وفق مسار العقيدة الإسلامية .

المطلب الثاني

الألفاظ ذات الصلة بمعنى التقويم

للتقويم في اللغة ألفاظ توافق معناه، وفي العقيدة والشرع ما يتصل بمصطلح التقويم في القصد والغاية؛ منها:

---

[24] التقويم التربوي، مفهومه، واهميته، د. إسماعيل دحدي، د. مزياني الوناس، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة القاصدي-الجزائر، العدد31 لعام 2017م، ص116 .

[25] تقويم مشروعات تنمية المجتمع المحلى، نماذج وحالات تطبيقية، الثقافة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع , القاهرة , 1999م، ص 139،

[26] ينظر: تقويم المناهج التعليمية، لعاطف محمود، لسنة 2005م، ص4، ومقال مفهوم التقويم الإداري؛ على الرابط: https://www.startimes.com/f.aspx?t=18900090

[27] دراسات في المناهج، لوهيب سمعان، القاهرة-مصر، ص278 .

[28] التقويم التربوي للمنظومة التعليمية ، اتجاهات وتطلعات، لمحمد عبد السميع الجميل شعلة، دار الفكر العربي، عمان، الأردن، لسنة2005م، ص12 .

[29] التصميم التعليمي نظرية وممارسة، لمحمد محمود الحيلة، دار المسيرة، عمان- الأردن، لسنة1999م، ص : 402 .

1- **التهذيب؛**

وهو في اللغة: التقويم والإصلاح؛ يقال: هذّب الشيء؛ أي: أصلحه وأخلصه، وتهذيب الغلام؛ أي: تقويم فكره ونفسه وسلوكه [30].

وفي الاصطلاح: (تقويم السلوك الإنساني وإكساب الإنسان صفات خلقية حميدة هو الغرض الأسمى والهدف الأول من التربية الإسلامية، فالعناية بتهذيب الأخلاق وتحقيق أهدافها هي الغاية الأساسية على طريق سعادة الفرد والمجتمع)[31]، فلفظ التهذيب مرادف للتقويم في معناه واستعماله؛ ومنه قول إبن سينا في النفس والحكمة:

هذِّب النّفس بالعُلوم لتَرقَى	وذر الكلّ فهي للكل بيتُ
إنما النفسُ كالزجاجةِ والعلمِ	سراجٌ وحكمةُ اللهِ زيتُ
إذا أشرقتْ فإنَّكَ حيٌّ	وإذا أظلمتْ فإنك مَيتُ [32]

2- **التزكية؛** وهو **في اللغة**: من الفعل زكى يزكي تزكية؛ معناه التطهير والصلاح، ويقال: تزكى بالمال وزكاه؛ لأنه تطهير وصلاح[33] .

وفي الاصطلاح: (تطهير النفس من نزعات الشر والإثم، وتنمية فطرة الخير فيها؛ مما يؤدي إلى استقامتها، وبلوغها درجة الإحسان)[34]، أو (تخليص النفس الإنسانية من كل ما يتعلق بها من شوائب، ونواقص، وترسيخ الفضائل والقيم النبيلة والأخلاق السامية فيها، وتوجيهها إلى كل ما فيه الخير والصلاح)[35] ، فلفظ التزكية مرادف للتقويم في معناه واستعماله؛ منه قوله تعالى: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ [36]؛ أي: أصلحها وطهرها[37]، وقوله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا [38]؛ **أي:** يطهر ويبرئ من الذنوب ويصلح[39].

---

[30] لسان العرب: (15/ 4 5) .

[31] كتاب طرق تدريس التربية الإسلامية نماذج لإعداد دروسها، عبد الرشيد عبد العزيز سالم، ص201 .

[32] القصيدة المزدوجة، لإبن سينا: ص34 .

[33] ينظر: لسان العرب: (358/14) .

[34] منهج الإسلام في تزكية النفس، للدكتور أحمد كرزون: (5/1) .

[35] مفهوم التزكية وتطبيقاتها في التربية الإسلامية، لنايف الشريف: ص ٢١٩.

[36] سورة الشمس: أية 9 .

[37] تفسير الطبري: (457/24) .

[38] سورة النساء: آية 49

[39] تفسير البغوي: (644/1) .

3- **الترويض**؛ وهو في **اللغة**: التعليم والمداراة[40].

وفي الاصطلاح: (تهذيب الأخلاق النفسية وتمحيصها ..عن خلطات الطبع والنزعات)[41]، ويأتي الترويض من كثرة استعمال النفس؛ لتسلس، ثم استعمل لتهذيب الأخلاق النفسية، وهو ما يعرف عند أهل الحق، رياضة الأدب والطلب بالخروج عن طبع النفس، وصحة المراد به[42] .

فهو مرادف للتقويم في معناه واستعماله؛ ومنه قول الإمام علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه الشريف-: (وَإِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الاَكْبَرِ، وَتَثْبُتَ عَلَى جَوَانِبِ الْمَزْلَقِ)[43]؛ أي: إصلاح النفس وتطويعها بالتقوى[44].

4- الإصلاح؛ وهو في **اللغة**: مأخوذ من الفعل صلح يصلح، وهو نقيض الفساد، فيأتي بمعنى الاستقامة في النفس والأفعال، وأصلح الشيء؛ أقامه[45]،

والصلاح :الحصول على الحالة المستقيمة النافعة، والإصلاح جعل الشئ على تلك الحالة، يقال: رجل صالح في نفسه، ومصلح في أعماله[46]،

وفي الاصطلاح:

الإصلاح هو: (إقامة الشيء وتغيير ما به من اعوجاج، والإحسان فيه)[47]، ويكون ذلك بـ(إرجاع الشيء إلى حالة اعتداله بإزالة ما طرأ عليه من الفساد)[48]،والصلاح:(استقامة الحال وانعدالها، وهو مما يفعله العبد لنفسه،فالصلاح يخص الفرد في ذاته،أما الإصلاح فمتعدٍ، يصلح العبد نفسه، ثم يسعى في إصلاح غيره)[49]،فهو مرادف للتقويم في معناه واستعماله؛ ومنه قوله تعالى: إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ [50]، أي: أصلحكم بالنصيحة والموعظة

---

[40] لسان العرب: (162/7)، ومعجم مقاييس اللغة: (2/ 459) .

[41] التعريفات للجرجاني: ص151 .

[42] التوقيف على مهمات التعاريف: لمحمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى سنة 1410هـ، ج1، ص 380.

[43] نهج البلاغة، لصبحي الصالح، ص417 .

[44] ينظر: مجمع البحرين: ص212 .

[45] ينظر: لسان العرب: (516/2)، ومقاييس اللغة: (303/3) .

[46] ينظر: العين، الفراهيدي ١١٧/٣

[47] الوجوه والنظائر في القرآن العظيم، لمقاتل بن سليمان، ص٩٥-٩٦.

[48] القاموس الفقهي، لسعدي أبي جيب، ص٢١٥.

[49] ينظر: الفرق اللغوية، العسكري ص٣١٧.

[50] سورة هود: آية 88 .

بما يوفقني الله فيه من الاصلاح، تقويما للناس بالعدل وسلوك طريق الرشاد[51]، ومن المأثور: (لا تترك الاجتهاد في إصلاح نفسك فإنه لا يعينك عليها إلا الجد[52] .. وأعجز الناس من عجز عن إصلاح نفسه[53]).

5- المجاهدة؛ وهي في **اللغة** مشتقة من الجهد الذي يدل على المشقة المبالغة[54]، والشدة في ذات الشيء أو في التعامل معه ومعالجته[55]، وفي **الاصطلاح**: المجاهدة: (محاربة النفس الأمارة بالسوء، بتحميلها ما يشق عليها بما هو مطلوب في الشرع)[56]، فهي فطم النفس وحملها على خلاف هواها المذموم في عموم الأوقات، وإلزامها بشرع الله سبحانه أمراً ونهياً[57]، فهو مرادف للتقويم في معناه واستعماله؛ ومنه قوله تعالى : وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ [58]؛ جاء في تفسيرها: (جاهدوا أنفسكم في طاعة الله وردها عن الهوى، وجاهدوا الشيطان في رد وسوسته، والظَّلمة في رد ظلمهم، والكافرين في رد كفرهم)[59].

6- التطهير، وهو في اللغة: التنظيف والتنقية، يقال: طَهّر الشخص من الرجس؛ إذا نظفه ونقّاه من الوسخ[60]، ويأتي بمعنى التنزيه والتبرئة؛ يقال: طهّر الشيء؛ إذا برأه ونزهه من العيوب وغيرها[61]، أما في الاصطلاح؛ فالتطهير هو (تزكية النفس والسمو الخُلقي بالابتعاد عن الرذيلة والتزام الفضيلة، والاعتقاد في عدم الشرك بالله جل وعلا والالتزام بأوامر الله سبحانه وتعالى والانتهاء بنواهيه)[62]، فهو الطهارة المعنوية المقصود بها: (نظافة القلب من الشرك, وتحليته بالعقيدة والتوحيد الخالص والتعبد لله تعالى، والنزاهة في السلوك والأخلاق، والبراءة من العيوب، والرذيلة والخلوص من الأدناس المعنوية؛ كالحسد والبغضاء والحقد)[63]، فالتطهير بمعناه هذا على صلة بالتقويم؛ ومنه قوله تعالى: فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ [64]؛ أي: التنزه من الشرك، والأخلاق الرذيلة[65] .

---

[51] روح البيان: ج4، ص134

[52] غرر الحكم ودرر الكلم: ص237

[53] مستدرك الوسائل: ج11 ص324

[54] ينظر: لسان العرب: (4/ 107) .

[55] ينظر: مقاييس اللغة: (468/1) .

[56] التعريفات للجرجاني: 114.

[57] ينظر: الرسالة القشيرية: ص48، وحقائق عن التصوف، لعبد القادر عيسى، ص75 .

[58] سورة الحج: أية 78 .

[59] تفسير القرطبي: (369/13) ، وينظر: تفسير الفخر الرازي: (72/23) .

[60] ينظر: لسان العرب: (504/4) .

[61] ينظر: المصباح المنير : (379/2) .

[62] الطهارة بين القرآن والفقه، لرضا عبد الرحمن علي العدد3707لسنة 2012م، مقال على الشبكة العنكبوتية: https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=304802

[63] كتاب مذكرة القول الراجح مع الدليل، لخالد بن إبراهيم الصقعبي، ص1 .

[64] سورة التوبة: آية 108

[65] تفسير السعدي: ص352 .

المبحث الثاني

ماهية النّفس الإنسانية

المطلب الأول

معنى النّفس في اللغة والاصطلاح

أولاً: النّفس في اللغة:

النّفس لفظ مشتق من الفعل (نَفَسَ)، وجمعها أنْفُس ونُفُوس، وهي في اللغة على على عدة معانٍ[66]؛ نذكر منها:

1- الروح، يقال: فاضت نفسه؛ أي خرجت روحه[67] .

2- حقيقة الشيء وذاته، يقال: رأيت فلاناً نفسه؛ أي: ذاته[68] .

3- عين الحسد، يقال: أصابته نفس؛ أي عين[69] .

4- الدم، يقال سالت نفسه؛ أي: دمه[70] .

5- الأخوة والأهل[71]، ومنه قوله تعالى: فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ [72]؛ أي: على أهليكم[73].

6- العَظَمة والكِبر، يقال: تعالت نفسه؛ إذا عظمت وتكبرت[74] .

7- العاطفة، يقال: ضبط نفسه؛ أي: سيطر على عواطفه[75] .

8- الضمير[76]، ومنه قوله تعالى: وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ [77]؛ أي في ضمائرهم[78] .

9- الجلَّد والخُلُق، يقال: فلان ذو نفس؛ أي: ذو جلّد وخُلُق[79] .

---

[66] ينظر: لسان العرب: (14/ 320) .

[67] ينظر:المعجم الوسيط: (940/2) .

[68] ينظر: لسان العرب: (14/ 320) .

[69] ينظر:المعجم الوسيط: (940/2) .

[70] ينظر: لسان العرب: (14/ 320) .

[71] ينظر: تاج العروس: (259/4) .

[72] سورة النور: من آية 61 .

[73] ينظر: تفسير أحكام القرآن لابن عربي: (427/3) .

[74] ينظر: لسان العرب: (14/ 320) .

[75] ينظر: المصدر نفسه.

[76] ينظر: تاج العروس: (259/4) .

[77] سورة البقرة: من آية 235 .

[78] تفسير إبن كثير: (38/2) .

[79] المعجم الوسيط: (940/2) .

10- الرّوع والمراد، يقال: في نفس فلان أن يفعل كذا وكذا؛ أي: في روعه[80] .

11- الإنسان[81]، ومنه قوله تعالى: الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ [82]؛ أي: من آدم .عليه السلام[83] .

12- البُعد والوَسَع، يقال: هذا المكان أنفس من هذا؛ أي: أبعد وأوسع[84] .

13- الفَرَج[85]، ومنه حديث: (من نفَّسَ عن مؤمِنٍ كُرْبَةً من كُرَبِ الدنيا نَفَّسَ اللهُ عنهُ كربةً من كُرَبِ يومِ القيامة)[86]؛ أي: فرّج عنه[87] .

14- العقل، ومنه توفي نفس النائم إذا نام؛ أي: النفس التي بها العقل ؛ أي: نفس التمييز وهي التي تفارقه إذا نام فلا يعقل بها[88] .

15- الإمتداد والزيادة[89]، ومنه قوله تعالى: وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ [90]؛ أي: امتد وزاد[91].

16- الإباء والأنفة، يقال: هذا من عزة النفس؛ أي الأنفة والإباء[92] .

17- العقوبة[93]، ومنه قوله تعالى: وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ [94]؛ أي: عقوبته[95] .

18- جنس النوع[96]،ومنه قوله تعالى: بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ [97]؛ أي: من جنسهم[98] .

---

[80] ينظر: لسان العرب: (14/ 320) .

[81] ينظر: تاج العروس: (4/259) .

[82] سورة الأعراف: من آية 189 .

[83] تفسير الطبري: (21/255) .

[84] ينظر: لسان العرب: (14/ 320) .

[85] ينظر: لسان العرب: (14/ 320)

[86] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من نفَّسَ عن مؤمِنٍ كُرْبَةً من كُرَبِ الدنيا نَفَّسَ اللهُ عنهُ كربةً من كُرَبِ يومِ القيامة، ومن يسَّرَ على مُعسرٍ يسَّرَ اللهُ عليهِ في الدنيا والآخرة ومن ستَرَ مُسلِمًا سترهُ اللهُ في الدنيا والآخرة واللهُ في عوْنِ العبدِ ما كانَ العبدُ في عوْنِ أخيهِ ومن سلَكَ طريقًا يلتمسُ فيهِ علمًا سهَّلَ اللهُ له به طريقًا إلى الجنة وما اجتمعَ قومٌ في بيتٍ من بيوتِ اللهِ يتلونَ كتابَ اللهِ ويتدارسونَهُ بينهم إلاَّ نزلتْ عليهمُ السكينةُ وغشيتهم الرحمةُ وحفَّتهم الملائكة وذكرهمُ اللهُ فيمن عندهُ ومن بطَّأَ بهِ عملُهُ لم يُسْرِعْ بهِ نسبُهُ)، صحيح مسلم: (2/583 رقم الحديث2699).

[87] شرح الأربعين النووية للنووي: ص 96 .

[88] ينظر: لسان العرب: (14/ 320) .

[89] ينظر: تاج العروس: (4/259) .

[90] سورة التكوير: من آية 18 .

[91] تفسير القرطبي: (19/203) .

[92] ينظر: لسان العرب: (14/ 320) .

[93] ينظر: تاج العروس: (4/259) .

[94] سورة آل عمران: من آية30 .

[95] تفسير إبن كثير: (3/54) .

[96] ينظر: لسان العرب: (14/ 320) .

[97] سورة آل عمران: من آية164 .

[98] تفسير إبن كثير: (1/114) .

19- القلب[99]، ومنه قوله تعالى: وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ [100]؛ أي: قلوبهم[101].

مما تقدم نجد أن النفس في أصل اللغة معانيها متنوعة؛ ومنها ما يناسب موضوع بحثنا: كحقيقة الشيء، والعَظَمة والكِبر، والعاطفة، والضمير، والخُلُق، والرّوع، والإنسان، والبعد والتوسع، والإباء والأنفة، والامتداد والزيادة والعقوبة؛ من حيث أن النفس .وعلى التوالي : هي حقيقة الإنسان، وما يصيبها من العَظَمة والكِبر، والعاطفة التي تسيطر عليه، وضميرها الحي، والخُلُق الواجب أن تتحلى به، ورّوعها المطمئن بالإيمان، والإنسان الذي يُقَيَم بها، والبعد بينها وبين السوء، والتوسع بصلاحها، والإباء عمّا يدنيها، والأنفة عمّا يحقرها، والامتداد في الخير، والزيادة من التنزيه، وعقوبتها إذا زلّت .

ثانياً: النّفس في الاصطلاح

تنوّع تعريف النّفس في الاصطلاح عند العلماء كل بحسب موضوعه؛ وكالآتي:

1. **أمّا النّفس في كتب المصطلح**، فقد عرّفها الجرجاني بأنها: (الجوهر اللطيف الحامل لقوة

الحياة والحس والحركة الإرادية)[102]، وعرّفها الكفوي بأنها: (الجوهر المفارق عن المادة في ذاته دون فعله، وهو على قسمين: نفس فلكية و نفس إنسانية، وعلى ما ليس بمجرّد بل قوة مادية وهو على قسمين أيضا: نفس نباتية و نفس حيوانية)[103]، وعرّفها المناوي بأنها: (جوهر مشرق للبدن ينقطع ضوءُه عند الموت من ظاهر البدن وباطنه)[104].

2. **وفي الفلسفة القديمة** : قال "أرسطو": (النّفس منبثقة في العالم، وكل فعلٍ إنّما هو من النّفس .إعرف نفسَك بِنفسِك.)[105]، وقال "سقراط": (النّفس تزكية الإحساس بطاقته وإمكانياته؛ لإستدراك فائدة الحكم الموضوعي المستند إليه هو ذاته)[106]، وقال "هيرقليطس": (النّفس هي القانون العقلي الكلي الذي يزيدها وينميها وفق احتياجاتها)[107]، وقال "أفلاطون": (النّفس فكر مجرد وجوهر الكائن وبعث الحياة فيه، وهي مبدأ الحياة والحركة للجسم وكلمة العقل الكلي وفعله)[108]، وعرّفها الفيثاغوريين: (هي المبدأ الذي تتحرك به الذرات، بحيث تكون النّفس مبدأ أو علة توافق الأضداد في البدن وعلة حركتها جميعاً)[109]، **وفي الفلسفة**

---

[99] ينظر: لسان العرب: (14/ 320) .

[100] سورة التوبة: من آية 118 .

[101] الكشاف للزمخشري: (218/2) .

[102] التعريفات: ص196 .

[103] كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم: (1713/2) .

[104] التوقيف على مهمات التعاريف: 328 .

[105] الموسوعة الفلسفية، روزنتال و بودين، ترجمة وتحقيق: سمير كرم، دار الطليعة، بيروت سنة 1985م، ص546 .

[106] الفلسفة الإغريقية، لمحمد حديدي، الدار العربية، الطبعة الأولى، الجزائر سنة 2009م، ص121 .

[107] تاريخ الفلسفة اليونانية، ليوسف كرم، دار القلم، بيروت، ص13 .

[108] سقراط مسألة الجدل، ثيوكاريس كيسيديس، ترجمة طلال السهيل، دار الفارابي، الطبعة الثالثة، بيروت سنة 2006م، ص167.

[109] جدل الحب والحرب، هيرقليطس، ترجمة مجاهد عبد المنعم، دار التنوير، الطبعة الأولى بيروت سنة 2008م، ص86 .

الحديثة : فقد عرّفها "ديكارت" بأنها: (جوهر خالص منفصل عن الجسم، وهي مصدر التفكير.أنا أُفكر إذاً أنا موجود)[110]، عرّفها "كارل" بأنها: (عبارة عن محتويات تتكوّن من أمور واعية وأخرى غير واعية)، وعرّفها "روجرز": (الشخص ذاته وكيفية تحديد سلوكه وعلاقته بالعالم)[111]، وعرّفها "بلاتو" و "كانْت": (هي الروح الخالدة والتي تتخطى المادة)، وعرّفها "ديفيد هيوم": (بأنّها ليست أكثر من مجموعة من التصورات)[112]، وعرّفها "لالاند" بأنها: (مبدأ الحياة والفكر أو كليهما معا؛ باعتبارها حقيقة متميزة عن الجسد الذي تظهر فاعليتها من خلاله)[113]، إذن النّفس في فلسفتهم إجمالاً تدور حول كونها؛ (مجردة وخارج نطاق التجربة وأزلية؛ لإعتقادهم بالثنائية بين النفس والبدن)[114] .

3. **وفي الفلسفة الإسلامية**؛ عرّفها الفارابي بأنها: (كمال أول للجسم طبيعي آلي ذي حياة بالقوة)[115]، وعرّفها إبن سينا بأنها: (كمال أول لجسم طبيعي آلي له أن يفعل أفعال الحياة)[116]، وعرّفها الكندي بانها: (تمامية جرم طبيعي ذي آلة قابل للحياة)[117]، وعرّفها إبن رشد بانها: (صورة لجسم طبيعي آلي مركب من مادة وصورة)[118]، إذن تعد النّفس الإنسانية عندهم إجمالاً امتداد للفكر الفلسفي القديم .الأفلاطونية الأرسطية.بوصفهم النّفس جسم طبيعي يتسم بالكمال وديمومة الحياة والبقاء والخلود، وجوهر روحي قائم بذاته يستحيل عليه العدم بعد الوجود[119].

4. **والنّفس عند الصوفية**؛ عرّفها الإمام الغزالي بأنها: (المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الإنسان، أو أنها اللطيفة التي هي حقيقة الإنسان وذاته)[120]، وعرّفها الألوسي بأنها: (الجوهر المتعلق بالبدن تعلق التدبير، والتصريف أو الجسم النوراني الخفيف الحي المتحرك النافذ في الأعضاء، الساري فيها، سريان ماء الورد في الورد)[121]، وعرّفها الإمام إبن القيم: (جوهر قائم بنفسه متعلقة بالجسم، تعلق التدبير،

---

[110] Remé Descartes ,Les Passions De l'âme ,éditions l'odyssée ,Tizi-ouzou ,Alger, p 12. 1

وينظر: العقلانية جون كوتنفهام، ترجمة محمود الهاشمي، مركز الإنماء الحضاري، دمشق الطبعة الاولى سنة1997م، ص49.

[111] www.britannica.com, Retrieved 11-1-2018. ،The Editors of Encyclopædia Britannica, "Self"

[112] www.psychologytoday.com, Retrieved 11-5-2018. Edited. ،Paul Thagard Ph.D. (23-6-2014), "What Is the Self?"

[113] موسوعة لالاند الفلسفية، أندري لالاند، المد الأول، ترجمة أحمد خليل احمد، باريس الطبعة الثانية سنة 2001م، ص49 .

[114] النّفس الإنسانية عند أفلاطون، لمسلم حسن مهدي، جامعة رابة رين- رانية، ص14 .

[115] خطاب الفلسفة العربية الإسلامية- النشأة والتطور والنضوج-، لمحمد عبد الرحمن مرحباً،بيروت، مطبعة عز الدين لسنة1993م، ص142 .

[116] كتاب الإشارات لإبن سينا: ص123 ، وكتاب النفس لإبن سينا، تحقيق: إبراهيم مذكور، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة لسنة 1975م، ص10 .

[117] موسوعة الفلسفة، لعبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية، الطبعة الأولى لسنة1987م ، بيروت- لبنان ،ص506 .

[118] تهافت التهافت، لإبن رشد، تحقيق: سليمان دينا، دار المعارف، الطبعة الثالثة، القاهرة لسنة 1981م، ص833 .

[119] ينظر: المصدر نفسه: ص258، النفس في فلسفة إبن رشد، لمنى صالح شلغم، مجلة كلية الآداب، العدد29، للعام 2020م، ج2، ص143 .

[120] إحياء علوم الدين: (4/3) .

[121] روح المعاني:(17/ 46).

والتصريف)[122]وعرّفها الإمام القشيري بأنها: (ما كان معلولاً من أوصاف العبد، ومذموماً من أخلاقه وأفعاله؛ والمعلول منها بالذم إما مكتسب كالمعصية، أو مذموم في نفسه كالدناءة الفطرية)[123]، وقال التفتازاني فيها: (النّفس الإنسانية معرفة أخلاقها الذميمة وإحلال الأخلاق المحمودة محلها)[124]، وقال الهجويري: (النّفس هي أصل الشّر والصفات المذمومة)[125]، إذن تمثل النّفس الإنسانية عندهم: (كامل الإنسان وأخلاقه وسلوكه؛ فمعرفة النفس عندهم ترشد إلي كيفية تهذيبها، وفهم حقيقتها، فهي السبيل إلى الإيمان ومعرفة الله تعالى)[126].

5. وعند علماء النّفس؛ وصف "سيكموند فرويد" النّفس البشرية: (بثلاثة بنيات من حيث نشاط وتفاعل الحياة العقلية: أولها: الهُو؛ وهي مجموعة من الاتجاهات الغريزية غير المنسقة، وثانيها: الأنا العليا؛ التي تلعب دوراً نقدياً ووعظياً، وثالثها: الأنا؛ وهي الجزء الواقعي المنظم الذي يتوسط بين رغبات الهُو والأنا العليا)[127]، ويصف "كارل يونغ" النّفس البشرية: (بثلاث عناصر: أولها: الأنا؛ وتمثل العقل الواعي، وثانيها: اللاوعي الفردي؛ ويضم الذكريات، وثالثها: اللاوعي الجمع؛ وهو من الوراثة النفسية، ويضم كل المعارف والتجارب التي يتشاركها البشر)[128]، ويصف إبن خلدون النّفس البشرية: (النفس الإنسانية غائبة عن العيان، وآثارها ظاهرة في البدن، فكأنه وجميع أجزائه . مجتمعةً ومتفرقةً . آلات للنفس ولقواها)[129]، ويضيف أيضاً: (أن النفس الناطقة للإنسان إنما توجد فيه بالقوة، وإن خروجها من القوة إلى الفعل إنما هو بتجدُّد العلوم والإدراكات)[130].

---

[122] توضيح المقاصد وتصحيح القواعد، لإبن قيم الجوزية: (75/1)، والصفدية، لإبن قيم الجوزية: (24/1) .

[123] الرسالة القشيرية، تحقيق: عبد الحليم محمود ومحمود بن زايد الشريف، دار المعارف، ج1 ،ص203-204.

[124] مدخل إلي التصوف، لابي الوفا التفنازاني، دار الثقافة، الطبعة الثالثة للسنة1979م، ص103.

[125] كشف المحجوب، للهجويري ، ترجمة: محمود أحمد ماضي أبو العزائم ، تحقيق: أحمد عبد الرحيم السايح وتوفيق على وهبة، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، الطبعة الأولى لسنة 2007م، ص 226.

[126] في الفلسفة الإسلامية، لإبراهيم مذكور: (127/1).

[127] Snowden, Ruth (2006). *Teach Yourself Freud.* McGraw-Hill. pp. 105-107. ISBN 978-0-07-147274-6.

"The Super-ego ofFreud.""http://journals1.scholarsportal.info.myaccess.library.utoronto.ca/tmp/1616109293319725532.pdf"

[128] جدلية الانا واللاوعي، كارل غوستاف يونغ، ترجمة: نبيل محسن، دار الحوار- الطبعة الأولى، اللاذقية-سوريا، ص9 .

[129] مقدمة إبن خلدون: ص96 .

[130] المصدر نفسه: ص428.

المطلب الثاني

تعريف النّفس الإنسانية

مما تقدم من تعريفات العلماء للنّفس تبعاً لتخصصاتهم المتنوعة، نخلص إلى أن مصطلح النّفس لا يبتعد عن معناه اللغوي؛ فهو مفهوم مشترك بين حيثيات متعددة، أضف إلى كونه ذا طبيعة جدلية معقدة، والذي نختاره .بحسب موضوع بحثنا .**تعريف النّفس الإنسانية** .باعتبار المركب الإضافي أنها: **قوى العقل والشهوة والغضب، الاعتدال فيها فضيلة وإطرّافها رذيلة**؛ وذلك أن الاعتدال في قوة العقل حكمةٌ، والإفراط فيها جريرة، والتفريط غباوة، كذلك فإن اعتدال الشهوة عفةٌ، والإفراط فيها فجورٌ، وتفريطها جحود، ومثلهما أيضاً الاعتدال في قوة الغضب فهو شجاعةٌ، والإفراط فيها تهورٌ، والتفريط جُبنٌ ،، أضف أن هذه الفضائل الثلاثة . الحكمة، والعفة، والشجاعة . قد تتحول إلى رذائل؛ في حال مقصدها السيء، ومثال ذلك . على التوالي . كالذي يتخذ من الحكمة؛ قصداً لمماراة السفهاء، أو للتسويف في الرأي، وكالذي يتخذ من العفة قصداً لتعيير أو هتك السّتر ، وكالذي يتخذ من الشجاعة قصداً للتكبر أو الغنيمة؛ والأصل في الاعتبار ما بين الفضيلة والرذيلة في وصف هذه القوى الثلاثة هو النية التي تصاحب الفعل؛ فهي فضيلة إذا لم تكن النية فيها لغرض يشوبها، وإلا فتكون من الرذائل[131] .

[131] الأخلاق، لعضد الدين الإيجي: ص29-30 بتصرف .

المبحث الثالث

مراتب النّفس الإنسانية وأحوالها في القرآن الكريم

تمهيد

النّفس الإنسانية في أصل خلقها نفس واحدة، سوّاها خالقها في أحسن صورها، وبإرادته الإلهية جعلها وعاءً للخير والسوء معاً، وترك للإنسان خيار الأخذ منها؛ بتعدية خيرها على سوؤها أو العكس بما وضع للإنسان من العقل كآلة للتمييز، مع صريح أمره تعالى بتنقية النّفس والوصول بها إلى غاية الكمال النسبي، ونهيه سبحانه عن دسّها في الشر واستدراجها إلى براثِن الفساد، فهي بين منزلتي الخير والشر اللتين بذاتهما يستدعيان تذبذب النّفس الإنسانية طيلة حياتها الدنيا بين مستويات متعددة: إما في تزكيتها إلى بلوغ منتهاها، أو في ضلالها إلى وصول قاع فسادها؛ وهذا مما جعل النّفس الإنسانية تقسم في عقيدة الإسلام على مراتب؛ وإن كان (التحقيق أنها واحدة – كما يقول إبن القيم – ولكن لها صفات فتسمّى باعتبار كل صفة بإسم)[132]، وأحصاء هذه الصفات يختلف بحسب كيفية تقسيمها[133]؛ وتوصيف القرآن الكريم للنّفس الإنسانية هو ما سنعتمده في يبان مراتبها وأحوالها، سواءً ما كان منها محموداً لمعرفة سبل الوصول إليه، أو ما كان منها مذموماً لتحذير منها وبيان عاقبتها، والحاصل رصدها ثم تقويمها. كما سيأتي توضيحه إن شاء الله. وقد اقتضى هذا المبحث تقسيمه على مطلبين؛ وكالآتي:

المطلب الأول: النّفوس المحمودة في القرآن الكريم، وسبل الوصول إليها:

المطلب الثاني: أحوال النّفس المذمومة في القرآن الكريم، والتحذير من عاقبتها

---

[132] الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفَّى: 751هـ،

[133] وذلك باعتبار كل صفة من صفات النفس هي نوع من أنواع النفس الإنسانية وعليه نجد أن منهم من أوصلها إلى سبعة: "أمَّارة، ولوَّامة، ومطمئنة، وزكية، وحواذية، ومنهم من أوصلها إلى اثنتي عشرة حالة: النفس المطمئنة، واللوامة، والزكية، والمجادلة، والملهمة، والأمَّارة، والمهتدية، والمجاهدة، والشاكرة، والصالحة، والشحيحة، والخيرة، يراجع في ذلك التعريفات؛ للجرجاني، وأقسام القرآن؛ لابن القيم، وآفات النفس، د.نعيمة عبدالله البرش، تحقيق: د. رياض محمود قاسم.

المطلب الأول

النّفوس المحمودة في القرآن الكريم، وسبل الوصول إليها:

أولاً: النّفس السّخية الكريمة، قال تعالى: وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ [134]؛ التوصيف هنا للنّفس الكريمة السّخية التي تنشرح بالإنفاق في الخير[135]، وسبل الوصول إلى هذه الرتبة يكون بتعزيز دوافع العطاء والبذل عند الإنسان؛ كما في حثه على الجود والكرم، وترغيبه في حب المساعدة والتكافل الإجتماعي، وأثر البذل منه والعطاء في توفيق الله له، وبلوغه الثقة والراحة بنفسه الطيبة حين يزرع السعادة في قلوب الآخرين؛ ليكسب بها محبة الله تعالى والناس معاً[136] .

ثانياً: النّفس الصابرة، قال تعالى: وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ [137]؛ التوصيف هنا في أمر النّفس بالصبر لِما تشتمله النّفس الصابرة من غايات الخير، يقول الإمام الغزالي.رحمه الله- في وصفها والغاية في إدراكها: (هذا الضرب محمود، وهو الصبر النفسي عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى .. فأكثر أخلاق الإيمان داخل في الصبر.. وتيسير الصبر بطول المواظبة، وإرث ذلك مقام الرضا)[138]، وسبل الوصول إلى هذه المرتبة من النّفس يكون بالاستعانة بالله ودوام معيته سبحانه، والإيمان بأنها طريق دفع أنواع الأذى، وأن الله وكيل من صبر، وإدراك حسن الغاية من الصبر وقبحها في حالة الجزع؛ وذلك بالتأسي بغيره ممن صبر فأعطاه الله ما يرضيه[139].

ثالثاً: النّفس اللوّامة، قال تعالى: وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ [140]؛ التوصيف هنا للنّفس اللوّامة، ويقصد بها النّفس: (التي تنورت بنور القلب قدر ما تنبهت عن سنة الغفلة فكلما صدر هنها سيئة بحكم جبلتها الظلمانية أخذت تلوم نفسها ونفرت عنها)[141]؛ وهي نفس المؤمن التي تلوم نفسها على فوات طاعة أو ارتكاب ذنب وتندم وتتوب[142]، وهذا اللوم والندم هو الخطوة الأولى للتوبة والطريق إلى المغفرة، ويكون ذلك حين تتحرر الروح السلطانية من أسر الروح الحيوانية، فيلوم المذنب نفسه، ويعيب عليها ذنبها ، ثم يبدأ بالاستغفار، فتراه فاق من غفلته فتسره حسناته وتحزنه سيئاته، حتى يكف عن الانغماس في الشهوات وعيشه الباحث عن الرغبات سعياً منه لمجاهدة نفسه في الإفراط في المعاصي؛ وسبيل ذلك في الخضوع لأمر

---

[134] سورة البقرة: آية 265 .

[135] ينظر: تفسير السعدي: (45/1) .

[136] ينظر: التصوير النبوي للقيم الخلقية، لعلي علي صبح، ص181، وموسوعة الأخلاق الإسلامية: (180/1).

[137] سورة الكهف من الآية 28 .

[138] إحياء علوم الدين: (62/1) .

[139] ينظر: جامع المسائل لإبن تيمية: (168/1-174)، وموسوعة الأخلاق الإسلامية: (319/1-322) .

[140] سورة القيامة: آية2 .

[141] روح المعاني: (137/29)، التعريفات للجرجاني:

[142] ينظر: فتح القدير: (1557/1).

الله سبحانه في كل الأحوال، ومصاحبة الأتقياء ومجالسة الصالحين، والإكثار من الاعمال الصالحات خالصة لوجه الله تعالى .

رابعاً: النّفس المجاهدة، قال تعالى: وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى [143]؛ التوصيف هنا للنّفس المجاهدة؛ كما قال إبن بطال: (جهاد المرء نفسه هو الجهاد الأكمل، قال الله تعالى: وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ ويقع بمنع النّفس عن المعاصي، وبمنعها من الشبهات، وبمنعها من الإكثار من الشهوات المباحة؛ لتتوافر لها الآخرة)[144]، ومقصود المجاهدة هو: (فطمها عن المألوفات وحملها على غير هواها)[145]، قال إبن رجب .رحمه الله : (جهاد النّفس في طاعة الله كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " المجاهد من جاهد نفسه في الله"[146]، وقال بعض الصحابة لمن سأله عن الغزو: "إبدأ بنفسك فاغزها، وابدأ بنفسك فجاهدها" وأعظم المجاهدة طاعة الله)[147]، والسبيل إلى تمام ذلك أن يكون الإنسان متيقظاً لنفسه في كل أحوالها؛ لأنه متى غفل عن ذلك إستهوته نفسه إلى المعاصي والمنهيات[148].

خامساً: النّفس الزكية، قال تعالى: فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً [149]؛ الوصف هنا للنّفس الزكية، وهي النّفس الطاهرة التائبة المغفور لها ذنوبها[150]، والمقصود بتزكية النّفس: تطهيرها من الأوصاف الذميمة، وتنقيتها بالأعمال الصالحة، وتزيينها بحب الله وطاعته؛ كما قال تعالى: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا [151]، وفي الحديث: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما سأله رجل: وما تزكية النّفس؟ فقال صلى الله عليه وسلم: (أنْ يعلم أنَّ الله معه حيث كان)"[152]، وسبيل بلوغ هذه المرتبة من النّفس: (مُركب من ستة أجزاء: .كما يذكرها إبن القيم رحمه الله . عبودية الله ، فعل الطاعات وترك المحرمات ، الصبر على البلاء ، التوبة ، الإنابة إلى الله سبحانه ، كثرة الإستغفار)[153].

سادساً: النّفس المطمئنة الراضية، قال تعالى: يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (27) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (28) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (29) وَادْخُلِي جَنَّتِي(30) [154]؛ الوصف هنا للنّفس المطمئنة والراضية،

---

[143] سورة النازعات: آية 40 .

[144] فتح الباري لابن حجر العسقلاني: (288/12) .

[145] الرسالة القشيرية: ص42 .

[146] فتح الباري: (287/12) .

[147] لطائف المعارف: ص227 .

[148] ينظر: إحياء علوم الدين للإمام الغزالي: (71/3) .

[149] سورة الكهف: آية74 .

[150] تفسير البغوي: (5/ 191)، وتفسير الطبري: (340/15)، وينظر: تفسير القرطبي: (395/10).

[151] سورة الشمس: آية9 .

[152] سنن البيهقي:(95/4) .

[153] التفسير القيم للإمام إبن القيم(ت751هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ص47.

[154] سورة الفجر: آية 27-30 .

والمقصودة بالمطمئنة: هي النّفس المؤمنة الآمنة المخلصة المبشرة بالجنة[155]، المخبتة المنيبة الموقنة بربها سبحانه[156].. وإنَّ حقيقة هذه الطمأنينة: (وحقيقة الطمأنينة: السكون والاستقرار، فهي التي قد سكنت إلى ربها وطاعته وأمره وذكره، ولم تسكن إلى سواه، فقد اطمأنت إلى محبته وعبوديته وذكره، واطمأنت إلى أمره ونهيه وخبره، واطمأنت إلى لقائه ووعده، واطمأنت إلى التصديق بحقائق أسمائه وصفاته، واطمأنت إلى الرضا به ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولا واطمأنت إلى قضائه وقدره، واطمأنت إلى كفايته وحسْبِه وضمانه، فاطمأنت بأنه وحده ربها وإلهها ومعبودها ومليكها ومالك أمرها كله، وأن مرجعها إليه، وأنها لا غنى لها عنه طرفة عين)[157]، ومن كانت هكذا نفسه لقي ربه راضياً عنه مرضياً؛ كما يقول الإمام الحسن البصري .رحمه الله .في معنى النّفس المطمئنة في الآية الكريمة: (إنّ الله إذا أراد قبض روح عبده المؤمن اطمأنت النفسُ إلى الله، واطمأنّ اللهُ إليها، ورضيتْ عن الله، ورضي الله عنها، أمر بقبْضها فأدخلها الجنة، وجعلها مِن عباده الصالحين)[158]، وهذه هي مرتبة النّفس الراضية؛ والسبيل إليها (يتضمن توحيده .سبحانه .وعبادته والإنابة إليه والتوكل عليه وخوفه ورجاءه ومحبته والصبر له وبه. والشكر على نعمه: يتضمن رؤية كل ما منه نعمة وإحسانا وإن ساء عبده. فالرضا به يتضمن شهادة أن لا إله إلا الله والرضا بمحمد رسولا يتضمن شهادة أن محمدا رسول الله والرضا بالإسلام دينا: يتضمن التزام عبوديته وطاعته وطاعة رسوله. فجمعت هذه الثلاثة الدين كله)[159].

المطلب الثاني

أحوال النّفس المذمومة في القرآن الكريم، والتحذير من عاقبتها

أولاً: النّفس الخاسرة، قال تعالى: قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ [160]، الذم ههنا للنّفس الخاسرة؛ التي أتلفت صاحبها وتسببت له بالضياع وأوقعته بالعذاب، وحرمته الثواب[161]، وعاقبتها مريرة؛ فقد ذكر الإمام الرازي .رحمه الله .في تفسيره أن في الآية: (كمال الزجر؛ لوقوعها في هلاك لا يعقل هلاك أعظم منه، وصف الله ذلك الخسران بغاية الفظاعة، حتى إنه بلغ في العظمة إلى حيث لا تصل عقولكم إليها فتنبهوا لها؛ فمن أعطاه الله الحياة والعقل والتمكن، ثم إنه لم يستفد منها لا لمعرفة الحق ولا لعمل الخير ألبتة كان محروماً عن الربح بالكلية، وإذا مات فقد ضاع

---

[155] ينظر تفسير القرطبي: (51/20) .

[156] ينظر: تفسير الطبري: (424/24) .

[157] إغاثة اللهفان لإبن القيم: (76/1)

[158] صحيح البخاري: (169/6)، وينظر: فتح الباري: (703/8)، وموسوعة التفسير بالمأثور للشاطبي: (429/15) .

[159] تهذيب مدارج السالكين لإبن القيم: ص332 .

[160] سورة الزمر: آية15 .

[161] ينظر: التحرير والتنوير: (360/24)، وروح المعاني: (251/23) .

رأس المال بالكلية، فكان ذلك خسرانا عظيماً)[162]، وهو خسران يستمر لا نجاة بعده بل ولا سلامة منه[163]؛ قال تعالى: أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا [164]، فخسران النفس بدخولها النار؛ قال تعالى: وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ [165]؛ وخسران أهله بأن يفرق بينه وبينهم[166] وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ [167].

ثانياً: النّفس المُتحسرة، قال تعالى: أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ [168] ، التوصيف هنا للنّفس المتحسرة؛ والمقصود منها المتندمة الندامة الشديدة والاغتمام على ما فاتها وضيعته في حق الله[169]، جاء في التفسير: (يدل على غاية الأسف ونهاية الحزن .. وقد جاء عقيب التفريط في طاعة الله تعالى ليناسب شدة الحسرة، وهذا يقتضي حصول تلك الحسرة عند حصول هذا التفريط)[170]، وعاقبتها أليمة؛ يقول مكي بن أبي طالب .رحمه الله .في تفسيره: (وأصل الحسرة الندامة التي تلحق الإنسان حتى يصير معها حسيراً؛ أي: معيباً .. فمن الحسرات يوم القيامة أن يرى الرجل ماله الذي آتاه الله عز وجل يوم القيامة في ميزان غيره قد ورثه وعمل فيه بالحق كان له أجره وعلى الآخر وِزْرُه، ومن الحسرات أن يرى الرجل عبده الذي خوله الله في الدنيا أقرب منه منزلة من الله جل ذكره، أو يرى رجلاً يعرفه في الدنيا أعمى قد أبصر يوم القيامة وعمي هو)[171].

ثالثاً: النّفس البائسة، قال الله تعالى: بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ [172]، الذم ههنا للنّفس البائسة؛ التي استبدلت حظ صاحبها من الثواب إلى العقاب ، بعد أن عدلت به من الحق إلى الباطل[173]، وعاقبتها العذاب العظيم؛ يصفه السعدي .رحمه الله .في تفسيره: (مؤلم موجع, وهو صلي الجحيم, وفوت النعيم المقيم، فبئس الحال حالهم, وبئس ما استعاضوا واستبدلوا..مع علمهم وتيقنهم, فيكون أعظم

---

[162] ينظر: مفاتيح الغيب: (26/5) .

[163] ينظر: تفسير السعدي: (721/11) .

[164] سورة هود: آية21

[165] سورة المؤمنون: آية 103 .

[166] ينظر: تفسير البغوي:(112/7) .

[167] سورة الشورى: آية 45.

[168] سورة الزمر: آية 56 .

[169] ينظر التحرير والتنوير لإبن عاشور: (45/25) .

[170] ينظر: تفسير الرازي: (5/27) .

[171] الهداية في بلوغ النهاية: (6363/10) .

[172] سورة البقرة: آية 90 .

[173] تفسير ابن كثير: (328/1) .

لعذابهم)[174]، لأن أمثال هؤلاء أنفسهم خبيثة لا تشترى بل تباع، فإذا خافوا على أنفسهم من العقاب أتوا بأعمال يظنون أنها تخلصهم، فظنوا أنهم اشتروا أنفسهم، وخلصوها، فذمهم الله تعالى عليه بما علموا من مخالفة الحق، فكانت أنفسهم البائسة موجبة للعذاب المهين[175].

رابعاً: النّفس الهاوية، قال تعالى: فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (39) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى [176]، النهي في الآية الكريمة عن هوى النفس؛ أي المحارم التي تشتهيها[177]، (فالهوى. كما يقول إبن عاشور رحمه الله في تفسره. ما تهواه النّفس.. وترغب فيه قواها الشهوية والغضبية مما يخالف الحق والنفع الكامل، وقد شاع هوى النّفس في المرغوب الذميم..إذ لا يكون الهوى إلا بغير هدى)[178]، فالنّفس الهاوية تهوي بصاحبها في الدنيا إلى كل واهية، وعاقبتها إلى الهاوية[179].

النّفس الأمارة بالسوء، قال تعالى: وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ [180]؛ التوصيف هنا للنّفس الآمارة بالسّوء، أي التي: (تأمر بالقبائح والمعاصي لأنها أشد استلذاذاً بالباطل والشهوات وأكثر ميلاً إلى أنواع المنكرات، ولولا ذلك لما صارت نفوس أكثر الخلق مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء الشهوة . في الحرام . وإصدار الشرور)[181]، والباعث على السّوء فيها أصل في الخلقة؛ جاء في التفسير: (خُلقت النّفس على جبلة الآمارية بالسّوء طبعاً حين خليت إلى طبعها لا يأتي منها إلا الشر ولا تأمر بالسّوء ولكن إذا رحمها ربها ونظر إليها بنظر العناية يقلبها من طبعها ويبدل صفاتها ويجعل آماريتها مبدلة بالمأمورية وشريرتها بالخيرية)[182]، وتصديق ذلك قوله تعالى: نَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا(10) [183]، وهذا السوء نجده في النّفس الوسواسة؛ قال تعالى: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ [184]، ومثلها النّفس السّوّالة؛ التي بعد أن تأمر الإنسان بالسوء وتوسوس له بذلك، تأتي النّفس لتسوّل له فعل السوء، قال تعالى: قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ (95) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ

---

[174] تفسير السعدي: (58/1) .

[175] روح المعاني: (321/1).

[176] سورة النازعات: آية 39-41 .

[177] ينظر: تفسير البغوي: (445/4) .

[178] ينظر: التحرير والتنوير: (89/31) .

[179] ينظر: روح المعاني للآلوسي: (36/30) .

[180] سورة يوسف: آية 53 .

[181] تفسير روح البيان: (272/4).

[182] تفسير التأويلات النجمية، لنجم الدين الكبرى: (3328) .

[183] سورة الشّمس: الآيات 7،8،9،10 .

[184] سورة ق: آية 16 .

لِي نَفْسِي(96) [185]، وفي قصة نبي الله يوسف .عليه السلام . يقول تعالى: وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ(18) [186] ..

وهذا السّوء في النّفس إذا ما أُطلق تولدت منه آفات ذميمة تَمرُضُ بها النّفس الإنسانية قد ورد ذمّها والنهي عنها في القرآن الكريم؛ منها:

1- النّفس المستكبرة، قال تعالى: لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا [187]؛ الذّم هنا للنّفس المستكبرة؛ ومعناها التكبر والعناد على الحق[188]، فحين تأخذ النّفس بفجورها وتميل إلى السّوء والعصيان في سلوكها يستحوذ الشيطان عليها، ويسيطر على أفعالها فتستكبر وتغرق في مستنقع الظلم والخسران[189].. وليس للأنفس أن تتكبر؛ لأن الكبرياء لله وحده سبحانه، والإنسان مخلوق عاجز لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً إلا ما أعطاه الله من القوة، والاستكبار في النّفس تبطر على الحق، وهو أول معصية إرتكبت من إبليس مع خالقه سبحانه فكان مصيره الطّرد من رحمة الله.

2- النّفس الحاسدة، قال تعالى: وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ [190]؛ الذّم هنا للنّفس الحاسدة؛ والمقصود: (الانفعال الأسود الخسيس الذي تفيض به النّفوس الشريرة.. وذلك ما يفعله الحقد اللئيم في النّفس من الرغبة في سلب الخير من الآخرين)[191]، وفي الحسد قال الطاهر بن عاشور: (إحساس نفساني مركب من استحسان نعمة في الغيرة مع تمني زوالها عنه)[192]، وقد سمّاه رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم داء الأمم[193]؛ وذلك لما فيه من (البغض والكراهة من الحاسد لما يراه من حسن حال المحسود ، فنفسه تكره ما أنعم به على غيره)[194].

3- النّفس السفيهة، قال تعالى: وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ [195] ، الذم هنا للنّفس السّفيهة؛ والمقصود منها الدنيئة المهينة المستخفة[196]، يقول إبن عاشور في تفسيره: (وسفّه بمعنى استخف؛

---

[185] سورة طه: الآيتان 95،96 .

[186] سورة يوسف: آية 18 .

[187] سورة الفرقان: آية 21 .

[188] ينظر: فتح القدير للشوكاني: (86/4) .

[189] ينظر: أثر القرآن في ضبط نفسية الإنسان، لمحمد المصري، مقال منشور على شبكة أهل التفسير.

[190] سورة البقرة: آية 109 .

[191] في ظلال القرآن لسيد قطب: (101/1) .

[192] التحرير والتنوير: (629/30) .

[193] عن الزُّبير بن العوَّام رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: (دبَّ إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبَغْضَاء، هي الحالقة، لا أقول تحلق الشَّعر، ولكن تحلق الدِّين، والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنَّة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا، أفلا أُنبِّئكم بما يثبِّت ذلك لكم؟ أفشوا السَّلام بينكم)، سنن الترمذي: (573/4 رقم 2510).

[194] ينظر: مجموع الفتاوى: (111/10).

[195] سورة البقرة: آية 130.

[196] ينظر: تفسير السعدي: (94/1) .

لإن السّفاهة خفة العقل واضطرابه.. ومنه السّفاهة في الفعل وهو ارتكاب أفعال لا يرضى بها أهل المروءة، كالسفه في المال وهو إضاعته وقلة المبالاة به وسوء تنميته، وسفهه بمعنى استخفه وأهانه؛ لأن الاستخفاف ينشأ عنه الإهانة.. فلا يبال بإضاعة نفسه دنيا وأخرة؛ لأنها خفت وطاشت، وسرت السّفاهة من النّفس إلى صاحبها من شدة تمكنها بنفسه حتى صارت صفة لجثمانه)[197].

4- النّفس الظالمة، قال تعالى: وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ [198]، الذم ههنا للنّفس الظالمة؛ والمقصود بظلم النّفس معصيتها لله وبغيها عليه سبحانه[199]، (والقرآن مملوء من هذا. كما يقول الإمام ابن القيم رحمه الله. فلم يجيء في القرآن ذكر الظالم لنفسه إلا في معرض الوعيد والوعيد؛ كقوله تعالى: وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ [200]، وقوله تعالى: إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ(44) [201]، فالظالم لنفسه هو الذي خفت موازينه ورجحت سيئاته، والقرآن كله يدل على خسارته.. وإن ظلم النّفس قد يكون بالكفر؛ كما في قول موسى لقومه: وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ [202]؛ وبهذا يكون ظلم النّفس نوعان: نوع لا يبقى معه شيء من الإيمان وهو كما بينا ظلم النّفس بالكفر، ونوع يبقى معه حظه من الإيمان، وهو ظلم النّفس بالمعاصي)[203]، الذي يمكن فيه الرجوع إلى الله بالاستغفار؛ كما في قوله تعالى: وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ(135) [204].

5- النّفس المُسرفة، قال تعالى: قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ [205]، التوصيف هنا للنّفس المُسرفة؛ والمعنى هو الإكثار من المعاصي، والشرود عن طريق الحق حتى أثقلوا أنفسهم بالسيئات[206]، قال ابن عاشور: (والإسراف إذا اعتاده المرء حمله على التوسع في تحصيل المرغوبات، فيرتكب لذلك مذمّات كثيرة، وينتقل من ملذة إلى ملذة حتى لا يقف عند حد)[207].

---

[197] ينظر: التحرير والتنوير: (725/1) .

[198] سورة النّحل: آية 118 .

[199] ينظر: تفسير الطبري: (315/17) .

[200] سورة سبأ: آية 19 .

[201] سورة يونس: آية 44 .

[202] سورة البقرة : آية 54 .

[203] ينظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) الدار السلفية، القاهرة، مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٤ هـ، ص322.

[204] آل عمران: آية 135 .

[205] سورة الزمر: آية 53 .

[206] ينظر: التحرير والتنوير: في ظلال القرآن لسيد قطب: (3030/5) .

[207] التحرير والتنوير : (123/8) .

6- النّفس المخادعة، قال تعالى: يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ(9) [208]، الذّم ههنا للنّفس المخادعة؛ والمقصود بها الخائنة التي نكثت عهدها مع الله، وهي من قبيح الصفات وشنائع السمات[209]، قال الطبري في تفسيره: (خداع المنافق ربه والمؤمنين، إظهاره بلسانه من القول والتصديق، خلاف الذي في قلبه من الشك والتكذيب؛ ليدرأ عن نفسه حكم الله به)[210].

7- النّفس اللُّمَزَةُ[211]، قال تعالى: وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ [212]، النهي في الآية الكريمة عن النّفس اللُّمَزَةُ؛ والمقصود بها: النّفس الوقحة المباشرة بالمكروه والذم والطعن والانتقاص من الآخرين[213]، يقول الآلوسي .رحمه الله .في تفسيره: (واللمز التنبيه على المعايب أو تتبعها والمعنى؛ لا يعب بعضكم بعضا بقول أو إشارة؛ لأن المؤمنين كنفس واحدة فمتى عاب المؤمن المؤمن فكأنه عاب نفسه)[214]، وعاقبتها الطرد من رحمة الله؛ فالنّفس اللامزة مذمومة ملعونة[215] قوله تعالى: وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ(1) [216].

8- النّفس الشحيحة[217]، قال تعالى: وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [218]، التحذير في الآية من النّفس الشحيحة؛ والمقصود منها البخل والحرص المذموم ظلماً واتباعاً للهوى[219]، فالشّح في النّفس يأمر بخلاف ما يريده الله ورسوله، فإنه سبحانه ينهى عن الظلم ويأمر بالإحسان، والشح يأمر بالظلم وينهى عن الإحسان؛ يقول ابن تيمية .رحمه الله : (الشح . الحرص وقوة الرغبة في المال .يوجب البخل بمنع ما هو عليه والظلمَ بأخذ مال غيره)[220]، "وإضافة (شُحَّ) إلى النّفس . كما يقول ابن عاشور في تفسيره .للإشارة إلى أن الشح من طباع النّفس، فإن النفوس شحيحة بالأشياء المحببة إليها قال تعالى: وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ[221]، فهذا المنهي عنه"[222]، لأنه المعوق عن كل وجوه الخير،

---

[208] سورة البقرة: آية 9 .

[209] ينظر: تفسير السعدي: (210/1)، والتحرير والتنوير: (61/10) .

[210] تفسير الطبري: (1/ 273) .

[211] اللمز: العيب والوقوع في الناس، لسان العرب: (13/ 232) .

[212] سورة الحجرات: آية 11 .

[213] ينظر: التحرير والتنوير: (249/27).

[214] روح المعاني: (260/1) .

[215] ينظر: تفسير ابن كثير: (227/4) .

[216] سورة الهمزة: آية 1 .

[217] الشّح: هو منع وبخل مع حرص، يقال: تَشَاحَّ الرّجلانِ على شيء؛ أي: إذا أرادا الفوزَ به ومنْعَه عن الآخر، ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس: (3 /178) .

[218] سورة التغابن: آية 16 .

[219] ينظر: تفسير القرطبي: (135/18) .

[220] مجموع الفتاوى: (589/10) .

[221] سورة النّساء: آية 128 .

[222] التحرير والتنوير: (90/29) .

فلا يمكن أن يعمل الخير من إتصف بشح النّفس فهو يهم في كل حين أن يأخذ ولا يهم مرة بأن يعطي[223]؛ وتأتيه هذه الصفة الذميمة من ضعف النّفس وسوء الظن فيمده الشيطان حتى يتولد عنه المنع في البذل والإنفاق والجزع لفقده[224]؛ قال تعالى: وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا(21) [225] .

[223] ينظر: في ظلال القرآن: (3527/6) .

[224] ينظر: كتاب الروح لإبن القيم: (237/1) .

[225] سورة المعارج: آية 21 .

المبحث الرابع

أساليب تقويم النّفس الإنسانية في الإسلام، وبيان أثر ذلك على الفرد والمجتمع

المطلب الأول

أساليب تقويم النّفس الإنسانية في الإسلام

لمّا كانت النّفس الإنسانية في أصل كينونتها لها من نوازع الشّر ما لها من صبغة الخير؛ مصداقاً لقوله تعالى: وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (10) [226]، إذاً فقد شاء الله بإرادته أن يجعل النّفس بمثابة الطفل يحمله الإنسان في داخله، ليكون مسؤولاً عنه ومقيدة به جوارحه في عملها وأقوالها، فاستدعى ذلك أن يترك الله تعالى زِمام نفس الأنسان بيده ليسعى في تربية طفله . أي نفسه . هذا الذي بداخله كل بحسب ما آتاه الله من قوة؛ ليقوّم إعوجاجها فيكبح الشر فيها، ويسقي زرع خيرها لينمو وتزهر ثمراته.. وحيث قدّر الله سبحانه أن تكون النّفس الإنسانية مستودعاً للشر والخير معاً، لم يترك الإنسان لتتحكم به غرائز نفسه وشهواتها كما الحيوان في غابته؛ بل أوجد في الإنسان ما يعصمها ويربطها بحزم؛ وهو العقل ليدرك ماهية فعله وقوله قبل أن يخرج منه، ولأجل فلاحه في إنحسار الشر في النّفس وتغليب الخير؛ مكّن له الطريق لتربية طفل نفسه، وترويض رغباته بأساليب تقويم إذا ما اغتنمها نقّى نفسه من أمراضها وآفاتها الذّميمة؛ التي يمكن حصر أصولها بثلاث: (الكبر، وهو الذي أصار إبليس إلى ما أصاره..والحرص، وهو الذي أخرج آدم من الجنّة..والحسد، وهو الذي جرأ أحد إبني آدم على أخيه،،فمن وقِي شرّ هذه الثلاثة فقد وقِي الشّر..فالكفر من الكبر، والمعاصي من الحِرص، والبَغي والظلم من الحسد)[227]..وأساليب التقويم للنّفس الإنسانية في الإسلام شرعها الله سبحانه لتكون في أركان الدين؛ فكأنما بذلك يرشدنا إلى أن الأركان التي تقوم بها نفس الإنسان بحيث تمنعه من السقوط في الهاوية، هي أركان إسلامه؛ متى ما أخذ بالعمل بها وتذوقها قوّى ونمّا خير نفسه فنجى، ومتى ما نأى عنها وفرغ قلبه من نورها تهاوى إلى شر نفسه فغرق فيها بلا نجاة .. وسأبين إجمالاً أثر أركان الإسلام في تقويم النّفس مع التمثيل لأساليب التقويم العملية منها والروحية؛ وكما يأتي:

أولاً: تقويم النّفس الإنسانية بتذوق الشهادتين، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؛ وصفة ذلك ما جاء في كتابنا روح التوحيد . أن (الإنسان روح ومادة، نية وعمل، تتغذى الروح فترتوي النّفس والجوارح، وفي التكوين البشري تبقى الروح في الجّسد تبحث وتستقصي راحتها ولا تستقر إلا لما خُلقت له ألا وهو التوحيد، فتطمئن ويسكن روعها، وإلا فبدون ذلك تبقى في تيه العتمة وظلام النّفس، لكنها حين تهتدي للتوحيد يحل الإيمان في القلب وتتوهج به النّفس والجوارح وتسعى لتلبية نداء الخالق العظيم؛

---

[226] سورة الشّمس: الآيات 7- 10.

[227] كتاب الفوائد لإبن القيم: ص105 .

فتصلح النّفس ويصلح العمل تبعاً لصفاء روح التوحيد فيها)[228]، فتذوق الإنسان للشهادة قلباً ولساناً من شأنه أن يزكي النّفس ويصلح عمل الجوارح، وحصول ذلك .كما يقول الإمام ابن القيم رحمه الله .يكون : (لمن تمكنت كلمة التوحيد في قلبه بحقيقتها وانصبغ بها بصبغة الله التي لا أحسن صبغة منها فعرف الحقيقة الإلهية التي يثبتها قلبه لله ويشهد بها لسانه وتصدقها جوارحه، ونفى تلك الحقيقة ولوازمها عن كل ما سوى الله وعضد قلبه لسانه في هذا النفي والإثبات وانقادت جوارحه لمن شهد له بالربوبية والوحدانية طائعة سالكة سبل ربه ذللاً غير ناكبة عنها ولا باغية سواها بدلاً)[229]، فلا يكون الإنسان المسلم مؤمناً ما لم يقرن نطقه لكلمة التوحيد بلسانه مع إخلاص قلبه وصلاح نفسه، وعمل جوارحه بطاعة الله[230]؛ قال تعالى: فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا [231]، إذن فالشهادتين تتطلب التسليم لله وطاعته، والعمل بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ليصل إلى رضا الله ومحبته؛ والفوز بمحبة الله لا تحصل إلا بعد قهر النّفس الأمارة بالسوء، والتطهر من أحوالها الذّميمة كالغضب والشتم والضرب والقهر وغيرها، والشيطانية كالحسد والكبر والعُجب والحقد وغير ذلك من آفات النّفس، التي إذا تطهرت منها فقد سلمت من أصل الذنوب، وإنما إزالة هذه الذمائم بتصفية مرآة النّفس بكلمة التوحيد، وبالعلم والعمل الصالح، ومجاهدة نوازع النّفس القوية، حتى ترفع الظُلمة ويعم النّور أركان النّفس، فتتحول إلى نفس مطمئنة بالإيمان يفيض منها نور التقوى، مستلذة بصلاحها في طاعة الله، ومستقبحة السوء والمعاصي[232]، فمتى ما تمكنت الشهادة في النّفس بترسيخ الإيمان بوحدانية الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، يتحقق إسلوب تقويم النّفس؛ لأن في ذلك مفتاح الطريق للصلاح وبدونه لاتنفع ولا تتم[233]، كما يقول المحاسبي .رحمه الله .(أول ما يلزمك من صلاح نفسك الذي لا صلاح لها في غيره أن تعلم أنها مربوبة متعبدة وأنه لا نجاة للمربوب المتعبد إلا بطاعة ربه ومولاه، وأن الدليل على طاعة ربه سبحانه هو العلم ثم العمل بأمره ونهيه في مواضعه وعلله وأسبابه، ولن يجد ذلك إلا في كتاب ربه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم)[234]؛ إذن فليس المراد بالإيمان حركة اللسان، وحديث النّفس بكلمتي الشهادة خالية من تذوقها بإخلاص، وتشربّها النّفس صلاحاً، والجوارح عملاً وطاعة.

ثانياً: تقويم النّفس الإنسانية بأداء وروح الصلاة المكتوبة، ففي أداء الصلاة أفعال هي تذلل وخضوع لله سبحانه من ركوع وقيام وسجود، وروح الصلاة أعمال قلبية من نية واستعداد للوقوف بين يدي الله[235]،

---

[228] روح التوحيد في العقيدة الإسلامية، د. شيماء ياسين الرفاعي، ص 33.

[229] إعلام الموقعين: (144/1) .

[230] ينظر: مجموع الفتاوى لأبن تيمية: (296/7) .

[231] سورة الكهف: آية 110 .

[232] ينظر: سر الأسرار للجيلاني: ص42 .

[233] ينظر: تربيتنا الروحية لسعيد حوى: ص146 .

[234] الرعاية لحقوق الله، للمحاسبي: ص35 .

[235] ينظر: التحرير والتنوير لإبن عاشور: (258/21) .

وقد وصفها البقاعي .رحمه الله .(بالمقصد الأعظم من الصلاة، وهو مراقبة من يصلي لله حتى كأنه يراه ليكون بذلك في أعظم الذكر .. فمن استحضر ذلك بقلبه هان عنده كل شيء سواه ، ومن ذكره .سبحانه .أوشك أن يرق قلبه، ومن رق قلبه استنار لبه، فأوشك أن ينهاه هذا الذكر المثمر لهذه الثمرة عن المعصية)[236]، لنفهم أن الصلاة بمجموعها عاصمة للنّفس عن سوئها، كما قال تعالى: إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ [237]، ووجه ذلك: (أن العبد المقيم للصلاة، المتمم لأركانها وشروطها وخشوعها، يستنير قلبه، ويتطهر فؤاده، ويزداد إيمانه، وتقوى رغبته في الخير، وتقل أو تعدم رغبته في الشر، فبالضرورة، مداومتها والمحافظة عليها على هذا الوجه، تنهى عن الفحشاء .وهو كل ما استعظم واستفحش من المعاصي التي تشتهيها النفوس . والمنكر . وهو كل معصية تنكرها العقول والفطرة . وهذا من أعظم مقاصدها وثمراتها)[238]، ولما كانت النّفوس تحتاج في كل وقت إلى كبح جموحها وتقويم معوج طباعها ومنحرف مزاجها، وتمرينها على شاق الكلف؛ فقد إقتضت الحكمة الإلهية جعل الصلوات مقسمة على مواقيت من النهار والليل؛ يتجدد التذكير فيها وتتعاقب المواعظ، فعلى قدر تكرر الصلاة تزداد خواطر التقوى في النّفس وتتباعد من العصيان حتى تصير تقوى الله ملكة للنّفس، وهذه خاصية إلهية جعلها الله في الصلاة يكون بها تيسير الانتهاء عن الفحشاء والمنكر، ما إن تمسك بها عملاً وقلباً مكنته من تقويم نفسه والاستعانة بالله عليها ليطرد وسواسها بالسوء، ويستقر الصلاح وحب الخير فيها[239]، فالصلة بين الصلاة أداءً وروحاً وبين تقويم نفس الإنسان وتزكيتها من السوء صلة أقرها الخالق العظيم؛ لتكون حياة الإنسان حياته بصلاته التي لا يتم فيها تقويم النّفس إلا إذا راعى فيها . كما يذكر الأئمة الصالحون . (حضور القلب، والتفهم، والتعظيم، والهيبة، والرجا، والحياء)[240]، فتتشرب الروح بعمل الجوارح ويحصل بالتذلل لله تذلل النّفس وانكسارها لخالقها فتحيد عن مجانبة الحق وتنطوي على فعل الخير وترك السّوء، وصورة هذه الصلاة أنه: (إذا ركع فالأدب في ركوعه أن ينصب ويدنو ويتدلى حتى لا يبقى فيه مفصل إلا وهو منتصب نحو الحق تعالى، ثم يُعّظم ربه حتى لا يكون في قلبه شيء أعظم من الله عزّ وجلّ، ويصغّر نفسه حتى يكون أقل من الهباء، فإذا رفع رأسه وحمد الله يعلم أنه هو الذي يسمع ذلك، وإذا سجد فالأدب في سجوده أن لا يكون في قلبه عند السجود شيء أقرب إليه من الله تعالى؛ لأن أقرب ما يكون العبد من ربه عند السجود فيجب أن ينزهه عن الأضداد بلسانه ولا يكون في قلبه أجلّ منه ولا أعزّ منه، ويتم صلاته على هذا ويكون معه من الخشية والهيبة ما يكاد أن يذوب، ولا يكون له في صلاته شغل أكثر من شغله بها حتى لا يشتغل بشيء غير الذي هو واقف بين يديه حتى يخرج

---

[236] ينظر: نظم الدرر للبقاعي: (447/14) .

[237] سورة العنكبوت: آية 45 .

[238] تفسير السعدي: (317/6) .

[239] ينظر: تفسير البقاعي: (447/14)، والتحرير والتنوير: (258/21) .

[240] ينظر: إحياء علوم الدين: (199/1)، وطي السجل لهاء الدين الرفاعي الرّواس، تحقيق: عبد الحكيم بن سليم، الطبعة الأولى، لسنة 1319هـ، ص183 .

من الصلاة بالعقد الذي قد دخل فيها[241]، وعند فراغهم من الصلاة، يسيطر على قلوبهم الشعور بالإشفاق والوجل والهم؛ خوفاً ألاّ تقبل منهم صلاتهم)[242].

ثالثاً: تقويم النّفس الإنسانية بالصوم عملاً وروحاً؛ وصورة ذلك بالإمساك عن الأكل والشرب ومواقعة النساء عملاً، والإمساك عن كل النواهي والذمائم روحاً؛ كالغيبة والسخرية من الناس والنميمة والكِبر والعُجب والحسد وغير ذلك من أحوال النّفس الذميمة[243]؛ يقول الإمام الغزالي .رحمه الله : الصوم إلزام النّفس بغض البصر عن كل ما يذم ويُكره، وحفظ اللسان عن كل ذميمة وفاحشة، وكفُّ السمع عن كل ما يكره ويحرم، وكفُّ اليد والقدم عن المكاره، وكفُّ البطن عن الإفطار على الحرام، وإبقاء القلب بعد الإفطار معلقاً بين التذلل والرجاء لربه[244]، وبيان ذلك كله في قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(183) [245]؛ حيث أنه تعالى أمر بفرض الصيام مع ذكر الحكمة منه، وهي تقويم نفس الإنسان كما يذكر ذلك الشيخ محمد رشيد رضا في تفسيره للآية: (هذا تعليل لكتابة الصيام ببيان فائدته الكبرى وحكمته العليا ، وهو أنه يعد نفس الصائم لتقوى الله تعالى بترك شهواته الطبيعية المباحة الميسورة امتثالا لأمره واحتساباً للأجر عنده ، فتتربى بذلك إرادته على ملكة ترك الشهوات المحرمة والصبر عنها فيكون اجتنابها أيسر عليه ، وتقوى على النهوض بالطاعات والمصالح والاصطبار عليها فيكون الثبات عليها أهون عليه.. فليس الصيام في الإسلام لتعذيب النفس لذاته بل لتربيتها وتزكيتها ؛لأنه يعدنا للسعادة بالتقوى، وأن الله غني عنا وعن عملنا، وما كتب علينا الصيام إلا لمنفعتنا..وإعداد الصيام نفوس الصائمين لتقوى الله تعالى يظهر من وجوه كثيرة أعظمها شأناً، وأنصعها برهاناً وأظهرها أثراً، وأعلاها شرفا أنه أمر موكول إلى نفس الصائم لا رقيب عليه فيه إلا الله تعالى، وسر بين العبد وربه لا يشرف عليه أحد غيره سبحانه، فإذا ترك الإنسان شهواته ولذاته التي تعرض له في عامة الأوقات لمجرد الامتثال لأمر ربه والخضوع لإرشاد دينه مدة شهر كامل في السنة ، ملاحظا عند عروض كل رغبة له من أكل نفيس، وشراب عذب، وفاكهة يانعة، وغير ذلك كزينة زوجة أو جمالها الداعي إلى ملابستها أنه لولا اطلاع الله تعالى عليه ومراقبته له لما صبر عن تناولها وهو في أشد التوق لها، لا جرم أنه يحصل له من تكرار هذه الملاحظة المصاحبة للعمل ملكة المراقبة لله تعالى والحياء منه سبحانه أن يراه حيث نهاه، وفي هذه المراقبة من كمال الإيمان بالله تعالى والاستغراق في تعظيمه وتقديسه أكبر معد للنفوس ومؤهل لها لضبط النفس ونزاهتها في الدنيا، ولسعادتها في الآخرة وكما تؤهل هذه المراقبة النفوس المتحلية بها لسعادة الآخرة تؤهلها لسعادة الدنيا أيضاً، أنظرهل يقدم من تلابس هذه المراقبة قلبه على غش الناس ومخادعتهم؟

---

[241] ينظر: اللمع للطوسي: ص153-154.

[242] ينظر: الوصايا للمحاسبي: ص379 .

[243] ينظر: سر الأسرار للجيلاني: ص58 .

[244] ينظر: إحياء علوم الدين: (277/1 وما بعدها) .

[245] سورة البقرة: آية 183.

هل يسهل عليه أن يراه الله آكلاً لأموالهم بالباطل؟ هل يحتال على الله تعالى في منع الزكاة وهدم هذا الركن الركين من أركان دينه؟ وهل يحتال على أكل الربا؟ وهل يقترف المنكرات جهاراً؟ هل يجترح السيئات ويسدل بينه وبين الله ستاراً؟ إن صاحب هذه المراقبة لا يسترسل في المعاصي; إذ لا يطول أمد غفلته عن الله تعالى، وإذا نسي وألم بشيء منها يكون سريع التذكر قريب الفيء والرجوع بالتوبة الصحيحة، فيكون الصيام أعظم مرب للإرادة ، وكابح لجماح الأهواء ، فأجدر بالصائم أن يكون حراً يعمل ما يعتقد أنه خير، لا عبداً للشهوات، فإنما روح الصوم وسره في هذا القصد والملاحظة التي تحدث هذه المراقبة ، وهذا هو معنى كون العمل لوجه الله تعالى، وذكر بعضهم: أن الصوم يكسر الشهوة بطبعه فتضعف النفوس ويعجز الإنسان عن الشهوات والمعاصي؛ لأن المراد أن تأثيره في تربية النفس وتقوية الإيمان يجعل صاحبه مالكا لنفسه يصرفها حسب الشرع لا حسب الشهوة.. ومن وجوه إعداد الصوم للتقوى أن الصائم عندما يجوع يتذكر من لا يجد قوتا فيحمله التذكر على الرأفة والرحمة الداعيتين إلى البذل والصدقة، ومن فوائد عبادة الصيام الاجتماعية المساواة فيه بين الأغنياء والفقراء والملوك والسوقة، ومنها تعليم الأمة النظام في المعيشة، فجميع المسلمين يفطرون في وقت واحد لا يتقدم أحد على آخر دقيقة واحدة وقلما يتأخر عنه دقيقة واحدة، وأعظم فوائده كلها الفائدة الروحية التعبدية المقصودة بالذات، وهي أن يصوم لوجه الله تعالى ولا أشك في أن من يصوم على هذا الوجه يكون راضياً مرضياً، مطمئناً بحيث لا يجد في نفسه اضطراباً ولا انزعاجاً)[246].

رابعاً: تقويم النّفس الإنسانية بالزكاة روحاً ومادة؛ وصورة ذلك: أن مادة الزكاة أخذ نصاب أموال الأغنياء ودفعها للفقراء، وهي فريضة على كل مسلم تتوافر فيه شروطها، يؤديها طواعية طاعة وعبادة لله أو جبراً إمتثالاً لأمر الله[247]، أما الصورة الروحية ففي زكاة المال تطهير للنفوس وتنقية لسريرة من الأوصاف الذميمة كالبخل والحرص والشح والطمع والأنانية، وفيه صيانة للنفس من الصفات القبيحة كالحقد والبغض والكراهية[248]، يقول الماوردي: (أداء الزكاة يمرن النّفس على السماحة المحمودة؛ لأن السماحة تبعث النّفس على أداء الحقوق والشح يصد عنها)[249]، (ومن فوائد دفع الزكاة - كما يقول إبن قدامة – أنها إبتلاء مدعي محبة الله تعالى، وإخراج محبوبه وتنزيهه عن صفة البخل المهلك وشكر نعمة المال)[250]، وفيها طهارة للقلب والنّفس من ذميمة الشّح، وغريزة الأنانية وحب الذات[251]، كما وتستلزم الزكاة الطهارة؛ لأن في

---

[246] تفسير المنار: (116/2) .

[247] ينظر: نظرات في الإسلام، د. محمد عبدالله دراز، المكتبة الفنية، الطبعة الأولى لسنة1958م، ص33-34، والزكاة وأثرها التربوي، لرقية سعيد، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك/كلية الشريعة الإسلامية، لسنة 1996م، ص98 .

[248] ينظر: أثر الزكاة في العلاقات الإنسانية، لمحمد عباس عرابي، مقال على الشبكة العنكبوتية على الرابط: https://www.alukah.net/authors/view/home/6251/

[249] أدب الدنيا، لعلي بن محمد الماوردي، دار الفكر- بيروت، ص98 .

[250] مختصر منهاج القاصدين للإمام أحمد بن قدامة، دار الهجرة- بيروت لسنة1986م، ص92 .

[251] ينظر: العدالة الاجتماعية في الإسلام، لسيد قطب، ص114 .

معناها معنى الطهارة[252]؛ قال تعالى: خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا [253]، وقد جاء في تفسيرها: (إن كل من القلب والبدن محتاج إلى أن يتربى؛ فينمو ويزيد حتى يكمل ويصلح فكما أن البدن محتاج إلى أن يزكو بالأغذية المصلحة له والحمية عما يضره، فلا ينمو إلا بإعطائه ما ينفعه، ومنع ما يضره، فكذلك القلب لا يزكو ولا ينمو، ولا يتم صلاحه إلا بذلك، ولا سبيل له إلى الوصول إلى ذلك إلا من القرآن، وإن وصل إلى شيء منه من غيره فهو نزر يسير لا يحصله به تمام المقصود، وكذلك الزرع لا يتم إلا بهذين الأمرين، فحينئذ يقال: زكا الزرع وكمل، ولما كانت حياته ونعيمه لا تتم إلا بزكاته وطهارته لم يكن بد من ذكر هذا وهذا..فجمع بين الأمرين: الطهارة والزكاة، لتلازمهما؛ فإن نجاسة الفواحش والمعاصي في القلب بمنزلة الأخلاط الرديئة في البدن، وبمنزلة الدغل في الزرع، وبمنزلة الخبث في الذهب والفضة والنحاس والحديد، فكما أن البدن إذا استفرغ من الأخلاط الرديئة تخلصت القوة الطبيعية منها فاستراحت، فعملت عملها بلا معوق ولا ممانع، فنما البدن، فكذلك القلب إذا تخلص من الذنوب بالتوبة فقد استفرغ من تخليطه، فتخلصت إرادة القلب وإرادته للخير، فاستراح من تلك الجواذب الفاسدة والمواد الرديئة)[254].

خامساً: تقويم النّفس الإنسانية بركن الحج بدنياً وروحياً؛ وصورة ذلك: (أنهم إذا نزعوا ثيابهم للإحرام؛ نزعوا كذلك عن أسرارهم عوالق الدنيا وحلّوها عن قلوبهم، وتكون التلبية لهم توبة عن إجابة أي داعٍ من دواعي النّفس والشيطان والهوى، فإذا نظروا إلى البيت بأعين رؤوسهم، نظروا بأعين قلوبهم إلى من دعاهم إليه، حتى إذا طافوا بالبيت أحضروا في قلوبهم التعظيم والخوف والرجاء والمحبة..فإذا سعوا بين الصفا والمروة تذكروا ترددهم بين كفتي الميزان في عرصات القيامة، ناظرين إلى الرجحان والنقصان ما بين العذاب والغفران، كما يمثل عندهم الوقوف بعرفة بما فيها من ازدحام الخلق وارتفاع الأصوات واختلاف اللغات، عرصات القيامة واجتماع الأمم مع الأنبياء والأئمة، واقتفاء كل أمة نبيها وطمعهم في شفاعتهم، فيلزمون قلوبهم الضراعة والابتهال إلى الله عز وجل، وعند كسرهم الحجارة للرمي فإنهم يكسرون معها إرادت بواطنهم وشهوات أسرارهم، حتى إذا رموها أحسنوا الأدب ونظروا إلى أعمالهم وتذكروا حال إبراهيم الخليل - عليه السلام – حين عرض له الشيطان فرماه بالحجارة طرداً له وقطعاً لأمله، فإذا حلقوا رؤوسهم فأدبهم أن يحلقوا عن بواطنهم حب الثناء والمحمدة، وصولاً إلى ذبح الهدي الذي يبدءون فيه بذبح شرور نفوسهم، وهذا هو حالهم في سائر شعائر الحج)[255]، فروح الحج؛ (ملازمة الذّكر باللسان، وملاحظة معناه حتى تحصل حياة القلب له، ثم يشتغل بذكر الباطن حتى يصفيه..وتبديل السيئات إلى الحسنات، والعتق من التصرفات النفسانية، ثم الأمن من الخوف والحزن)[256]؛ قال تعالى: وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى

---

[252] ينظر: مكارم الأخلاق، لإبن تيمية، دار الخير، بيروت لسنة1994م، ص92 .

[253] سورة التوبة: آية 103 .

[254] إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، لإبن القيم:(46/1) .

[255] اللمع للطوسي: ص171-174، وينظر: إحياء علوم الدين للغزالي: (314/1)، ومختصر منهاج القاصدين للمقدسي: ص32 .

[256] سر الأسرار للشيخ عبد القادر الجيلاني: ص59 .

كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (27) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (28) [257]، وفي تفسيرها يذكر إبن عربي - رحمه الله-: (الدعوة إلى مقام القلب وزيارته، مجرّدين عن صفات النفوس ، بطول الرياضة والمجاهدة.. ليشهدوا منافع من الفوائد العلمية والعملية المستفادة من مقام القلب، والعمل بصفاته سبحانه.. وأفيدوا البائس الطالب القوي النفس، الذي أصابه شدّة من غلبة صفاتها واستيلاء هيئاتها للتهذيب والتأديب، والفقير الضعيف النفس، القديم العلم، الذي أضعفه عدم التعليم والتربية المحتاج إليها..وفي الجملة: بقايا تلوينات النفس ..فقضاء التفث التزكية وإزالة الموانع والإيفاء بالنذور والتحلية وتحصيل المعارف .. ومن يعظم حرمات الله وهي مالا يحل هتكه وتطهيره والقربان بالنفس وجميع ما ذكر من المناسك كالتحلي بالفضائل، واجتناب الرذائل، والتعرّض للأنوار في التجليّات، والاتصاف بالصفات، والترقي في المقامات؛ فهو خير له في حضرة ربّه ومقعد قربه)[258].

وتقويم النّفس عن طريق ما تقدم باعثه المخافة من سخط الله، والطمع في رضوانه، جاء في شفاء النّفس: (النّفس لا تصبر على حرمانها مما تشتهي إلا إذا أيقنت بوعد صادق أنها ستعوض بما هو خير وأبقى، ومثلها في ذلك كمن افتقد دراهمه فاشتد حزنه وضاق ذرعاً، فإذا آتاه من يخبره بأنه سيعطيه أضعاف ما فقد إطمأن وانشرح صدره وتحول الحزن إلى سرور، وهكذا شأن المجاهدة - تقويم النّفس – يعاني صاحبها من شدائدها في بادئ الامر، فإذا ارتقى إيمانه وازداد يقينه بوعد الله سبحانه في عظيم اجره سارع بنشاط إلى متابعة الطريق حتى ينتصر على نفسه فيحس بلذة الظفر ويتذوق حلاوة الإيمان .. - وسلوك التقويم - أن يبتعد عن مواطن المعاصي والمنكرات، ومجالس اللهو ورفاق السوء، فهي كالأمراض المعدية إذا خالطها تأثر بها ولو بعد حين، وينبغي على المجاهد نفسه أن يتدرج في المجاهدة، فلا يحاسب نفسه الآمارة في ساعة من الزمن، كأنه يريد أن ينقض عليه انقضاضاً حتى تتخلى عن جميع الصفات المذمومة وتتحلى بالصفات المحمودة دفعة واحدة، فإن هذا مخالف لطبيعة البشر، بل لا بدّ له من تقوية الهدف الباعث لذلك ثم العزم والتصميم والثّقة في النّفس، وعدم التردد حتى يحصل الهدف ويصبح ذلك ملكةً وطبعاً مألوفاً، وهذا الإسلوب في المجاهدة هو الذي اتبعه الإسلام في تحريم الخمر والربا وغيرهما من المنكرات التي كانت متأصلة في النّفوس، أما إذا رأى العبد من نفسه ميلاً إلى المعاصي وتقصيراً في الطاعات ولم تطاوعه نفسه على سلوك طريق الحق؛ فعليه المبادرة إلى معاقبتها بعقوبة مشروعة حتى تنزجر وتستقيم كما يعاقب الأب ولده العاصي لتاديبه وتربيته)[259]، هذا ويتوجب على من أراد أن يقوّم نفسه ويهذبها (أن يبدأ بمعرفتها أولاً - كما يقول الإمام التستري رحمه الله – فلا يصح له أدب النّفس والضبط إلا بعد المعرفة بنفسه ومساوئها، فعندما

---

[257] سورة الحج: آية 27-28 .

[258] ينظر: تفسير إبن عربي: (51/2) .

[259] ينظر: شفاء النّفس لكرزون: ص217-233 .

يؤدب نفسه يصلح له الأدب)[260]، وفي كيفية معاقبتها أجاب المحاسبي - رحمه الله – قائلاً: (تفرق بينها وبين محابها، وتأخذ سوط الخشية لها، بدوام الرعاية لها في سعيها، وتضاعف عليها أورادها، وتزيد كدّها، وتنقص من غذائها، وتقطعها عن ملاذها، وتجرعها غيظ التهديد زجراً لها، حتى يغلب سلطان رعايتك سلطان كبرها)[261]، لكن وكما أشرنا لا بدّ أن ينتبه السالك في طريق تقويم نفسه على ضرورة الإلتزام بالاعتدال في ذلك؛ بما لا يؤدي بالنّفس إلى إرهاقها ولا يصل بها إلى السّامة والملل، كما في جاء في الحديث عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السّامة علينا)[262]، وذلك يكون بترويحها بين الوقت والآخر ببعض من المباحات لتقوى بها على الصبر والطاعات[263] .

ولا بد في خضم معركة تقويم الإنسان لنفسه أن تكون عاقبتها إحدى الحالات التي وصفها لنا الإمام إبن القيم - رحمه الله – بقوله: (الأولى: تغلب داعي الدين على داعي الهوى - وهي عاقبة الخير لصاحبها -، وهذا الظفر لا يصل العبد إليه إلا بدوام المجاهدة والصبر حتى تتزكى النّفس وتسمو، والثانية: تغلب داعي الهوى على باعث النّفس - وهي عاقبة الخسران لصاحبها-؛ وذلك عندما تكون المجاهدة متراخية أو ضعيفة، فتكون الغلبة لداعي الهوى، ويستسلم البائس للشيطان وجنده حتى يكون تابعاً لهم، وقد تغلب عليه شهوته ويشتري الحياة الدنيا بالآخرة حتى يصبر الشيطان من جنده، وهذه حال الفاجر القوي المتسلط، والثالثة: أن تكون الحرب سجالاً بين المرء وهواه؛ فتارة له وتارة عليه، هذه حال أكثر المؤمنين الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، وعندها ينبغي عليه إلا ينفذ صبره ويستسلم لشرور نفسه، وإنما يصر على المضي إلى هدفه، ويسارع إلى الإستقامة كلما تعثر، ويضع نصب عينيه عقبى المتقين وعقبى الفجار في دار الآخرة، مما يزيد صبره على المجاهدة خوفاً من عذاب الله تعالى ورجاءً لرحمته)[264].

المطلب الثاني

أثر تقويم النّفس الإنسانية على الفرد والمجتمع

لما كان الإنسان خليفة الله على الإرض كان حرياً به أن يتصف بصفات الخير ويبتعد عن صفات السوء؛ وإذا ما تحرى الإنسان في حياته تقويم نفسه في كل صغيرة وكبيرة صار جديراً بخلافته هذه؛ وذلك لأن تقويم الإنسان لنفسه يستدعي صلاحه في ذاته ومع الآخرين، نتيجة ما اكتسبته نفسه من ثروة أخلاقية عالية مليئة بالاستقامة في دينه ودنياه؛ كما في الحديث: (لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه)[265]، ولما تعمق في نفسه من فضيلة الصدق، وحفظ اللسان عن كل

---

[260] من التراث الصوفي للتستري: (323/2).

[261] الوصايا : 231 .

[262] صحيح البخاري: (25/1)، في باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة والعلم.

[263] ينظر: شفاء النّفس لكرزون: ص226 .

[264] عدة الصابرين: ص27-30 .

[265] مسند الإمام أحمد بن حنبل: (198/3) .

ذميمة من كذب ونفاق ونميمة ونحوها، كما وإن من شأن تقويم النّفس أن تجعل من صاحبها فرداً عفيفاً، عدلاً، غاضاً لبصره، حافظاً جوارحه عن الآثام، مؤدياً ما عليه من واجبات، محباً لإخوانه، فضلاً عن ذلك فهي تورث الفرد الحكمة والوقار والشهامة والحياء والسخاء والمسامحة والورع والبعد عن الطمع والقناعة ومساعدة الآخرين، وأمثالها من الأخلاق المحمودة[266].

وبالتالي فإن تواجد أمثال هذه الأفراد في مجتمعاتهم يتصفون بمثل هذه الأخلاق والمبادئ؛ يتكون: (المجتمع الذي يهدف إليه الإسلام ويرضاه الله ورسوله، فبهؤلاء الأفراد وعن طريق دعوتهم وأساليب غرسهم للآداب والأخلاق تبنى المجتمعات على أساس منهجي إسلامي قائم على السلوك والتوجيه والمتابعة، والشعور بالمسؤولية، ومراقبة الله تعالى وخشيته، فتسود القيم الأصيلة، والفضائل الأخلاقية، والمبادئ الإسلامية المثالية السامية، كالإخوة، والمساواة، والإيثار، والتعاون، والتواد، والتراحم، والمحبة في الله، والاتحاد وجمع الكلمة، ومن شأن هذا كله أن يكون سداً منيعاً وقوة تكبح جماح ما يواجهه المجتمع من تيارات مادية وتحديات فكرية تحاول تفكيك أواصر هذا المجتمع الإسلامي المتوحد بأفراده، فضلاً عن أن هذا يؤدي إلى حلّ المنازعات والقضاء على السلوك السلبي بين بعض الأفراد، وإصلاح نفوسهم، وتهذيبهم، وتحويلهم، من عناصر شر داخل المجتمع إلى عناصر خير، فيقام السلام والامن في ربوع البلاد)[267]، إذن فبرجوع الأفراد إلى مبادئ إسلامهم وقيم دينهم، واتبعوا خطوات تقويم أنفسهم حتى تصبح كل حياتهم بحسب ما أراده الله منهم؛ فيقيناً سيكون لهم ولمجتمعهم كل سبل الخير، قال تعالى: الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(64) [268]، فيحظون بذلك حالاً رفيعة من الأمان وطمأنينة العيش وسكوناً يعضده أمن صحيح شبيه بالعيان، ثمرات لا يحظى بها إلا من قوي إيمانه فرجح عقله، وصفت نفسه وضبطت دواعي شهوته[269]، قال تعالى: الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ(28) [270].

نجد مما تقدم أن تقويم النفوس بشرع الله وقيم الإسلام؛ يمثل بنيان متين لقيام مجتمع إسلامي متماسك يهدف إلى نشر الأخلاق الفاضلة والقيم السامية وتحقيق قوله تعالى: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ [271].

الخـاتمـة

---

[266] ينظر: الأربعين في أصول الدين للإمام الغزالي: ص137 .

[267] العبادة وآثارها النفسية والاجتماعية، لنظام الدين عبد الحميد، مكتبة القدس، بغداد لسنة 1985م، ص62،63، وينظر: علم التصوف وأثره في العبادات، د. منى ياسين الرفاعي، مطبعة ديوان الوقف السني، بغداد، الطبعة الأولى لسنة 2009م، ص257 .

[268] سورة يونس: 63 -64 .

[269] ينظر: مدارج السالكين لإبن القيم: (512/2)، واللمع للطوسي: ص68 .

[270] سورة الرعد: آية 28 .

[271] سورة آل عمران آية 110 .

بعد حمد الله والثناء عليه؛ أذكر أهم ما أسفر عنه البحث من نتائج؛ وكالآتي:

1. إن لفظ (تقويم) أصله الإستقامة، ومعانيه متنوعة؛ وهي تناسب الموضوع؛ فهي إعتدال النفس، والمحافظة على اتزانها، وثقافها بتقويم اعوجاجها، وتوجيهها إلى جادة الصواب، وحملها على العدل، والإخذ بها إلى تمام أمرها، والسير بها على النظام، وثباتها على الصلاح والخير .
2. التقويم اصطلاحاً: تقدير الشيء وإعطاؤه قيمة ما، والحكم عليه وإصلاح إعوجاجه.
3. للتقويم في اللغة ألفاظ توافق معناه، وفي العقيدة والشرع ما يتصل بمصطلح التقويم في القصد والغاية، منها: التهذيب، التزكية، الترويض، الإصلاح، المجاهدة، التطهير .
4. النفس في أصل اللغة معانيها متنوعة؛ وتناسب الموضوع فهي حقيقة الإنسان، وما يصيبها من العَظَمة والكِبر، والعاطفة التي تسيطر عليه، وضميرها الحي، والخُلُق الواجب أن تتحلى به، ورّوعها المطمئن بالإيمان، والإنسان الذي يُقَيَم بها، والبعد بينها وبين السوء، والتوسع بصلاحها، والإباء عمّا يدنيها، والأنفة عمّا يحقرها، والإمتداد في الخير، والزيادة من التنزيه، وعقوبتها إذا زلّت .
5. النّفس الإنسانية هي قوى العقل والشهوة والغضب، الاعتدال فيها فضيلة وإطرّافها رذيلة.
6. النّفس الإنسانية بين منزلتي الخير والشر اللتين بذاتهما يستدعيان تذبذب النّفس الإنسانية طيلة حياتها الدنيا بين مستويات متعددة: إما في تزكيتها إلى بلوغ منتهاها، أو في ضلالها إلى وصول قاع فسادها؛ وهذا مما جعل النّفس الإنسانية تقسم في عقيدة الإسلام على مراتب؛ وأحصاء هذه الصفات يختلف بحسب كيفية تقسيمها .
7. السّوء في النّفس إذا ما أُطلق تولدت منه آفات ذميمة تَمرُضُ بها النّفس الإنسانية قد ورد ذمّها والنهي عنها في القرآن الكريم .
8. من أساليب التقويم للنّفس الإنسانية في الإسلام ما شرعها الله سبحانه لتكون في أركان الدين الخمسة روحاً وعملاً .
9. على السالك في طريق تقويم نفسه ضرورة الإلتزام بالاعتدال في ذلك؛ بما لا يؤدي بالنّفس إلى إرهاقها ولا يصل بها إلى السّامة والملل .
10. تقويم النفوس بشرع الله وقيم الإسلام؛ يمثل بنيان متين لقيام مجتمع إسلامي متماسك يهدف إلى نشر الأخلاق الفاضلة والقيم السامية .

المصادر

القرآن الكريم

1. الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي(ت911هـ)، بيروت ط1، 1407هـ=1987م .
2. إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي (ت505هـ)، تحقيق: محمد ثامر،القاهرة1987م.
3. أصول التربية الإسلامية وأساليبها، لعبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر، دمشق، ط3،2004م.
4. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لأبي بكر الزرعي، تحقيق: محمد الفقي، دار المعرفة، ط2.
5. الإشارات النّفسية في لقرآن الكريم، د. لطفي الشريفي، مصر، مطبعة المعارف،2008م.
6. بصائر ذوي التمييز، لمجد الدين الفيروز آبادي، تحقيق: محمد النجار، المكتبة العلمية، بيروت.
7. تاج العروس، لمرتضى الزبيدي، تحقيق: عبد الستار الفراج، الكويت، 1385م .
8. تربيتنا الروحية، لسعيد حوى، مطبعة دار السلام .
9. التعريفات، للشريف الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الآبادي، دار الكتاب العربي، بيروت،ط1.
10. تفسير القرآن الحكيم - تفسير المنار -، لمحمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، ط1، 1999م.
11. تفسير القرآن العظيم، لعماد الدين بن كثير، دار طيبة، الرياض،ط3، 1999م.
21. تفسير أبي السعود، لأبي السعود محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت1983م.
22. التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، مؤسسة التاريخ، بيروت/ لبنان .
23. التوقيف على مهمات التعاريف، لمحمد المناوي، تحقيق: د. محمد الداية، دار الفكر،ط1.
24. تفسير الدر المنشور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي، دار المعرفة، بيروت.
25. تفسير جامع البيان عن تأويل آيات القرآن، لأبي جعفر الطبري، دار الفكر، بيروت1988م.
26. تفسير الكشاف، لجار الله الزمخشري، تحقيق: مصطفى حسين، دار التراث العربي،ط3.
27. تفسير فتح القدير، لمحمد الشوكاني، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1983م .
28. حقائق عن التصوف، لعبد القادر عيسى، مطبعة النواعير، العراق،الرمادي،1993م.
29. الرسالة القشيرية، لأبي القاسم عبد الكريم القشيري، مطبعة منير، بغداد.
30. الروح في الكلام، لأبي عبد الله محمد الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت1975م.
31. زاد المعاد في هدي خير العباد، لأبي عبد الله محمد الزرعي، مؤسسة الرسالة،ط4.
32. سنن ابن ماجة، لأبي عبد الله القزويني، دار الفكر،بيروت1986م .
33. سنن أبي داود، لسليمان أبو داود الأشعث السجستاني، دار الفكر، بيروت.
34. سنن الترمذي، لأبي عيسى الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3.
35. صحيح البخاري: لأبي عبدالله البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت2001م.
36. صحيح المسلم، للإمام مسلم، المكتبة العصرية، بيروت2004م.

37. عدة الصابرين، لأبن قيم الجوزية، دار ابن كثير، دمشق،ط3، 1998م .
38. قوت القلوب في معاملة المحبوب، لأبي طالب المكي، دار صادر، بيروت.
39. القاموس المحيط، لمجي الدين الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة،بيروت1987م.
40. لسان العرب، لابي الفضل غبن منظور، دار صادر، بيروت1990م.
41. محاسبة النّفس، لابن أبي الدنيا، تحقيق: مجد السيد، مصر، القاهرة.
42. مدارج السالكين، لابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد الفقي، دار الكتب، بيروت.
43. مسند الإمام أحمد بن حنبل، دار الحديث، القاهرة،ط1، 1995م.

مجلة بادر
المُحكّمة لعلم النفس الإسلامي

أهم مقومات الاستقرار الأسري

د. أحمد الرزاقي[1]
errazaki.ahmed@gmail.com

الملخص:

إن مما لا شك فيه أن الأسرة هي عماد المجتمع وجوهر كينونته وصمام أمانه واستقراره وأمنه، فهي منشأ الإنسان ومرتقى الحضارة. ولا شك أن المرأة هي عماد الأسرة وعمود سنمها؛ ولم تؤتَ حضارة اليوم بما تعيشه من ضنك نفسي وتشرذم اجتماعي وشقاء فطري، إلا بتهميش المرأة وتشيئها وتسليع كينونتها، وجعلها شهوة في مهب الغرائز، بل وجعل ذلك معيار التقدم والحداثة. والناظر بعين العقل ومعيار السعادة وواقع الحال فيما آلت إليه الأسرة نتيجة تشيئ المرأة وتسليع كينونتها، ليوقن أن أوضاعها متجهة إلى التردي والزيادة في التعاسة والشقاء والظلم، والانحطاط الحضاري، حتى إن المرأة في أحيان كثيرة لم يعد لها خيار تختاره لنفسها إلا أن تكون عجينة يفعل بها ما تشتهيه الأنفس وتلذه الأهواء. وإن المتفحص النزيه العالم بشريعة الإسلام ومقاصده، يدرك أن عناية الوحي بالأسرة فاق كل عناية، وتكريمه للمرأة على قدم المساواة مع تكريم الرجل بل خصها بفضائل ومكارم تبعاً لفطرتها التي فطرها الله عليها ما لم يجعل للرجل، فما ضاقت المصالح إلا جعل المصلحة الفضلى لها. فهذا المقال يروم الإجابة عن إشكال عويص، فما المعنى الشرعي للأسرة؟ وما الغرض الاجتماعي منها؟ وما أهم مقومات استقرارها بما يحقق مقاصد وجودها؟ ويهدف هذا المقال إلى بيان أهمية الأسرة المسلمة في استقرار المجتمع وتحقيق الحياة الطيبة للإنسان في الدنيا والآخرة، فجاء المقال في تمهيد وثلاثة مباحث فضلا عن مقدمة وخاتمة، بالمعتمد على المنهج التحليلي لمقاربة القضايا بموضوعية.

الكلمات المفتاحية: التخلق، الأسرة، المقومات، الاستقرار، الاجتماعية، الإسلام

---

[1] أستاذ باحث في العلوم الشرعية والاجتماعية.

The most important elements of family stability

Dr. Ahmed errazaki[2]
errazaki.ahmed@gmail.com

Undoubtedly, the family is the mainstay of society, the core of its entirety and the silence of its security, stability and security. It is the origin of man and the elevator of civilization. Women are undoubtedly the mainstays of the family and the pillar of women ' Today's civilization has led only to the marginalization of women, their will and the assimilation of their entirety, their lust for instincts and even the criterion of progress and modernity. Mindful of the criterion of happiness and the reality of what the family has come to as a result of the woman's will and the commodification of her identity, he is sure that her conditions tend to be worsening, to increase in unhappiness, misery, injustice and cultural decline, so that women often have no choice to choose for themselves but to be a paste with which to do what one desires. The impartial examiner of the world under the law and purposes of Islam recognizes that the care of the revelation of the family outweighed every care, honouring women on an equal footing with the honour of men but singling out them with virtues and generosity, depending on God's mushroom, unless it makes men the best interests of them. This article is intended to answer a serious problem. What is the legitimate meaning of the family? What is its social purpose? What are the most important elements of their stability in order to achieve their purposes? This article aims to demonstrate the importance of the Muslim family in the stability of society and the achievement of a good life for the human being in the world and the afterwards. The article is based on the analytical approach to issues objectively.

Keywords: Creation, Family, Components, Stability, Social, Islam

[2] research professor in Sharia and social sciences.

مقدمة:

إن مما لا شك فيه أن الأسرة هي عماد المجتمع وجوهر كينونته وصمام أمانه واستقراره وأمنه، فهي محضن ولادته ومدرسة تنشئته، فلا استقامة للإنسان إلا بكمال العناية بالأسرة تربيةً وتعليماً وتشريعاً، فالأسرة السليمة هي منشأ الإنسان ومرتقى الحضارة.

والمتتبع لأطوار نشأة الحضارة وتطورها يجد الأسرة وراء كل تميز حضاري، ولم تؤتَ أي حضارة ولم تسقط إلا بسقوط قيم الأسرة وانحلال آصرتها وانفكاك عروتها الوثقى، بما تشرع للمرأة من الانسلاخ عن فطرة أنوثتها وللرجل عن حكمة رجولته، فتعرضت الطفولة للانسلاخ عن الفطرة وحسن التربية.

ولا شك أن المرأة هي عماد الأسرة وعمود سنمها؛ ولم تؤتَ حضارة اليوم بما تعيشه من ضنك نفسي وتشرذم اجتماعي وشقاء فطري، إلا بتهميش المرأة وتشيئها وتسليع كينونتها، وجعلها شهوة في مهب الغرائز، بل وجعل ذلك معيار التقدم والحداثة.

والناظر بعين العقل ومعيار السعادة وواقع الحال فيما آلت إليه الأسرة نتيجة تشيئ المرأة وتسليع كينونتها، ليوقن أن أوضاعها متجهة إلى التردي والزيادة في التعاسة والشقاء والظلم، والانحطاط الحضاري، حتى إن المرأة في أحيان كثيرة لم يعد لها خيار تختاره لنفسها إلا أن تكون عجينة يفعل بها ما تشتهيه الأنفس وتلذه الأهواء.

وإن المتفحص النزيه العالم بشريعة الإسلام وما جاءت من أجله ليوقن، أن عناية الوحي بالأسرة فاق كل عناية، وتكريمه للمرأة على قدم المساواة مع تكريم الرجل بل خصها بفضائل ومكارم تبعاً لفطرتها التي فطرها الله عليها ما لم يجعل للرجل، فما ضاقت المصالح إلا جعل المصلحة الفضلى لها، وما ارتكبت المفاسد إلا جعلها في منأى عنها أكثر من غيرها، ولم يحظ أي كائن بالصون والرعاية والحفظ أكثر منها،

فإذا كانت كل الكائنات في خدمة الإنسان عموماً، فكل الرجال في خدمة المرأة، فهي تاج مصون وجوهر مكنون.

وفي هذه المشاركة المباركة أحاول الإسهام بما يسر الله في الإجابة عن إشكال عويص يهدد استقرار الأسرة ويؤدي إلى تفكك أواصرها، وتشردم أفرادها، وتشتت شملها، مما يعود على المجتمع بنتائج وخيمة، وذلك أن الأسرة هي صمام أمان المجتمع. فما المعنى الشرعي للأسرة؟ وما الغرض الاجتماعي منها؟ وما أهم مقومات استقرارها بما يحقق المقاصد وجودها؟

وتهدف هذه الورقة إلى بيان أهمية الأسرة المسلمة في استقرار المجتمع وتحقيق الحياة الطيبة للإنسان في الدنيا والآخرة وذلك بما لها في الإسلام من مكانة عظيمة ترفع شأوها إلى مقام التعبد، ابتغاء رضوان الله بتحصين النفس من الشهوات وتكثير النسل وحفظ مراد الله من استدامة الإنسان وتربية الأولاد على حفظ الاستخلاف الائتماني، حتى يكون قصد المكلف تابع ومنقاد لقصد الله في تكوين الأسرة والحفاظ عليها كما يحب ربنا ويرضي، ومن هنا فالأسرة مقام إخلاص العبادة لله بها، "فيجدك الله حيث أمرك؛ ويفتقدك حيث نهاك"، وأجمع عبارة في الحث على رعاية الأسرة واستقرارها حديث سيد الورى نبينا الكريم: "خيركم خيركم لأهله؛ وأنا خيركم لأهلي".

وفق الخطة الأولية الآتية:

تمهيد أبين فيه معاقل عنون هذه المشاركة ومعنى مصطلحاته وأقتصر على مصطلحين مركزيين هما الأسرة، والمقوم، وأعرج بعد ذلك على بيان أن أهم مقومات الاستقرار الأسري، في ثلاثة مطالب كما يلي:

تمهيد:

في هذا التمهيد أبين معنى مصطلحين مركزيين في هذه المشاركة هما مصطلح الأسرة ومصطلح المقوم، وما عداهما من الاستقرار والمسلمة فيبن في تقديري لا يفتقر إلى بيان.

1- معنى الأسرة

الجذع المشترك التي اشتق منه معنى الأسرة في اللغة هو الهمزة والسين والراء، أسر، وهو الحبس والمنع والحجز والربط، كما في قوله جل ثناؤه: (نحن خلقناهم وشددنا أسرهم وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا) [الانسان:28]، قال ابن فارس «الهمزة والسين والراء أصل واحد وقياس مطرد، وهو الحبس، وهو الإمساك. من ذلك الأسير وكانوا يشدونه بالقيد وهو الإسار»[3]، فمن هذا الأصل اللغوي استقت معاني الأسرة للدلالة على ما أرد الله له من الميثاق الغليظ الذي أخذه الله عن الزوجين كما قال عز وجل (وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا) [النساء: 21]، فالأسرة هي مجموعة من المواثق والعهود والواجبات والحقوق المستوجبة للداء والوفاء.

وجاء في المعجم الوسيط: «الأسرة الدرع الحصينة وأهل الرجل وعشيرته والجماعة يربطها أمر مشترك»[4]، وقال المرتضى: «الأسرة من الرجل: الرهط الأدنون وعشيرته؛ لأنه يتقوى بهم»[5]، ويتعاضد بهم.

([3])أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ) معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: 1399هـ/ 1979م. باب الهمزة والسين وما يثلثهما (أسر).

([4]) نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط باب الهمزة: ، الناشر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الطبعة: الثانية [كُتبَتْ مقدمتُها 1392هـ/ 1972م]، دار الدعوة بإستانبول، ودار الفكر ببيروت، وغيرهما كثير.

([5]) محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، تاج العروس باب الراء فصل الهمزة والراء: أسر. تحقيق: جماعة من المختصين، من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، أعوام النشر: (1385 - 1422 هـ) = (1965 - 2001 م، دار الهداية، ودار إحياء التراث وغيرهما.

فالأســـرة هي حصـــن للزوجين معاً، ولما ينتج عنهما من الولد بالتربية والرعاية له، وحصـــن للمجتمع بالأمن والاستقرار، وتكثير لنسل الأمة بالنسل الصالح، أو القابل للصلاح، وعبر عنها القرآن بالأهل والرحم والآل كما قال ابن عاشور: «الأهل والآل يراد به الأقارب والعشيرة والموالي وخاصة الإنسان وأتباعه»[6].

وفي موضع آخر قال العلامة ابن عاشور: فـــ«انتظام أمر العائلات في الأمة أساس حضارتها وانتظام جامعتها. فلذلك كان الاعتناء بضبط نظام العائلة من مقصد الشرائع البشرية كلها. وكان ذلك من أول ما عُني به الإنسان المدني في إقامة أصول مدنيته بإلهام إلهي روعي فيه حفظ الأنساب من الشك في انتسابها، أعني أن يثبت المرء انتساب نسله إليه»[7].

والحاصل أن معنى الأسرة المسلمة جمعت معاني التعاضد والتكاثف والتضامن والتواد والاستقرار النفســي والعاطفي والاجتماعي، فهي رابطة محكمة بأحكام الشــريعة وحكمتها النافذة إلى أعماق الكينونة الإنســانية، فالأســرة في الإســلام أســرة أخلاقية كما قال العلامة طه عبد الرحمن «الأســرة هي المحل الذي يتعلق فيها الإنسان بغيره تعلق نسب ويتخلق فيها بحسب هذا التعلق»[8]،

كما

فهي في الاعتبار المعنوي منظومة من القيم الأخلاقية المؤطرة لتكوينها نواتها الزوجين وأغصـــانها وفروعها الأبناء والأحفاد، فما هي مقومات استقرار ها الكيان الاجتماعي الرائد.

([6]) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشـور التونسـي (ت: 1393هـــ) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: 1/ 490، الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: 1984هـ

([7]) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393هـــ) مقاصد الشريعة، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، عام النشر: 1425هـ/ 2004م. 3/ 421.

([8]) طه عبد الرحمن روح الحداثة المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية: 99.، المركز الثقافي العربي الطبعة الثانية سنة 2009م.

2- في معنى المقومات والاستقرار:

المقومات جمع مقوم وهو ما ينبني عليه الشيء ويتوقف عليه، فلا تقوم له قائمة إلا به، فهو ركن في الشيء إلا أنه خارجي، فيخالف الركن في كون الركن ذاتي، والمقوم خارجي، فالمقوم شرط وجود للشيء، ولا تتصور حقيقة الشيء إلا بمقوماته، التي يقوم عليها.

والاستقرار من الثبات وعدم الاهتزاز ومنه العدن كما في قوله الله جل ثناؤه (جنات عدن) [النحل/ 31] أي جنات الخلود والاستقرار قال الراغب: «جنات عدن أي: استقرار وثبات، وعدن بمكان كذا: استقر، ومنه المعدن: لمستقر الجواهر»[9]. ومنه أيضاً «القوارير: قارورة، سميت بها لاستقرار الشراب فيها (..) والاقترار: تتبع ما في بطن الوادي من باقي الرطب، وذلك إذا هاجت الأرض ويبست متونها، والاقترار: استقرار ماء الفحل في رحم الناقة»[10].

ومنه أيضاً حَتَدَ وهو كما قال ابن فارس: «وهو استقرار الشيء وثباته. فالحتد: المقام بالمكان. حتد يحتد. ومنه المحتد، وهو الأصل ; يقال: هو في محتد صدق. والحتد: العين لا ينقطع ماؤها»[11]. فالأسرة المتصفة بالاستقرار المتوفرة على مجموعة من الآليات والشروط النفسية والعاطفية والاجتماعية والاقتصادية... أي لا تقوم للأسرة قائمة إلا بتوفر الحد الأدنى من ذلك.

ولعل المعاني الواردة في قول الله جل جلاله: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) [الروم: 21] فمن الدعائم الأساس للأسرة

([9]) أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت 502هـ) المفردات في غريب القرآن: 553. المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - 1412هـ.

([10]) محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: 711هـ) لسان العرب: كتاب: الراء، فصل القاف. الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة: 1414هـ.

([11]) مقاييس اللغة: باب الحاء والتاء وما يثلثهما.

التســاكن وما يحمل من الســكينة والطمأنينة المتولدة عن التراحم والتواد، ومن ذلك تتشــكل منظومة الأخلاق الأسرية التي تحفظ كيان الأسرة والمجتمع.

فمقومات الأسرة المسلمة لها مميزات تمتاز بها أكثر من غيره منها التراحم والتعاطف والتساكن والأمن الروحي والأمان الاجتماعي، ولا يحصل ذلك إلا بتحقيق الراحة الروحية لأفراد الأسرة كل على حدة، خاصة طرفي الأســرة وعموديها الزوج والزوجة وما ينتج عنها من أبناء وأحفاد وعائلة ممتدة، فيما ينتج عن الأســرة من امتدادات المصاهرة والقرابة والمجاورة، مما ينتج عن ذلك من القيام بالواجبات قبل المطالبة بالحقوق، داخل المنظومة الأخلاقية للإسلام.

ومن هنا فإن للأســرة المســلمة مقومات اســتقرار وثبات، لا يتصــور لها اســتقرار على الوجه الذي وجدت لأجله وشرعت أحكامها لمقاصده إلا بها، أذكر بعضها على بيل التمثيل لا الحصر كما يلي:

أولاً: مقومات صلبية مركزية

إن من أهم مقومات الأســرة أســاس ديني عبر تاريخ الكينونة الإنســانية المتصــل بالدين؛ «ولم تزل الشرائعُ تُعنى بضبط أصل نظام تكوين العائلة الذي هو اقتران الذكر بالأنثى المعبَّر عنه بالزواج أو النكاح، فإنه أصل تكوين النسل، وتفريع القرابة بفروعها وأصولها، واستتبع ذلك ضبط نظام الصهر، فلم يلبث أن كان لذلك الأثرُ الجليل في تكوين نظام العشيرة فالقبيلة فالأمة»[12]، فحرصت الأديان على تكون النواة الأســاس لأســرة على مقومات صــلبية لا يتطرق إليه أي خلل إلا بغياب الهدي الديني والاســتنكاف عن إرشاداته

([12]) ابن عاشور مقاصد الشريعة: 421/3.

«فمن نظام النكاح تتكون الأمومة والأبوة والبنوة. ومن هذا تتكون الأخوة وما دونها من صور العصبة، ومن امتزاج رابطة النكاح برابطة النسب والعصابة تحدث رابطة الصهر، وجاءت شريعة الإسلام مهيمنة على شرائع الحق، فكانت الأحكام التي شرعتها للعائلة أعدل الأحكام وأوثقها وأجلّها، ولا جرم أن الأصل الأصيل في تشريع أمر العائلة هو إحكام آصرة النكاح، ثم إحكام آصرة القرابة، ثم إحكام آصرة الصهر، ثم إحكام كيفية انحلال ما يقبل الانحلال من هذه الأواصر الثلاث»[13].

فالأسرة المسلمة أسها الأساس على المقوم تعبدي لله تعالى تأسيّاً بسيدنا محمد ﷺ واقتداء بسيرته العطرة، فهو أفضل نموذج في بناء الأسرة المسلمة المستقرة الأمنة المطمئنة، إذ هو النموذج الأعلى في تأسيس واختيار واستقرار الأسرة. ومن هنا فإن الأسرة لتكون مستقرة ونموذجية لا بد لها من الهداية والرشد، أكتفي بذكر نموذجين كالآتي:

1-1: المقوم الإيماني التعبدي

إن الناظر في نظام الأسرة المسلمة يجده مقام إيمان وعبادة على كل مستوياته قبل التأسيس وأثناء الزواج حتى نهايته بإحسان بوفاة أو طلاق، فالخطبة مؤسسة على آداب شرعية تعبدية، والعقد مدبج بعبارات إيمانية وتعبدية وقيام الزوجية كله مقام تعبد ومنبع الأجر والثواب وقربة من الله تعالى ومرتقى للتقوى التحصن من الذنوب والمعاصي فهو توبة واستقامة ورقي إيماني، وما فيه من حظوظ النفس وشهواتها فبالتبع لا بالقصد الأول.

فالتعبد مقوم يسري في كل المقومات وحاكم عليها ومقدم عليها، ولو شئنا لقلنا الأسرة شعيرة تعبدية وركن من أركان الوجود التعبدي للإنسان، ولا غروة فإنها أحد الكليات الخمس الضرورية في مقاصد

([13]) المرجع السابق.

الشـــريعة المعبر عنها بحفظ النســـل، وجوداً وعدماً جلباً لما يقوي اعتباره ودفعاً لما يخرمه أو يضـــعفه، فمحفوظ بمجموعة من الأحكام الشرعية التي تقويه وتذود عنه.

مفتاح هذا المقوم وشـــاهده الأكبر هو ما ينبني عليه عقد الزواج وهي تلكم العبارة: "**تزوج فلان فلانة على سـنة الله ورسـوله**"، وهو ميثاق غليظ كديانة لله، كما في قوله جل ثناؤه (وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا) [النسـاء: 21]، ولفظ الميثاق ورد في القرآن ثلاثة مواضـع في سـورة النسـاء مرتين في هذه وهو سـياق الحث على الوفاء بين الزوجين وأداء الحقوق والقيام بالواجب، والســياق الثاني: الإيمان بالله والوفاء بعهده سـبحانه، والموضـع الثالث: في سـورة الأحزاب سـياق الإيمان أيضـاً ووجوب توحيد الله وإخلاص العبادة له وحده لا شريك له.

فالزواج هو عقد مقدس ديانة أطرته الشـــريعة بمجموع من الأحكام التفصـــيلية الدقيقة، فلا بد للأســـرة أن تكون ريان بمعاني الإيمان والالتزام متخذة القرآن ســـميراً ومنهج حياة بورد قار قراءة وتدبر وعملاً، فالقرآن هو الدواء والشفاء.

والقصد الأصلي من الزواج هو تعبدي، لأنه لإقامة المصالحة العامة من التناسل، وله مقاصد تابعية منها لإحصـان والعفاف وتلبية الغرائز بطريقة مشـروعة لحفظ مصـلحة الآخرة أيضـاً، كما قال الشـاطبي: «النكاح لا يخفى ما فيه مما هو مقصـود للشـارع؛ من تكثير النسـل، وإبقاء النوع الإنسـاني، وما أشـبه ذلك؛ فالترك لها جملة مؤثر في أوضـاع الدين»[14]، وحفظ الدين أصل الإسلام وسـر بقائه، فكل المقاصـد العادية التبعية في تأسيس الأسرة تابعة وخادمة للمقصد الأصلي له.

([14]) أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي (ت: 790هـ) الموافقات المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان: 1/ 211. دار ابن عفان الطبعة الأولى: 1417هـ/ 1997م.

فالزواج مبناه ومعناه على الاستخلاف الائتماني في الأرض، ارتباطاً بأداء الأمانة التي حمل الإنسان، كما في قول الله عز وجل: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) [الأحزاب: 72] فلا مجال فيه للعبث أو الاستهتار به...

1- 2: مقوم الاختيار والتأسيس

فجاءت مجموعة من التوجهات النبوية تحث على حسن الاختيار الزوج:

فحرم الزواج بالمشركين والمشركات كما في قوله جل ثناؤه: (وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) [البقرة: 221]، فالعبرة في تأسيس الأسرة هو الدين على سبيل الوجوب.

وحرم على المرأة المسلمة التزوج بالكافر مشركاً كان أو كتابياً، وذلك حفاظاً على مقامها النبيل وشرفها العظيم ومكانتها الاجتماعية المرموقة، **فلم يبح لها أن تكون تحت كافر له القوامة عليها، ولا أن تحمل نطفة كافر في رحمها**، لشرفها وعلو مقامها، وحتى لا يكون بطن مسلمة وعاء لكافر يتبع ملة أبيه ابتداءً.

بل أكثر يطلب في الزواج أفضل التدين وأحسن المتخلقين، كما في الحديث: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»[15]، فالأولوية في معايير أساس في تأسيس الأسرة هي الدين.

([15]) أخرجه أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي في صحيحه، تحقيق الدكتور مصطفى ديب البغا دار ابن كثير، دار اليمامة- دمشق الطبعة الخامسة: 1414هـ/ 1993م، واخرجه أيضاً أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: 206 - 261 هـ في صحيحه. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ومسلم في صحيحهما. مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، دار إحياء التراث العربي ببيروت، وغيرها، عام النشر: 1374هـ/ 1955م.

وفي حديث آخر: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير»[16]، فمعيار اختيار الزوج هو التقوى وحسن الخلق، قبل كل شيء، ولا يكفي في الرجل لقوامته أن يكون متديناً تدينا شكلياً بل لا بد أن يكون متخلقاً. وها مقام تعبد خالص إذ اعتبار الدين باعتبار الامتثال لأمر الله والاقتداء بسنة المصطفى ﷺ علماً وعملاً سلوكاً وتخلقاً، فمعيار الدين والخلق مؤشر له الأولوية المطلقة في تأسيس أسرة مسلمة مستقرة.

ثانياً: مقومات أخلاقية واجتماعية

إن كون الإسلام تواق إلى الأسرة النموذجية التي تمثل حقيقة كينونة الإنسان وتسعى إلى تحقيق إنسانيته والكرامة التي يتطلع إلى كل إنسان، إلا أنها تبقى أسرة واقعية فلا مثالية فيها، وأحاطها بمجموعة من القوانين التي تجعلها أسرة مسلمة متميزة عن كل ما سواها من الأسر، فهي أسرة نموذجية في الاستقرار لا مثالية، فتصرفات طرفيها وباقي أفرادها دائرة بين العدل والفضل، والعدل قيام بالواجبات وأداء للحقوق، والفضل. العدل استقامة بإعطاء كل ذي حق حقه، لا ظلم فيه ولا شطط ولا تعدي ولا تجاوز، والفضل تسامح وإيثار وعفو وجود وكرم

وجماع هذا كما قال جل ثناؤه: (فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ) [البقرة: 229]، وأقتصر على ذكر مقومين هما:

2-1: مقوم التحقق والتخلق

فالتحقق: بالمواصفات الواجب توفرها في الشريكين وأهلية كل واحد للآخر بعيداً عن العواطف الجياشة، فهو نظر عقلاني رصيد يستعان عليه بالاستشارة والاستخارة.

---

(16) أخرجه محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت 279هـ)، في سننه: تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، 1395هـ/ 1975م

والمراد بالتحقق أيضــاً: وعي بالواجبات والحقوق والتحديات وإدراك حقيقة الزواج وواقعيته بعيدا الأحلام الوردية والتمثلات المغلوطة.

الحاصل أن التحقق وعي وذكاء وتفطن.

أما مقوم التخلق: الجانب السلوكي في بناء الأسرة، **الصدق والصبر والأمانة والوفاء**.

والحاصل أن الأسرة المسلمة المستقرة كائن أخلاقي كما قال العلامة طه عبد الرحمن.

تزوج القاضي شريح بامرأة من تميم يقال لها زينب بنت جرير يحكي القاضي شريح قصة دخوله على زينب ويقول فلما دخلت عليها صليت ركعتين فسألت الله خيرها وعذت به من شرها فلما سلمت وجدتها خلفي تصلي معي .. فلما انتهينا من الصلاة دنوت منها فقالت على رسلك يا أبا أمية ابق كما أنت! ثم قالت الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلي على محمد وآله وبعد: إني امرأة غريبة عنك لا علم لي بأخلاقك فبين لي ما تحب فآتيه وما تكره فأزدجر عنه .. وقالت وقد ملكتني فاصنع ما أمرك الله به إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولك. فيقول شريح فقلت لها الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلي على النبي وآله وأسلم وبعد فإنك قد قلت كلاما إن تثبتي عليه يكن ذلك حظك وإن تدعيه يكن حجة عليك فإني أحب كذا وكذا وأكره كذا وكذا وما رأيت من حسنة فانشريها وما رأيت من **سيئة فاستريها**، فيقول القاضي شريح فمكثت زينب معي عشرين سنة لم أعتب عليها في شيء! إلا مرة واحدة وكنت أنا لها ظالما"

2-2: مقوم التواصل والتلاطف

إن كثيراً من المشاكل والمعضلات يبددها الحوار والتواصل، بل إن من أكبر المشاكل التي تعاني منها الأسرة وتسبب عدم الاستقرار غياب التواصل بأنواعه.

الحوار: أن يحاور الزوج زوجتها ويشاورها فهي خير معين له وخير سند على هموم الدنيا ومشاكلها، «فقام رسول الله ﷺ فقال: "يا أيها الناس، انحروا واحلقوا" قال: فما قام أحد، قال: ثم عاد بمثلها، فما قام رجل، حتى عاد بمثلها، فما قام رجل، فرجع رسول الله ﷺ فدخل على أم سلمة، فقال: "يا أم سلمة، ما شأن الناس؟" قالت: يا رسول الله، قد دخلهم ما قد رأيت، فلا تكلمن منهم إنسانا، واعمد إلى هديك حيث كان فانحره واحلق، فلو قد فعلت ذلك فعل الناس ذلك. فخرج رسول الله ﷺ لا يكلم أحدا حتى أتى هديه فنحره، ثم جلس، فحلق، فقام الناس ينحرون ويحلقون»[17]

التواصل الجسدي: فإذا كان «تبسمك في وجه أخيك لك صدقة»[18]، فهو في وجه أهلك وذويك أكثر أجراً وأفضل عملاً لقوله ﷺ «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»[19] / فخير ابتسامة لأهلك/ وخير الطعام لأهلك وخير المعاملات لأهل، وأفضل الأوقات لأهلك/ وخير مداعبة مداعبة الرجل أهله.

قال ابن كثير: "وكان من أخلاق النبي ﷺ أنه جميل العشرة، دائم البشر، يداعب أهله، ويتلطف بهم، ويوسعهم نفقة، ويضاحك نساءه".

وفي موقف جد حرج يبتسم ويلطف الأجواء ويعالج المواقف الصعبة بكل حكمة وتؤدة كما في صحيح البخاري: «عن أنس، قال: كان النبي ﷺ عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام، فضربت التي النبي ﷺ في بيتها يد الخادم، فسقطت الصحفة فانفلقت، فجمع النبي ﷺ فلق الصحفة، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة، ويقول: "غارت أمكم" ثم حبس الخادم حتى

([17]) أخرجه أحمد بن محمد بن حنبل (164 /241هـ) في مسنده، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث القاهرة، الطبعة: الأولى، 1416هـ/ 1995م من حديث: المسور بن مخرمة الزهري، ومروان بن الحكم.

([18]) أخرجه الترمذي في سننه

([19]) أخرجه الترمذي في سننه

أتي بصحفة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كسرت صحفتها، وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت»[20]. مما يضفي على الأسرة سروراً وبهجة وطمأنينة وسعادة

2-3: مقوم التعاضد والتعاون

تعاضد وتكاثف بين طرفي الأسرة الزوج والزوجة من العوامل الأساسية لاستقرار الأسرة ولو أن كل واحد استقل بنفسه ورفض التعاضد مع شريكه وزوجه لكانت الأسرة ريشة في مهب الرياح، أسرة مهتزة، تطغى على أفرادها الأنانية والعجرفة والكيد والتنافس في هدم أركان الأسرة وتشتيت وحدتها.

فالأسرة المسلمة المنشودة متعاضدة روحياً عاطفياً، فالزوج والزوجة قلبان أو روحان حلا في قلب واحد أو روح واحدة هي قلب الأسرة أو روح الأسرة، وهذا يتولد عنه التكاثف والانسجام والمحبة الشفافة.

فينتج عن ذلك التعاون على شؤون الأسرة من تربية الأولاد وتعليمهم وحسن رعايتهم وتعهد الأسرة ورعايتها، فتربية الأولاد مسؤولية مشتركة بين الزوجين، وهي مسؤولية الأبوين في حفظ فطرة الناشئة كما في الحديث: من قول النبي ﷺ «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»[21]. فالتعاون على التربية الحسنة واجب عيني لا ينوب أحدهما عن الآخر، «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله، وهو مسؤول عن رعيته»[22]، كل حسب ما متعه الله به من الصنعة التربوية والملكة في رعاية الأولاد.

([20]) أخرجه البخاري في صحيحه.

([21]) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

([22]) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

بل الأسـرة المسـتقرة متعاونة مادياً بكل محبة وطوعية لا ترجو الجزاء إلا من الله تعالى، وعن عائشـة رضـي الله عنها «كان رسـول الله ﷺ يخصـف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته»[23]، فكان ﷺ يتعاون مع أهله على شـؤون البيت ويكفي مؤنة نفسـه «ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته وقالت: كان بشرا من البشر يفلي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه»[24].

كما أن الزوجة تعاون زوجها في ما تيسـر لها من المال أو الخدمة التي تليق بمقامها، إما بالشـركة أو التطوع أو التبرع أو السـلف عند العوز أو الإعسـار خاصـة، ولا تبخل على أسـرتها بما تسـتطيع وإن كانت النفقة واجبة على الزوج فمسـتحب لها التعاون معه، بما يحفظ ودها وحقها من غير اسـتهتار ولا ظلم ولا إكراه.

وكل ذلك من عوامل الاستقرار والإثمار الحسن للأسرة المسلمة ولها في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فكان تاجراً أميناً في مال زوجته قبل البعثة وبعدها كانت نعم السـند له بمالها وحنانها وإيمانها. كما قال عربون وفاء وتقدير لخديجة رضي الله عنها: «وواستني بمالها إذ حرمني الناس»[25]، فمواساة الزوجة لزوجها مادياً عامل استقرار للأسرة المسلمة.

وهذا لا يعني فقد الذمة المالية للزوجة أو محوها بالتعاون والتكاثف يقع بإعطاء كل ذي حق حقه وضمان لكن حقوقه بالشركة أو والإجارة أو غيرها أو بالتطوع منها من غير إكراه. فالذمة المالية الأصل فيه الاستقلال حفظاً للحقوق.

([23]) أخرجه أحمد في مسنده من حديث أم المؤمنين عائشة.

([24]) محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي مشـكاة المصـابيح: باب في أخلاقه وشـمائله ﷺ. محمد ناصـر الدين الألباني. الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثالثة، 1985.

([25]) أخرجه أحمد في مسنده من حديث أم المؤمنين عائشة.

ثالثاً: مقومات التعاطف وتراحم

3-1: مقوم التناصح والتغافل

إن مما لا شك فيه أن أفراد الأسرة معرضين للخطأ والزلال والنسيان والضعف وما يعتور الإنسان عموماً من العوارض البشرية، فكانت الأسرة أحوج ما تكون إلى النصح والترشيد والتذكير، من غير ملال ولا سأم، وكما هي في أمس الحاجة إلى قبول النصح وتثمينه وتعزيز آلياته داخل الأسرة وقواعده التي تؤهله إلى الاثمار العملي في تقويم السلوك الأسري، وذلك بأن تسود ثقافة الحوار والتشاور والتناصح، حتى تصير الأسرة مرآة اجتماعية كل ينظر نفسه فيها، بل وأفرادها مرايا لبعضهم البعض، في التناصح والاسترشاد والذود عن حياض الأسرة وسمعتها واستقرارها.

وحيث كان التناصح مظنة التشاحن احتيج إلى قيم الصبر والتضحية والصدق والأمانة والحكمة والأناة والحلم وغيرها من القيم الاجتماعية والأخلاق النبيلة، ومن أهمها حكمة التغافل عن سفاسف الأمور وما لا يترتب عليه كبير أثر، أو ما لا ينبه عليه عادة، أو ما لم يتعمده الإنسان ووقع فيه بالخطأ وأدرك خطأه أو تعمده وعلمت توبته من واقتلاعه عنه من ذنوب الماضي وزلاته.

فالتغافل من أكرم مكارم الأخلاق بين الزوجين وفي الأسرة، ما لم يؤد إلى تمادي في ما يهدد استقرار الأسرة أو يفضي إلى شيوع الأخلاق السيئة فيها، فبالتغافل تقضى أمور كثيرة لا داعي لإثارة الضوضاء حولها كما قيل "وكم من أمور قضيناها بتركها"، فلا يتغافل إلا كريم الأخلاق طيب الأصل، وكما قال الشاعر: **كَرِيمٌ يَغُضُّ الطَّرْفَ دُونَ خِبَائِهِ *** وَيَدْنُو وَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ دَوَانِي**

وقال الشاعر أيضاً:

وَمَنْ لَمْ يُغْمِضْ عَيْنَهُ عَنْ صَدِيقِهِ *** وَعَنْ بَعْضِ مَا فِيهِ يَمُتْ وَهْوَ عَاتِبُ

وَمَنْ يَتَطَلَّبْ جَاهِدًا كُلَّ عَثْرَةٍ *** يَجِدْهَا وَلا يَسْلَمْ لَهُ الدَّهْرَ صَاحِبُ

هو خلق الكبار خلق الكبار العظام كما قيل: «وفي وصف ابن الأثير-رحمه الله- لصلاح الدين الأيوبي قال: "وكان -رحمه الله- حليماً حَسَنَ الأخلاقِ، ومتواضعاً، صبوراً على ما يَكْرَهُ، كثيرَ التَّغافُلِ عن ذُنُوبِ أصحابِهِ، يَسمعُ من أحدِهم ما يَكْرَهُ، ولا يُعلِمُهُ بذلك، ولا يَتَغَيَّرُ عليه." وهذه لعمري هي أخلاقُ الكبارِ وسادةِ القَومِ، وعلى الإنسان إذا ما أرادَ أن يعيشَ سعيدًا مسرورًا محبوبًا معدودًا في جُملةِ الكِبارِ أن يتحلَّى بها»[26]. فالتغافل له أثر كبير في استقرار الأسرة وطمأنينتها وما تطلبت لأجله من المودة والرحمة يحقق ذلك خلق التغافل المحمود المتفق عليه الممدوح بينهم.

3- 2: مقوم الوفاء والتقدير

إن من ثمرات الأسرة المسلمة المستقرة التقدير والاحترام والمودة والسكينة التي ذكر الله في الوفاء خاصة في الظروف الصعبة:

«عن عائشة، قالت: كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها، فأحسن الثناء، قالت: فغرت يوما، فقلت: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدق، قد أبدلك الله عز وجل بها خيرا منها، قال: "ما أبدلني الله عز وجل خيرا منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء"» [27]، فكان الوفاء والتقدير شيمته وبذلك أسس أفضل نموذج لاستقرار الأسرة، بل وكان يستوصي الرجال بالنساء خيراً كما في الحديث النبوي «استوصوا بالنساء خيرا»[28].

([26])https://www.islamweb.net/ar/article/213418

([27]) أخرجه أحمد في مسنده من حديث أم المؤمنين عائشة.

([28]) أخرجه البخاري في صحيحه.

فالأســـرة لا يكرمها إلا كريم ولا يهنها إلا لائم كما قيل عن النســـاء عموماً، خاصـــة وأن عمود ســـنم الأسـرة وركيزتها في تكوين الأجيال وتربية الناشـئة والسـهرة على إعداد الإنسـان لذلك كثرت وصـايا النبي ﷺ بالنســاء عموم كما في قوله: «في خطبة الوداع: "اتقوا الله في النســاء فإنهن عوان عندكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله»[29].

فما أحوج الأسـرة إلى الوفاء والتواسي خاصة عند المصائب والمدلهمات كالعوز بعد الغنى والمرض بعد الصحة، وغياب الزوج أو سفره، فتحفظ الزوجة ود زوجها وتصون عرضه وماله وتسهر على شؤون الأسـرة تربية ورعاية، والزوج يحفظ ود زوجته بالوفاء والتزام الحلال والاســتقامة على ما يحبه الله ويرضــاه، فلا يفعل ما يخجل من فعله أمامه، يحاســب نفســه على الأنفاس ويزن تصــرفاته بالقســطاس، لا يغدرها ولا يفاجؤها بما لا تحب، يتنزه على مجالس الســوء وأصـحاب الفجور والمجون، يعبد ربه بإخلاص ووفاء حتى يلقاه.

([29]) أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب المناسك، باب حجة رسول الله ﷺ، رقم الحديث 3074، أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني (209 - 273 هـــ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى: 1430هـــ/ 2009م، كما أخرجه أبو داود والنسائي والبيهقي. وصححه الشيخ الألباني.

خاتمة:

فإن الإسلام جعل الاستقرار الأسري غاية في تكوين أسرة وجعل لتحقيق ذلك مجموعة من الأحكام والأخلاق والآداب التي تحفظ للأسرة كرامتها وسمعتها الطيبة، فرفعها إلى مقام العبادة لله والتقرب إليه بها كم يتقرب بالشعائر التعبدية.

واستقر استقراء موارد الاهتمام بالأسرة في القرآن والسنة والسيرة النبوية العطرة إلى جعلها كلية من الكليات الخمس الضرورية التي عليها مدار الإسلام كله غلى جانب حفظ الدين والنفس والعقل هنا النسل والعرض.

فالحفاظ على الأسرة مقصد تعبدي أصالة بحفظ النسل وتكثير النوع الإنساني، وما فيها من المقاصد العادية من قضاء الوطر، شرعيته ترفعه إلى مقام العبادة والقربة إذ فيه الاحصان والعفة فيتولد عن ذلك التوبة والتقوى والاستقامة والسعادة والطمأنينة وتلكم الحياة الطيبة الموعود بها لمن استجاب لله ورسوله، وعمل صالحاً.

لائحة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ) معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: 1399هـ/ 1979م.

أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي (ت: 790هـ) الموافقات المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان: 1/ 211. دار ابن عفان الطبعة الأولى: 1417هـ/ 1997م.

الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: (ت: 261هـ) في صحيحه. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ومسلم في صحيحهما. مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، دار إحياء التراث العربي ببيروت، وغيرها، عام النشر: 1374هـ/ 1955م.

طه عبد الرحمن روح الحداثة المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، المركز الثقافي العربي الطبعة الثانية سنة 2009م.

أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي في صحيحه، تحقيق الدكتور مصطفى ديب البغا دار ابن كثير، دار اليمامة- دمشق الطبعة الخامسة: 1414هـ/ 1993م،

أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني (209 - 273 هـ) في سننه تحقيق: شعيب الأرنؤوط عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى: 1430هـ/ 2009م

أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت 502هـ) المفردات في غريب القرآن: 553. المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة الأولى: 1412هـ

محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393هـ) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: 1984هـ

محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393هـ) مقاصد الشريعة، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، عام النشر: 1425هـ/ 2004م.

محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت 279هـ)، في سننه: تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، 1395هـ/ 1975م.

محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: 711هـ) لسان العرب الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة: 1414هـ

محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، تاج العروس تحقيق: جماعة من المختصين، من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، أعوام النشر: (1422/1385 هـ)؛ (2001/1965م، دار الهداية، ودار إحياء التراث وغيرهما.

نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، الناشر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الطبعة: الثانية [كُتبَتْ مقدمتُها 1392هـ/ 1972م]، دار الدعوة بإستانبول، ودار الفكر ببيروت، وغيرهما كثير.

مجلة بادر
المُحكّمة لعلم النفس الإسلامي

إشكالية التحرير من المعاصي

الجزء الثاني

د. علال الحبشي[1]

Allalelhabchi2@gmail.com

الملخص:

تناول هذا البحث الجانب الآخر من إشكالية النّزوع إلى المعصية أو المخالفة الشرعية، وهو كيف يكون كفاحها وعلاجها بمنهج الشريعة؛ من خلال ما ينشئه الإيمان في وعي الإنسان وإدراكه وقناعته من وازع اليقين بلزوم الترك، فإن كل علاج لا يأخذ هذا البعد الداخلي من الإنسان لهو علاج وهم، ثم يليه بُعْدُ الاستعاضة عنها بما يمكن إدراكه والتمتع به من النّعم الطّيبة الحلال، من غير سرف ولا ترف، ثم بُعْدُ العقوبات، ثم بُعْدُ تجفيف منابع الفساد وأسباب الفسوق، لتحرير الحلال الطيب والتمتع به على وجه الحرية المباحة، التي يتولى الشرع رعايتها مصالح دائمة للعباد، وهي في النهاية صورة من صور التعبد لمن ألقى السمع وهو شهيد.

الكلمات المفتاحية:

المعصية، نظام الشريعة، الإقلاع، التوبة، المعروف

[1] دكتوراه في الفقه وأصوله، وباحث في علوم التربية.

The problem of liberation from sins

Part 2

Dr. Elhabchi Allal[2]

Allalelhabchi2@gmail.com

Research Summary:

This research dealt with the other side of the problem of the tendency to sin or violation of legitimacy, which is how to be struggling and treated by the approach of Sharia, through what faith establishes in human consciousness, awareness and conviction of the scruples of certainty of the necessity of leaving, every treatment does not take this internal dimension of man is a treatment illusion, and then followed by after replacing it with what can be realized and enjoyed from the good blessings halal, without extravagance or luxury, then after penalties, and then after drying up the sources of corruption The reasons for debauchery are to liberate halal and enjoy it in the face of permissible freedom, which is sponsored by Sharia in the permanent interests of the people, and it is ultimately a form of worship for those who listen while they are martyrs.

Keywords : Sin -Sharia System – Abstinence- Repentance- Good Deed

[2] Doctorate in jurisprudence and its principles, researcher in educational sciences

مفتتح إشكالي :

كم هو البون شاسع بين نظام الشريعة وقانون البشر، في علاج ميل النفوس إلى ارتكاب المعاصي، فبينما نزعت تشريعات البشر إلى الانتقام، وإيقاع الجزاءات على المخالفين؛ اقتضت أحكام الشريعة معالجة شمولية من كل الأبعاد... وأولها البعد الداخلي من الانسان، وهو القلب والنفس والروح والجوارح ... بأن يكون ترك المعاصي اختيارا خالصا، وقناعة صادقة من الانسان، ثم البعد الخارجي، وهو تيسير أسباب المباح، ومنع الحرام وتجفيف منابعه، وترتيب العقوبة على مرتكبيه، فهذه عناصر تعمل في قانون الشريعة بتناغم تام؛ تبيّن لك كيف يمكن أن تتعفف النفوس بالحلال عن الحرام؟ وكيف يصبح المباح بديلا واقعيا ناجعا لسدّ الذّريعة ومنع الوقوع في الحرام؟ وكيف يكون منهج الإقلاع عن المعاصي إقلاعا مؤبدا؟ وكيف تصير العقوبة العاجلة والآجلة جزاء رادعا ... كل هذا سنعالجه إن شاء الله من خلال منهج وصفي تحليلي، للوفاء بأغراض البحث وبيان المراد، والله الموفق وهو يهدي السبيل.

المبحث الأول : منهج الإقلاع عن المعاصي

لا ترك للمعصية إلاّ بالتّوبة، ولا توبة إلاّ بالإقلاع، وهو منهج يحدد التكاليف الشرعية المطلوب فعلها، أو تركها من قبل المكلف، وهي كل ما ورد في الكتاب والسنة من الحلال والحرام، كالقيام بفرائض العبادات ونوافلها، وتجنب ما نهى الله عنه من المحظورات والمكروهات، وهو منهج لا يقوم الدّين به، ولا تصح العبودية إلاّ بإتيانه عن إيمان واختيار ورغبة، يقول ابن القيم رحمه الله :"**ليس المؤمن بالذي يؤدي فرائض العبادات صورةً ويتجنب المحظورات فحسب؛ إنما المؤمن هو الكامل الإيمان لا يختلج في قلبه اعتراض، ولا يساكن نفسه فيما يجري وسوسة؛ وكلما اشتد البلاء عليه زاد إيمانه وقوي تسليمه**[3]"، حيث يكون أساسه ذلك كله العلم واليقين بأن أمر الله ونهيه وحكمه وقضاءه وخلقه وتقديره ... كل ذلك حق وصدق وعدل وحكمة، ليس شيء يعدله من اجتهاد البشر مهما بلغ كعبهم من العلم، لأن طلب الفعل والكفّ في الشريعة مطبوعان بوجوه الحكمة البالغة، وتحصيل المنافع المعتبرة، فلا أمر إلاّ بمصلحة، ولا نهي إلاّ عن مفسدة، وهذا إعجاز لا يتأتى من مخلوق.

لذلك تعيّن الامتثال، واتّباع ما شرع الله لعباده، من غير سؤال كيف ولم، حيث لا جدال فيما قضى الله وقدر في حكمه وأمر شريعته، فإنما هي شرائع وأحكام ربانية تشتمل على العدل المطلق،

3- أنظر : صيد الخاطر، لابن قيم الجوزية رحمه الله. ص: 283. نشر: دار القلم - دمشق، الطبعة الأولى : 1425هـ - 2004م.

مصونة عن الخطإ، منزهة عن العبث وعيوب الخلق يلزم بشأنها التّسليم والتعظيم والصبر، كما قال تعالى:"**إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ**[4]".

فثبوت الحكمة في الخلق والتقدير يقتضي عقلا نفي العبث في جميع الشرائع والأحكام، ذلك بأن الذي خلق ورزق هو الذي نزّل الكتاب بالحق، فكيف يأتيه الباطل من بين يديه أو من خلفه ؟

إن القدح في الحكم الشرعي الواحد الثابت في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بالقول أو الفعل يوجب الجهالة العظيمة لصاحبه، وقد يخرجه من الملّة، لجلال قدر التنزيل، وعظم أمر القول فيه بغير سلطان، قال تعالى:"**إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**[5]".

فكل شيء عنده تعالى منزل بعناية بالغة وتقدير حكيم، وما سبب ردّ بعض الخلق لأحكام الشريعة إلا لغبائهم ومجاراتهم أهواء نفوسهم التّي لم تتشبع بالتوحيد، وما سقط الخلق في الأباطيل والضّلالات إلاّ لأنهم لم يصدّقوا بالدّين الحق، الذي ليس هو مجرد أحكام للجائز والمحظور، وإنما هو مبادئ وقيم وقناعات وتكاليف قائمة على يقين الاعتقاد في الله توجب عبادته. فإنه تعالى لما قضى في أمره الحكيم أن لا يعبد غيره، لم يبق للإشراك معنى، وتعين الانسلاخ من أوهام الشّرك والتبرّي من أسبابه، ووجب العمل بما يرسّخ توحيده تعالى في القناعات إلى الأبد، وذلك بإقامة شريعة الإسلام وحدها، فكما هو تعالى واحد في ذاته وأسمائه وصفاته، هو أيضا واحد في حكمه وأمر شريعته، فيلزم اقتضاء أمره في ذلك كلّه. فهي حقائق دين ونفائس علم كريم تفسر الوجود والإنسان والحياة والموت، وتعطي للدنيا والآخرة بُعْداً ومعنى... فليس للباطل في دين الله مكان، ولا يتصور في الشرع العبث، ولا ارتكاب الخطإ، لأنه تنزيل الحكيم الحميد، فالحكم الواحد يستحيل فيه الخطأ، أو مجانبة الصّواب، أو عدم اقتضاء المصلحة والخير، والقدح فيه لغو، محال وقوعه على الحقيقة، ولا يليق إتيانه من عاقل له فهم وإدراك، لأنه وحي، يفرض الإجلال والإكبار والتعظيم، وذلك هو وجه اللّزوم والانقياد من المكلف الذي لا يجوز أن يأخذه ريب بشأنه.

4- الطارق، الآية : 14.

4- غافر، الآية : 55.

فتعين على التائب المقلع عن المعاصي إدراك حقيقة التوحيد، وحقيقة نفسه في الوجود أنه جرم صغير، لكنه بإيمانه ودينه واستقامته على أمر التّكليف انطوى فيه سرّ الوجود بأسره، حتى سخر الله له ما في السّماوات والأرض جميعا.

ويجدر لمن سلّم بالعبودية لله تعالى بقلبه وجوارحه أن يحفظ عهده مع الله، وأن يحفظ لنفسه عفتها وصدقها ويقينها، وأن ينتبه إلى ما صار إليه من رقّة الشعور وحسن الأدب مع الخالق والمخلوق، وخفة الروح ورحابة الصّدر في كل تصرف وسلوك، وكل ما صار إليه من جمال الطبع وحسن الخلق، وصلاح الحال، إنما سبب ذلك كلّه الإقلاع عن المعاصي والرجوع إلى الله.

فهل كان له مثل هذا الإحساس قبل أن يصلح شأنه ويجدّد إيمانه بالتوبة إلى الله؟

التحقيق : أن كل ذلك لما هو صنيعة الإيمان و أثره العجيب في الإنسان، فالإيمان هو الآمر للنفس أن تكفّ عن الخطايا، وأن تتعفف عن الشهوات وتبتعد عن الشّبهات، فإن الجهالة قد ضربتها بعنف زمن الغفلة، ثم تفاحش الأمر وأصاب الشيطان من الإنسان مقاتل شتى، فمسّه بالسوء، وتكدرت النفس واعتل القلب بأشد الأدواء خطورة، وشقيت الجوارح لأجل ذلك شقاء كبيرا، ولكن كل ذلك مضى و أقلع بعيدا مع يقظة الإيمان والعودة إلى الله، وهي أول إشر اقة في القلب بعد العصيان، وكأن المرء قد استدار للحياة من جديد، بل إنه يطارد في نفسه ومحيطه غشاوة الجهل وأسباب الغفلة، ولم يعد له قلب يسمح بها أو نفس تستطيبها، وتلك هي بشاشة الإيمان و أثرها عند مخالطة القلوب.

وعلى قدر منزلة الدين يلزم احترامه، وتقدير أحكامه، فلا يجوز بحال اقتراف السيئات من قبل مؤمن مع تحصيل هذا العلم، واتباع هذا المنهج، الذي يفرض إقلاعا أبديا عن المعاصي، قال الرسول صلى الله عليه وسلم :"**لا يزني الز اني حين يزني وهو مؤمن. ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن. ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**[6]".

أما إذا واقع الذنب واقترف الإثم لجهالة أو غفلة، فإن عليه التوبة حتم، ومن قريب، وأن تكون نصوحا خشية الوقوع في النفاق ومرض القلوب، الذي يستزل به الشيطان الشّقي حتى يزل، ويملي له حتى يضل، فلا ينفك عن غفلته وعصيانه، ورُبّما سوّفَ له بالتوبة ليؤخرها، وربما أوجد له بذلك التأخير هوى في النفس جعله يقيم على الذنب لا يفارقه، أو لعلّه أراه من المنفعة القريبة ما دفعه للتّغاضي عن

6- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب : الإيمان، باب : بيان نقصان الإيمان بالمعاصي... حديث رقم : 100.

الحرام، أو لعلّه زيّنه له تزيينا، فأخذه على وجه الحلال الطيب أو غير ذلك من الأكاذيب والألاعيب ... عصمنا الله من ذلك كله برحمته.

ثم إن المعضلة الحقيقية التي أرّقت المحققين هي : أن المرء قد يولع بالذنب ويطّبّع عليه، وربما ستره عن أقرب الناس إليه وغالط نفسه لأجله، وربما جادل بالباطل لتبرير موقفه الخاطئ، وإنما هو في الحقيقة يخادع نفسه ولا يدري.

وهنا تبرز المحاسبة بلسما شافيا، وهي التي تنشأ عن التّوبة والإيمان، ويتعود عليها الإنسان، تقوم في النفس لتدرأ عن صاحبها غوائل الشيطان، وتمنعه عن الحرام، وهو إجراء لازم لضبط حركة النفس على طريق الهدى والعدل والصّواب، حتى يصبح قادرا على التحكم في تصرفاتها وانفعالاتها، فإذا زاغت إلى الباطل وجدت الواعظ منها يصرفها إلى الخير أبدا، وهذا يسمى الوازع، فإذا تمادت ولم ينفع الوازع، أحكم تصرفها الرّادع، الذي يردّها إلى الصّواب قناعة أو بغير قناعة، فيقع الأول منها موقع الأنيس الرشيد، الذي يمنع حركتها بلطف عن الجنوح إلى الباطل، ويثبتها على الحقّ حبّا واختيارا، فذلك هو الواعظ من النفس، والآخر يقع منها موقع الرقيب العتيد، الذي يوجب عليها تصحيح المسار بالقوة إن هي جنحت إلى المحظور.

والمحاسبة مراجعة متتابعة للنفس كي لا يقع المكلف في مصايد الشيطان، ويداهم المعاصي مداهمة البهيمة، وعليه أن يقدر العواقب ومآلات الأمور، ويستعيض عن المحظورات بأطيب المباحات المحللات؛ فالحلال أوسع للمؤمن وأعز وأكرم، وهو خير وبركة كلّه، أمّا المعصية فليس من ورائها إلاّ الخيبة وسوء العاقبة، فإذا استزلّه الشيطان وأصاب منه، فعليه أن يعود في الحال إلى أمر مولاه، ويستغفر لذنبه حتى لو كانت منه المخالفة أدق من الشعرة، لأن المواقع التي بينه وبين الشيطان هي مواقع حرب شاملة، واسعة الأبواب، متعددة الجبهات والأبعاد، منها الوسوسة والنزغ والنفث والنفخ، واللّعب على القلوب بالأهواء والشهوات، ودغدغة الغرائز، وتهييج النفوس على إتيان المعاصي والآثام، وهي أمور يدركها العالمون ويغفل عنها الغافلون، أو ربما تغابوا عنها جهلا أو تجاهلا لشدة الغفلة، وقوة كرب الشّهوة، الذي يهدم به الشّيطان ستر الرحمن على عباده، ويَعِدُ العبيدَ منهم، ويمنّيهم الأماني زخرفا وغرورا، قال تعالى:"**يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلا غُرُورًا** [7]".

7- النساء، الآية : 119.

فلو كان الإنسان يعلم تغرير الشيطان به ما اغتر أبدا، ولو يعلم أنه يكذب عليه ما صدقه أبدا، ولو أدرك أنه يمنّيه بما لا يكون أبدا ما تمادى في أمانيه لحظة، ولكنه لا يعلم حقيقة كل ذلك.

ولو ظهر الشيطان للمؤمن الطائع بالعيان، وهو لا يستطيع ذلك في الغالب، لما بقيت له قدرة يستطيعها بالوسوسة والإغواء، لأنه ظهر بالعيان، وعرف كيده وتدبيره بالبيان، حيث لا يقع ذلك منه، إلاّ على وجه الخطإ، وربما خاف على نفسه إن ظهر للمؤمن على هيئة من الهيآت أن يصاب بأذى أو مقتل.

أما غير المؤمن، فيستطيع الشيطان الظهور له على أي هيئة يريد، لعدم الخوف منه، أو لأنه يعلم أنه في ضلال بعيد يأمن جانبه كل الأمان.

فعلى التائب المقلع عن المعاصي أن يحذر غوائل الشيطان والهوى، وإنما الحذر عصمة من الخطإ يوشك أن يصبح عادة يألفها المرء، وتتوطن عليه نفسه، فيصبح سجية كسائر العادات، فإذا اعتاد الحذر، وتحرز بالتعوذ من الشيطان والهوى عاش في أمان. عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضا، قال: إن أبا بكر قال للنبي صلى الله عليه وسلم : أخبرني بشيء أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت، فقال :"**قل اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة ربَّ كل شيءٍ ومليكَه، أشهد أن لا إله إلاّ أنت، أعوذ بك من شرّ نفسي، وشرّ الشيطان وشركه**"، **قال :"قلها إذا أصبحت وإذا أمسيت، وإذا أخذت مضجعك**[8]".

وهذا إقرار كلي لازم من كل عبد موقن بحقيقة التوحيد، فالمعبود بحق هو الله، قيوم السماوات والأرض، فالق الإصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا، وسع علمه كل شيء، ولا يعزب عنه مثال ذرة في الأرض ولا في السماء، فلا بد أن يشهد كل ذي بصيرة أن ناصيته وناصية كل شيء بيده تعالى وحده، كما هو معنى قوله صلى الله عليه وسلم :"**اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيءٍ ومليكه**"، لأن حقيقة العبودية أن يوافق الحال المقال في كل ما خلق الله وقدر، فيلزم العبد أن يتعوذ بالله وحده من شر النفس، وما يدعو إليه الشيطان من المعصية والشرك.

8-رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب: ما يقول إذا أصبح، رقم الحديث: 5067.

المبحث الثاني : منهج الوقاية من المعاصي

لتطيب النفوس بتوبتها، وتطمئن القلوب بإيمانها ويقينها، لزم ترك المعاصي قناعة واختيارا، ومنع أسبابها عفّة وتقوى وورعا، لسدّ الذّرائع ومنع مداخل الهوى، وهذا من أصول الشريعة؛ لأن جلب المصالح ودرء المفاسد، وإبعاد المؤمنين عن أسباب الفسوق والعصيان مقاصد معتبرة، قال تعالى:"**الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**[9]"

فقد حرم الله تعالى المعاصي وحرم أسبابها، ليكون المكلّف في أمان من رجسها وعذابها، بعيدا عن إثمها ومعرّتها. وهو منهج يجفف منابعها، ويقطع دابرها، يدل على ذلك قوله :"**وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**".

فما حرم الله على المؤمنين من الأمور لم يكن ليُحرّمه لولا أثره الفادح وضرره البالغ على الخليقة والعمران، وحق كل ممنوع الترك، والصدّ عن سبيله.

وتسمية المؤمنين في الآية دليل اختصاصهم بالرحمة والنجاة، فالزّنى ليس من شأن المؤمنين ولا يليق بهم، ولا تحل إقامتهم بجواره، ولا الاقتراب من دوائره، وتمنع مقدماته وجميع سبله وأسبابه، ولأجل هذا قال بعض أهل العلم : لا يتزوج الزاني أصلا حتى يتوب، لئلا يلحق الضّرر بزوجته، قال ابن حزم رحمه الله :"**مسألة : ولا يحل للزانية أن تنكح أحدا، لا زانيا ولا عفيفا حتى تتوب، فإذا تابت حل لها الزواج من عفيف حينئذ، ولا يحل للزاني المسلم أن يتزوج مسلمة، لا زانية ولا عفيفة حتى يتوب، فإذا تاب حل له نكاح العفيفة المسلمة حينئذ**[10]".

وهو قول طائفة من السلف، فبه قال علي بن أبي طالب وابن مسعود وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها والبراء بن عازب وغيرهم ...

قالوا جميعا : لا يجوز نكاح الزانية أو الزاني، وقال الإمام مالك رحمه الله : لا يزوج الفاسق الملتبس بالكبيرة، وإذا وقع، فللزوجة أن ترفع أمرها إلى القاضي لتخليص نفسها منه، لأنه من أهل الرجس والحرام ... قال الغرياني :"**فلا يجوز أن يزوج الأب ابنته من فاسق سكير، ولا من تارك للصلاة، ولا لمن يطعمها الحرام، ولا لمن يحلف بالطلاق، لأن ذلك يؤدي إلى فراقها، أو إلى البقاء معها بالحرام، ولا ينبغي لأهل الصلاح والخير حضور مثل هذا العقد. وإذا وقع فليس لها، ولا للولي الرّضى به، بل يجب أن ترفع أمرها إلى القاضي ليخلصها منه، لأن مخالطة الفاسق ممنوعة وهجره واجب شرعا، ناهيك عما يحدثه الزوج**

9- النور، الآية : 3.

10- أنظر: المحلى،63/9.

الفاسق من ضرر على زوجته وأولاده، بتأثيره السّيّئ على سلوكهم وما قد ينقله لهم من الأمراض المعدية التي تنتقل بمخالطة الملوّثين في أخلاقهم، وإن سلموا في أبدانهم فلن يسلموا في سلوكهم[11]".

ولما كان الزنى من أحكام التحريم المؤبدة، الممنوعة لذاتها لفداحتها وضررها البالغ، منعت الشريعة لأجله تصرفات وأحكاما أخرى لها تعلق به، مثل : الخلوة بالأجنبية، فقد أجمع أهل العلم على حرمة الاختلاء بالأجنبية من غير وجود ذي محرم لنص السنة على ذلك، فعن جابر رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :"**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلونّ بامرأة ليس بينه وبينها محرم**[12]".

وعن ابن عباس رضي الله عنه، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"**لا يخلونّ رجل بامرأة إلا مع ذي محرم**[13]".

ومن الوقاية من الزنى أيضا غضّ البصر، فقد أجمع أهل العلم على وجوب غض البصر عن الأجانب، مصداقا لقوله تعالى:"**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ**[14]".

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه :"**يا علي لا تتبع النظرة النظرة، فإنما لك الأولى، وليست لك الآخرة**[15]".

وقال صلى الله عليه و سلم :"**ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة ثم يغض بصره إلا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها**[16]"، أي : في قلبه.

دلّت هذه النصوص على علّة تحريم النظر إلى العورة[17] وهي وقوع الفتنة، والحكمة حفظ الشرف والعرض.

11-أنظر : مدونة الفقه المالكي وأدلته،508/2.

12- أنظر : مسند أحمد،339/3، رقم الحديث : 14692. ومجمع الزوائد،279/1، قال الهيثمي رحمه الله :"رواه الطبراني في الكبير وفيه يحيى بن أبي سليمان المدني ضعفه البخاري وأبو حاتم ووثقه ابن حبان، وعن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم". ومسند أبي يعلى،131/1، رقم الحديث : 141، مسند عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وفيه زيادة :"فلا يخلون أحدكم بامرأة فإن الشيطان ثالثهما من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن".

13- أنظر: صحيح البخاري، 2005/5، رقم الحديث : 4935، باب : لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم والدخول على المغيبة. وصحيح ابن حبان، 402/12، رقم الحديث : 5589، كتاب : الحظر والإباحة : ذكر البيان بأن المرأة زجرت عن أن تخلوا بغير ذي محرم من الرجال في السفر والحضر معا.

14- النور، الآية : 31.

15- أنظر : المستدرك على الصحيحين،212/2، حديث رقم : 2788، كتاب : النكاح. وسنن الترمذي، 101/5، رقم الحديث : 2777، كتاب : النكاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب : ما جاء في نظرة المفاجأة. وسنن أبي داود، 246/2، رقم الحديث : 2148، كتاب، النكاح، باب : ما يؤمر به من غض البصر.

16- مجمع الزوائد،63/8، كتاب : الأدب، باب : غض البصر. ومسند أحمد، 264/5، رقم الحديث : 22332.

17- العورة : سوءة الرجال والنساء أي : ما يستحيي منهما، وهي للرجل ما تحت سرته إلى ركبته، وللمرأة سائر البدن إلاّ وجهها وكفيها ورجليها. أنظر : التعريفات الفقهية، ص: 153.

ومن الأحكام الوقائية أيضا : منع التّبرج، وهو أن تتزين المرأة لغير زوجها، والتّغنج والخضوع بالقول، وهو أن تَتَكَلَّم المرأة على وَجه يَقع بِشَهْوَة الْمُرِيب، وقد يكون الغناء أولى به، ثم جميع أسباب الانحلال المؤدية إلى ارتكاب الفاحشة، قال تعالى:"**فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى**[18]".

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"**صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدْخُلْنَ الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا، وكذا...**[19]".

وأخرج الترمذي بإسناده عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"**كل عين زانية، والمرأة إذا استعطرت فمرّت بالمجلس، فهي كذا وكذا... يعني زانية**[20]".

ومن الأحكام أيضا تحريم الخمر، لما بينها وبين الفواحش من روابط، فهي أختها عن أصالة، فحيثما وجدت واحدة إلاّ كانت معها الأخرى، فحرم الله الخمر لذاتها مثلما حرم الزنى، لما يشتملان عليه من أرجاس وأنجاس لا حصر لها، ولأنها سبب كل فسق وفجور، قال النبي صلى الله عليه وسلم :"**اجتنبوا الخمر، فإنها مفتاح كل شر**[21]".

لذلك كانت اللّعنة حائقة بكل من باعها أو ابتاعها أو اشتغل بها أو دعا إليها، ولأنها سبب رواج الفاحشة بأنواعها، قال تعالى:"**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**[22]".

18- الأحزاب، الآية : 33

19- أنظر : صحيح مسلم،1680/3، رقم الحديث : 2128، كتاب : اللباس والزينة، باب : النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات. وصحيح ابن حبان،500/16، رقم الحديث : 7461، باب : وصف الجنة وأهلها، كتاب : إخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم بذكر أسمائهم رضي الله عنهم أجمعين، ذكر نفي دخول الجنة عن أقوام بأعيانهم من أجل أعمال ارتكبوها.

20- أنظر: سنن الترمذي،106/5، حديث رقم : 2786، كتاب : الأدب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب : ما جاء في كراهية خروج المرأة متعطرة. وصحيح ابن خزيمة،91/3، رقم الحديث : 1681، كتاب : الإمامة في الصلاة وما فيها من السنن مختصر من كتاب المسند : جماع أبواب صلاة النساء في الجماعة : باب التغليظ في تعطر المرأة ثم الخروج ليوجد ريحها وتسمية فاعلها زانية.

21- أخرجه الحاكم في مستدركه في كتاب : الأشربة، رقم الحديث : 7231. ورواه ابن حبان في صحيحه بلفظ :"فاجتنبوا الخمر فإنه والله لا يجتمع الإيمان وإدمان الخمر في صدر رجل أبدا ليوشكن أحدهما يخرج صاحبه"، في كتاب الأشربة، باب : آداب الشرب، ذكر ما يجب على المرء من مجانبة الخمر على الأحوال، لأنها رأس الخبائث. رقم الحديث : 5348، ورواه البيهقي في كتاب : الأشربة والحد فيها، بلفظ :"اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث"، رقم الحديث : 17116، والنسائي في كتاب : الأشربة، وهذا الحديث صحيح الإسناد والمتن، فإنه تحقق في الواقع معناه، فلا يملك مدمن الخمر أن يكون امرؤا سويا في كل أحيانه حتى يتركها ألبتة.

22- النور، الآية : 19.

والفاحشة : ما فحش من القول والفعل وساء سبيله، ومعنى قوله :"**يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ**"،أي : يرغبون أن تنتشر ويزيد شرها ويتوسع ضررها.

أما قوله :"**فِي الَّذِينَ آَمَنُوا**"، أي : رواجها في أوساطهم حتى تصيبهم بضرر كبير وشر مستطير.

أما قوله :"**لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ**"، أي : أن من قارفها أو كان سببا في مقارفتها له عقوبتان : عقوبة عاجلة في الدنيا، وهي الطاعون والأوجاع، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم :"**لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن قد مضت في أسلافهم الذين مضوا**[23]".

وعقوبة آجلة، وهي دخول جهنم، وأن يشرب من طينة الخبال.

وتأكيد العقوبتين، دلّ عليه قوله تعالى :"**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ**"، أي : من سمح بالفاحشة، ورضي بانتشارها من تلقاء نفسه وميل قلبه، من غير إحساس بالذنب والعار وتأنيب الضمير، فهو من أهل عقوبتها الآجلة والعاجلة بلا شك، وربما يكون هذا المعنى ليس الأظهر، فقد يسمح المرء بالفاحشة ولا يرتكبها، وقد يريدها لبعض المؤمنين نكاية فيهم من غير أن يرضاها لنفسه، فيدخل في المعنى الأول، الذي تكون عقوبته أشد وأنكى وأسرع وأقرب، كأن لا يقف عند السّماح بشُيُوع الفاحشة، وإنما يسعى إلى ترويجها وإنشاء المواخير والمحلاّت لارتكابها، فلا شك أن هذا أضرّ على المؤمنين، وخطره أفدح، والأشد منه، من يسمح بارتكابها بقلبه ويروج لها بلسانه ويده وماله، ويمارسها بجوارحه وأعضائه سرا وعلانية : زنى ولواطا بلا حصر...

ويفهم من دليل الخطاب : أن من ينجو من سموم الفاحشة وعذابها العاجل والآجل هم بالطرد العكسي، ثلاثة أصناف :

الأول : من ينهى عن ارتكابها بيده ولسانه وقلبه، ويجتهد في محاربتها ومنعها في كل ناد وواد.

الثاني : من ينهى عنها بلسانه وقلبه، ولا يجتهد لدفعها بيده ولسانه كاجتهاد من سبقه.

الثالث : من لا يرضاها بقلبه ويكرهها في نفسه، ولكنه لا يملك الإنكار على أهلها بلسانه ولا بيده، لعجز أو خوف أو ضعف أو رقة دين ... إلى غير ذلك.

23- أخرجه ابن ماجة في سننه، في كتاب : الفتن، باب : العقوبات، حديث رقم : 4019.

فهؤلاء جميعا من أهل الإنكار والمنع، وهم أهل النجاة أيضا، إن شاء الله، ولكن بعضهم أولى من بعض في درجات النهي مما يقتضي ارتفاع بعضهم على بعض في المثوبة والجزاء، وفي السلامة والنجاة في الدنيا والآخرة.

أما دليل النّجاة وتأكيدها، فقوله تعالى:"**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**[24]".

دلّ اللفظ بنون العظمة في قوله :"**أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ**"، وقوله :"**وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ**". على الوقوع والتّحقق، والنّفاذ التام المؤكد للأمرين : العقوبة والنجاة في آن، للفريقين أهل العذاب وأهل النجاة.

وكذلك سائر المحرمات يجب على المكلف ترك أسبابها ومقدماتها لئلا يقع فيها مرة أخرى، وهي إحدى مقتضيات التّوبة والإقلاع، حرصا على النفس وحفظا للدين وسلامة القلب والجوارح.

24- الأعراف، الآية : 166.

المبحث الثالث : البديل الو اقعي للمعاصي

إن ترك المعاصي يقتضي دوما في الشريعة تقديم الحلال بديلا عن الحرام، وهو منهج عام ناظم لأحكام الشريعة بأسرها، لأنها بنيت على جلب المصالح ودرء المفاسد، فلا يرفع حكم إلا بآخر مثله، أو أحسن منه، فإن الخلق لا تنفك حاجتهم عن الحكم العدل المناسب الذي يحقق أغراضهم، ويلَبّي رغباتهم في أوضاعهم على جميع أحيانهم، ولهذا ورد النسخ في الشريعة، كما قال تعالى :"**مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** [25]".

فلا يمكن أن يكون رفع الأحكام سلبيا في الشريعة، كما هو شأن شريعة الغاب، فقد تم بالاستقراء أن النسخ لم يرد في الشريعة إلاّ لمصلحة راجحة، فما من حكم يرفع بآخر إلاّ كان مثله أو أحسن منه، وهذا يعني أن النّسخ معلّل بالمصالح؛ فإما ليخفف شديدا، أو يرفع حرجا، أو يوسّع ضيّقا ... من فروع الشريعة، لأن النّسخ إنما اقتضته مراحل بناء الأمة في قيامها، فراعت هذه الشريعة أوضاع الخلق تدرجا من أحكام الجاهلية الأولى إلى عدل الإسلام، وهذا في الفروع خاصة، أما الأصول والكليات فلا نسخ فيها.

والمقلع عن المعاصي يحتاج إلى ما يلفت انتباهه إلى هذه الحقيقة، ليعلم أن له في شريعة الله من الحلال الطيب ما يُغْنِيه بالمطلق عن التّطلع للحرام، والعجيب جدا : أنه قانون ناظم لجميع الأحكام الشرعية، وإن لم ينتبه إليه كثير من الناس، فليس في الشّريعة حكم إلاّ دخله الاستثناء ومنعه الاطراد رعاية لمصالح العباد، حيث لم ينتبه لهذا كثير من أئمة الأصول، الذين أنكروا الاستحسان والمصلحة المرسلة، فنلاحظ أنه ما من محرّم في المطعومات والمشروبات والملبوسات إلاّ وله في الشّرع عوض حلال طيب أفضل منه، والأمر نفسه في الالتزامات والعقود وفي جميع التّصرفات والأعمال ... في كل ذلك بديل قيّم للناس في حياتهم ومعاشهم نصّت عليه الشريعة في فروعها، مصلحة راجحة، ومنفعة مطّردة ليحيوا بها حياة طيبة.

لذلك تقرر : أن مناوئي الإسلام إنما كانت مناوأتهم من موقع عدم العلم، فأصاب الناس ما أصابهم من مغبة الجهل بالدّين، من لأواء الفقر والمرض، وضيق المعيشة والتّخلف والحاجة، حتى صارت أكثر المصائب الواقعة على رؤوس الخلق، سببها ما تركوا العمل به من مباح الشّريعة ومبادئها الحكيمة، فوجب تقديم البديل الواقعي المناسب من أحكام الدّين للتائب، حتى لا يتطلع إلى الحرام، ويترك المعاصي إلى الأبد.

---

25 - البقرة، الآية : 106 .

فالزنى والربا والخمر والمخدرات وغيرها من المحرمات ... لها في دين الله ما يقابلها حلالا طيبا مباركا، لا يضلّ معه العبد ولا يشقى، ولكن الشيطان يصد الغافلين عن طريق السعادة، ويقودهم إلى الهلكة على الدوام.

المطلب الأول : منهج مكافحة الزنى

هذا المطلب يقدم إن شاء الله المنهج الفعلي السائد في الشريعة لمكافحة الزنى وأسبابه.

لا خلاف أن الزنى فاحشة منكرة سيئة السّبيل، حكمه وعقوبته من معلوم الدّين بالضرورة، ونقيضه النكاح الشرعي الّذي يصون الأعراض، ويحفظ الأعراق، ويمنع اختلاط الأنساب، وقد تواضع الناس عليه من آدم عليه السلام وذريته إلى نوح عليه السلام ومن جاء بعده من أهل الإسلام، ليصير بَعْدُ حكما لازما في سائر المجتمعات البشرية، كما قال تعالى :"**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً**[26]".

والنبي صلى الله عليه وسلم يحدث عن منشئه في الأرحام كيف تسلسل نسبا طاهرا مباركا عبر الزمن، على الرغم من أرجاس الجاهلية من نسل إبراهيم عليه السلام، فقال عليه السلام :"**خرجت من نكاح غير سفاح**[27]"، أي : في كل الآباء والأجداد إلى آدم عليه السلام.

ثم تسلسل العقب في الأمة من النبي صلى الله عليه وسلم على النكاح وتحريم السفاح إلى الأبد.

غير أن هذا العصر شهد تمردا واضحا على القيم الإنسانية، وشهدت أوربا ظهور السفاح مرة أخرى، وأوشك نظام الأسرة فيها على الاندثار، وظهر الزّنى والشّذوذ، ونكاح المحارم، حيث لم تكن البشرية من قبل تعرفه إلا في حالات نادرة، خشية اللّعنة والعار، قال تعالى :"**وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا**[28]". قال ابن العربي رحمه الله :"**تعقب النهي بالذم البالغ المتتابع، وهذا دليل على أنه انتهاء من القبح إلى الغاية، وذلك هو خلف الأبناء على حلائل الآباء إذ كانوا في الجاهلية يستقبحونه ويستهجنون فاعله ويسمونه المقتي، نسبوه إلى المقت**[29]".

سمى القرآن الكريم نكاح المحارم زنى، وبيّن ابن العربي رحمة الله عليه أن : دلالة اللفظ في الآية واضحة المعنى بأمرين اثنين : فهم الصحابة : وهو منع نكاح حلائل الآباء مطلقا مؤبدا، والمقيت من يلتبس

26- الرعد، الآية : 39.

27- أخرجه البيهقي في سننه، في كتاب : النكاح، باب : نكاح أهل الشرك وطلاقهم، رقم الحديث : 13855.

28- الإسراء، الآية : 32.

29- أحكام القرآن، 475/1.

بذلك، لذلك قال علماء الأمة كافة : يحرم على المرء أن يتزوج امرأة تزوجها أحد آبائه، وإن علوا مثل الجد أو جد الجد، سواء كان الأب من النسب، أو من الرّضاع، ولا تحرم أم زوجة الأب على الإبن ولا ابنتها من رجل آخر غير أبيه.

وقالوا أيضا : نكاح المحارم بصوره المتعمدة باطل، يفسخ قبل الدخول وبعده، ويقام حدّ الزنى على فاعله ولا يلحق فيه الولد بأبيه [30].

وكل الأنكحة المحرمة التي كانت سائدة في الجاهلية لم يكن سببها سوى الجهل بقواعد النكاح الشرعي التي لم تكن معروفة بسبب التحريف الذي وقع مع تطاول الزمن، وتراكم القيم والأعراف على بعضها على غير هدى، وحتى اليهود والنصارى كان قد أصابهم من ذلك الانحراف ما أصابهم، وكانوا ينكحون المحارم، فلما جاء الإسلام أبطل كل ذلك، ولم يبق إلا نكاح الناس اليوم، يدل على ذلك حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، قالت :"**كان النكاح في الجاهلية على أربعة أنحاء. فنكاح منها نكاح الناس اليوم يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته، فيصدقها، ثم ينكحها، ونكاح آخر: كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها : أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه، فإذا تبيّن حملها أصابها زوجها إذا أحب، و إنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع**[31]. **ونكاح آخر: يجتمع الرّهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها، فإذا حملت ووضعت ومرّت ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع، حتى يجتمعوا عندها، تقول لهم : قد عرفتم الذي كان من أمركم، وقد ولدت، فهذا ابنك يا فلان، تسمي من أحبت باسمه فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع به الرجل، ونكاح رابع : يجتمع الناس الكثيرفيدخلون على المرأة، لا تمنع من جاءها وهنّ البغايا، كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علما، فمن أرادهن دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها، جمعوا لها، ودعوا القافة، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون، فالتاط به ودعي ابنه لا يمتنع من ذلك، فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم هدم نكاح الجاهلية كلّه إلاّ نكاح الناس اليوم**[32]".

30- أنظر: المجموع،للنووي،287/17.

31- الاستبضاع هو أن الرجل كان يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها : أرسلي إلى فلان، فاستبضعي منه، ويعتزلها زوجها، ولا يمسها حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه. فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب. أنظر: القاموس الفقهي : 37.

32- أنظر: صحيح البخاري،1970/5، حديث رقم : 4834، كتاب : النكاح، باب : من قال لا نكاح إلا بولي لقول الله تعالى :"فلا تعضلوهن". فدخل فيه الثيب وكذلك البكر وقال :"ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا". وقال :"و أنكحوا الأيامى منكم". وسنن البيهقي الكبرى، ج : 7 ص : 110، حديث رقم : 13414، باب : لا نكاح إلا ولي. وذكره أيضا في باب : نكاح أهل الشرك وطلاقهم،190/7، رقم الحديث: 13853. وسنن أبي داود، 281/2، حديث رقم : 2272، كتاب : النكاح، باب : في وجوه النكاح التي كان يتناكح بها أهل الجاهلية.

هذا الأثر قاطع في أن النكاح هو النقيض الحقيقي للزنى، إذ هو البديل الشرعي لجميع الممارسات الجنسية المحظورة.

وخصائصه الشرعية تشتمل على رضى الزوجين، وتقديم المهر، ولو بعضا منه قبل الدخول، وحضور الشهود، والولي من قبل الزوجة، ومن قبل الزوج إن كان قاصرا، وإبرام العقد وتوثيقه إذا استجمع شروطه وأركانه.

والنكاح بهيئته الشرعية، يوجب عددا من الحقوق كإثبات النسب والميراث وغيرها، قال تعالى:"**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ**[33]".

وللنكاح حِكَمٌ ومقاصد لا تستقصى، قد ترفعه عند استقرائها إلى الوجوب، منها :

أولا : أنه مشبع للغريزة على نحو كاف، بمعنى أنه إذا كان غرض الزنى قضاء الوطر بصورة محرمة لوقت قصير، فإن النكاح يشبعها مطلقا بطريق حلال كل الوقت، وإذا كان ذو الطول يملك من ماله وبنيته ما يعفّ به نفسه بأكثر من واحدة، فله أن ينكح أكثر من واحدة، وهذا قاطع بقوله تعالى:"**فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ**[34]"،قال ابن العربي رحمه الله :"**فإذا قَدر الرجل من ماله ومن بنيته على نكاح أربع فليفعل، وإذا لم يحتمل ماله وبنيته في الباءة ذلك، فليقتصر على ما قدر عليه**[35]".

ومعنى هذا : أن ابن العربي رحمه الله يرى أن من لم تسمح له البِنية ولا الباءة وخاف على نفسه ألاّ يعدل مع الأربع، فلينظر ما يَقدر عليه ليحفظ الحقوق ويلتزم العدل، فإن لم يقدر على الأربع فليقتصر على ثلاث، فإن لم يقدر على ثلاث فليقتصر على اثنتين، فإن لم يقدر على اثنتين فليقتصر على واحدة، حيث ينعدم الميل بالقطع، وهو نصُّ قوله رحمه الله :"**ومعلوم أنّ كلَّ من كانت عنده واحدة : أنّه إن نالها فحَسَن، وإن قعد عنها هانَ ذلك عليها، بخلاف أن تكون عنده أخرى، فإنه إذا أمسك عنها اعتقدت أنه يتوفر للأخرى، فيقع النزاع وتذهب الألفة**[36]".

ثانيا : أنه يحل للمكلف الحرّ نكاح أمة مع حرة، زيادة له في الإشباع، إذا لم يكن بمقدوره نكاح حرة أخرى، مصداقا لقوله تعالى :"**وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ**[37]".

33- البقرة، الآية : 226.

34- النساء، الآية : 3.

35- أحكام القرآن،409/1.

36- أحكام القرآن،409/1-410.

37- النساء، الآية : 25.

أي: شرع نكاح الأمة[38] لمن لم يجد الطول لنكاح حرة أخرى، وهذا حق الزوج حتى يكون له الإشباع، وحق الأمة كي تتزوج وتحصل على العفاف، وتنال حظها من الوطء. ومالك رحمه الله يشترط للعمل بهذه الآية : عدم الطول، والخوف من العنت، حمل الآية محمل الرخصة وليس العزيمة، لمّا جعل جواز نكاح الأمة المسلمة مشروطا بعدم الطول على مهر الحرة والخوف من العنت، وهو نص مذهبه في "المدونة" من رواية ابن نافع وابن القاسم وابن وهب وابن زياد[39]. وارتضاه ابن العربي[40]، وقال القرطبي رحمه الله :**"وهو قول جابر بن عبد الله، و ابن عباس، وعطاء، وطاووس، والزهري، ومكحول، والشافعي، و أبو ثور، وأحمد، واسحاق بن راهويه، و ابن منصور، وغيرهم..."**[41]

هذا هو الفرق بين النكاح الشرعي والزنى، فالنكاح ممدوح يُؤمّن حاجات النفس والبدن ويحفظ العرض والنسل والنسب، أما الزنى فمذموم، ومرتكبه مجلود ساقط الشهادة، أو مرجوم، ومن ورائه عذاب غليظ إذا لم يتب، قال تعالى :**"وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَوَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا**[42]".

ثالثا : أنه شطر الدين، كما سمّاه النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه مدعاة للاستقامة على الأمر الصّواب، فالنكاح مطلوب لتوق النفس إلى الوطء، ولما فيه من حفظ النوع، ولأنه أغض للبصر وأحصن للفرج ... وقد أخرج الإمام أحمد عن عكاف بن وداعة الهلالي : أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له :**"ألك زوجة يا عكّاف ؟" قال : لا. قال :"ولا جارية؟" قال : لا. قال :"و أنت صحيح موسر؟" قال : نعم، والحمد لله. قال :"فأنت إذن من إخوان الشياطين، إما أن تكون من رهبان النصارى فأنت منهم، وإما أن تكون منّا. فاصنع كما نصنع، فإن من سنتنا النكاح. شراركم عزابكم، وأراذل أمواتكم عزابكم**[43]".

38- شرع لمن لم يجد الطول لحرة ثانية، ويملك من بنيته ما يعف به امرأة أخرى : أن ينكح أمة على الحرة، وهذا حق الزوج بنص القرآن حتى يكون له الإشباع، وأية حرة نكح زوجها عليها أمة، لها الخيار بين أن تقيم أو تطلب فراقه.

39-أنظر: الجامع لأحام القرآن، 137/5.

40-أنظر: أحكام القرآن،501/1.

41- أنظر: الجامع لأحكام القرآن،137/5.

42- الفرقان، الآيتان : 68-69.

43- أنظر: مجمع الزوائد،250/4، كتاب : النكاح، باب : الحث على النكاح وما جاء في ذلك. ومصنف عبد الرزاق، 171/6، رقم الحديث : 10387، باب : وجوب النكاح وفضله. ومسند الإمام أحمد، 163/5، حديث رقم : 21488. مؤسسة قرطبة، مصر. ومسند أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، دار المأمون للتراث، دمشق. الطبعة الأولى، تحقيق : حسين سليم أسد، 261/12، رقم الحديث : 6856، مسند أبي هريرة.

رابعا : أنه يستوجب حق العون للعبد من الله تعالى على تكاليفه، وهذا وجه التعبد فيه، لمن يرى أن النكاح تعبد، لما فيه من حفظ العرض والدّين والنّسب، قال النبي صلى الله عليه وسلم :**"ثلاثة كلهم حق على الله عز وجل عونهم : المجاهد في سبيل الله، والناكح الذي يريد العفاف، والمكاتب الذي يريد الأداء**[44]**"**.

44- أخرجه النسائي في سننه في كتاب : الجهاد، باب : وجوب الجهاد، فضل الروحة في سبيل الله عز وجل. ورواه أيضا في كتاب : النكاح، باب : معونة الله الناكح الذي يريد العفاف. ورواه أيضا البيهقي في كتاب : النكاح، باب : الرغبة في النكاح، رقم الحديث : 13234. وفي كتاب : المكاتب، باب : ما جاء في تفسير قوله عز وجل :"إن علمتم فيهم خيرا". رقم الحديث : 21401.

خاتمة

ثبت من خلال هذا البحث بيان منهج الشمول والاستغراق، الذي يَنظُمُ أحكام الشريعة في جميع أبوابها؛ أما بخصوص طريق معالجة النّزوع إلى المعاصي والميل إلى ارتكابها، فقد ظهر المنهج الشمولي أكثر وضوحا، لمّا سعت الشريعة إلى إبعاد الخلق بكل ممكن عن ما يضرّهم، وحضّهم على ما ينفعهم؛ مما هو أكثر عافية لنفوسهم وجوارحهم، و أقل آفة في جسومهم و أبدانهم، فبدا منهج المقارعة للمعاصي واضحا من أكثر من بُعْدٍ؛ ما يجعل احتمال اقتر افها نادرا، وذلك بالتركيز على جميع المقاربات الو اقعية الناجعة، كتقديم الحلال الطيب عوضا عن الحرام الخبيث، وبيان منافع الحلال ومضارّ الحرام، وتجفيف منابع الفساد وأسباب الفسوق والعصيان، وترتيب العقوبات العاجلة والآجلة على المعتدين...

لائحة المصادر والمراجع المعتمدة

- **الجامع الصحيح**، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، الجعفي، تحقيق: الدكتور : مصطفى ديب البغا، طبع ونشر: دار ابن كثير، دار اليمامة - دمشق، الطبعة : الخامسة، 1414 هـ - 1993م

- **إحياء علوم الدين**، لأبي حامد الغزالي، طبع ونشر: دار المعرفة - بيروت. أخرجه البخاري
- **صحيح الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الدعوة - دار سحنون، إسطنبول - تونس، 1413/ 1992.
- **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي المتوفى رحمه الله سنة : 393هـ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار، نشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة : الرابعة 1407 هـ - 1987م.
- **دلائل النبوة**، للإمام البيهقي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث الطبعة : الأولى.
- **سنن البيهقي الكبرى**، أحمد بن الحسين بن على بن موسى أبو بكر البيهقي دار النشر : مكتبة دار الباز مكة المكرمة، تحقيق محمد عبد القادر عطا.
- **مسند الإمام أحمد** بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مؤسسة قرطبة، مصر.
- **المستدرك على الصحيحين**، للحاكم النيسبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.
- **موطأ مالك رحمه الله**، رواية يحيى، طبعة : دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- **الرسالة، للشافعي رحمه الله**، طبعة : مصطفى البابي الحلبي وأولاد - مصر.
- **سنن الترمذي**، لمحمد بن عيسى؛ أبو عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون.
- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، لأبي الحسن، نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي المتوفى رحمه الله سنة : 807هـ، حقيق : حسام الدين القدسي، طبع ونشر: مكتبة القدسي، القاهرة. عام النشر: 1414 هـ،1994م.
- **مدونة الفقه المالكي وأدلته**، للشيخ الصادق عبد الرحمن الغرياني، طبعة مؤسسة الريان، الطبعة الأولى سنة : 1423هـ 2002 م.
- **التعريفات الفقهية**، للفقيه المفتي السيد محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، طبعة دار الكتب العلمية. 16- **سنن النسائي** (المجتبى) : لأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمان النسائي، الطبعة الثانية لمكتب الطبوعات الإسلامية، حلب، سنة 1406 هـ 1986، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة.
- **سنن أبي داود**، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي. طبعة دار الفكر تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد

- - **سنن ابن ماجه**، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، دار الفكر، بيروت، لبنان. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- **19- أحكام القرآن**، لأبي بكر بن العربي المعافري رحمه الله، المتوفى رحمه الله : 543هـ طبعة دار الفكر للطبع و النشر و التوزيع، تحقيق : محمد عبد القادر عطا.
- **20- المجموع شرح المهذب**، للإمام أبي زكريا محي الدين بن شرف النووي المتوفى : 676هـ الطبعة : الأولى، دار الفكر، للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- **21- الجامع لأحكام القرآن**، لأبي عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، نشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة : الثانية، 1384 هـ - 1964م.

مجلة بادر
المُحكّمة لعلم النفس الإسلامي

صعوبات التعلم بين الظل والضوء

د. شيماء حسنين[1]

Sheyam13@gmail.com

ملخص الدراسة:

تعتبر صعوبات التعلم تحديًا تربويًا يؤثر على نسبة كبيرة من الأفراد في مختلف أنحاء العالم. هذه الصعوبات التي تعيق القدرة على تعلم مهارات أساسية مثل القراءة والكتابة والحساب، ليست ناجمة عن نقص في الذكاء، بل عن عوامل بيولوجية، ووراثية وبيئية معقدة. وعلى الرغم من أن صعوبات التعلم قد تصيب أي فرد بغض النظر عن عمره أو خلفيته، إلا أنها غالبًا ما تظهر في الطفولة المبكرة وتستمر طوال الحياة إذا لم يتم التعامل معها بشكل مناسب. لذا فإن التشخيص المبكر لهذه الصعوبات يعد أمر غاية في الأهمية لتقديم الدعم اللازم للطفل، حيث أن التدريس التقليدي قد لا يكون كافيًا لتلبية احتياجاته الخاصة .

وتتعدد أنواع صعوبات التعلم وأسبابها، وقد تتداخل مع بعضها البعض. بعض هذه الأنواع تشمل صعوبات القراءة (عسر القراءة) وصعوبات الكتابة (العسر الكتابي) وصعوبات الحساب (العسر الحسابي) وكذلك صعوبات نمائية مثل الانتباه والتذكر.

تهدف هذه الورقة العلمية إلى استكشاف أسباب صعوبات التعلم وأنواعها، وتقديم نظرة شاملة عنها. كما يسعى البحث إلى تسليط الضوء على أهمية التشخيص المبكر والتدخل المبكر، وتقديم اقتراحات لاستراتيجيات تدريسية فعالة. بالإضافة إلى ذلك، سيتم مقارنة بين صعوبات التعلم وبين مفاهيم أخرى ذات صلة مثل بطء التعلم والتأخر الدراسي والتخلف العقلي.

---

[1] أستاذ بكلية علم النفس الإسلامي

ختامًا، يمكن القول إن صعوبات التعلم تمثل تحديًا كبيرًا، ولكن من خلال التعاون بين المعلمين والآباء والمتخصصين، يمكننا مساعدة الأطفال الذين يعانون من هذه الصعوبات على تحقيق النجاح والتطور في حياتهم.

الكلمات المفتاحية: صعوبات التعلم، صعوبات التعلم النمائية، صعوبات التعلم الأكاديمية، التلاميذ ذوي صعوبات التعلم.

Learning Disabilities: Between Shadow and Light

Dr. Shaymaa Hassanin[2]

sheyam13@gmail.com

Abstract:

Learning difficulties are an educational challenge that affects a large percentage of individuals around the world. These difficulties, which hinder the ability to learn basic skills such as reading, writing and arithmetic, are not caused by a lack of intelligence, but rather by complex biological, organic and environmental factors. Although learning difficulties may affect anyone regardless of age or background, they often appear in early childhood and continue throughout life if not treated appropriately. Early diagnosis of these difficulties is important to provide the necessary support for the child, as traditional teaching may not be sufficient to meet his special needs.

The types of learning difficulties and their causes are many, and they may overlap with each other. Some of these types include reading difficulties (dyslexia), writing difficulties (dysgraphia), and arithmetic difficulties (dyscalculia), as well as developmental difficulties such as attention and memory.

This research aims to explore the causes and types of learning difficulties and provide a comprehensive overview of them. The research also seeks to highlight the importance of early diagnosis and early intervention and provide suggestions for effective teaching strategies. In addition, learning difficulties will be compared to other related concepts such as slow learning and academic delay.

[2] College of Islamic Psychology Professor

In conclusion, it can be said that learning difficulties represent a great challenge, but through cooperation between teachers, parents and specialists, we can help children with these difficulties achieve success and development in their lives.

المقدمة

يمثل عالم الطفولة مرحلة حاسمة في تكوين شخصية الفرد وقدراته. وخلال هذه المرحلة، يواجه العديد من الأطفال تحديات تعيق تقدمهم الأكاديمي والاجتماعي. من بين هذه التحديات، تحتل صعوبات التعلم مكانة بارزة، حيث تؤثر على قدرة الطفل على الاستيعاب والتفاعل مع بيئته المحيطة.

عنوان البحث الحالي "صعوبات التعلم بين الظل والضوء" يعكس الطبيعة المعقدة لهذه الظاهرة. فالظل هنا يرمز إلى التحديات والصعوبات التي يواجهها الأطفال ذوو صعوبات التعلم، والتي قد تتجسد في صعوبات في القراءة والكتابة والحساب، أو في صعوبات في التركيز والانتباه، أو في صعوبات في التعبير عن الأفكار. هذه الصعوبات تؤثر سلبًا على أداء الطفل الأكاديمي، وتقلل من ثقته بنفسه، وتعيق تفاعله الاجتماعي.

أما الضوء فيرمز إلى الإمكانيات والحلول المتاحة لدعم هؤلاء الأطفال وتمكينهم من تحقيق أقصى إمكاناتهم. فبفضل التقدم في مجال علم النفس التربوي، وتطوير برامج تدخلية متخصصة، أصبح من الممكن مساعدة الأطفال ذوي صعوبات التعلم على التغلب على تحدياتهم وتحقيق النجاح.

يهدف هذا البحث إلى استكشاف عالم صعوبات التعلم بشكل أعمق، والوقوف على أبرز التحديات التي تواجه الأطفال الذين يعانون منها، وكيف تؤثر هذه الصعوبات على حياتهم اليومية وتطورهم، فلقد أشارت الاحصائيات أن تقديرات انتشار صعوبات التعلم 26% في مصر، 11% منهم في الصف الرابع والخامس الابتدائي. الدراسات الإحصائية تقرر معدلات انتشار مماثل من 15-20% عن العجز في القراءة بين أطفال المدارس المصرية[3]. وجود صعوبات تعلم يمكن أن يكون محبطاً للغاية لطفل في سن المدرسة؛ لذلك يسعى البحث إلى تسليط الضوء على العوامل التي تساهم في ظهور صعوبات التعلم، مثل العوامل الوراثية والبيئية، وكيف يمكن للتشخيص المبكر والتدخل الفعال أن يحد من آثار هذه الصعوبات. إن صعوبات التعلم تؤثر بشكل كبير على الصحة النفسية والاجتماعية للطفل. فمحاولات الطفل المستمرة للتغلب على هذه الصعوبات تسبب له إجهادًا نفسيًا يؤدي إلى ظهور مشاكل سلوكية وعاطفية. وبالمقابل، تؤثر هذه المشاكل على قدرة الطفل على التعلم والتطور. لذا، فإن فهم هذه العلاقة المعقدة بين صعوبات التعلم

---

[3] رانيا كمال مشرف؛ (2023): تقييم العلاقة بين التعبير العاطفي للأباء والقلق لدى أطفال صعوبات التعلم النمائية، رسالة دكتورة غير منشورة، كلية الطب، جامعة حلوان، جمهورية مصر العربية.

والاضطرابات المصاحبة لها أمر ضروري لتطوير برامج علاجية شاملة تلبي احتياجات الطفل على جميع المستويات.

مدخل إلى صعوبات التعلم

تعد صعوبات التعلم إحدى فئات التربية الخاصة والتي تصنف على أنها فئة ذوي المحنة التعليمية أو الإعاقة الخفية التي لا ترجع إلى سبب واضح أو ظاهر، ولكنها تعود إلى سبب كامل أو خفيف وليست مثل أي مرض أو عرض لأي مرض يستطيع أن يشكو منه الفرد إلى المحيطين به، بل إنه في كثير من الأحيان يتم اكتشافه متأخرا جدا وبالتالي لا يستطيع معظم الأفراد إن لم يكن كلهم أن يشكو منه. إن صعوبات التعلم هي تحديات نفسية وتربوية تواجه بعض التلاميذ، وتؤثر على ثقتهم بأنفسهم وقدراتهم. هذه الصعوبات لا ترتبط بانخفاض الذكاء، بل تعود إلى اختلافات في طريقة معالجة المعلومات في الدماغ. ولأن هذه الصعوبات غالبًا ما تكون خفية، فإن تشخيصها المبكر وعلاجها أمر بالغ الأهمية، لذا فقد احتل موضوع صعوبات التعلم موقعا هاما وأصبح مألوفا لدى جميع المشتغلين بمجال التربية والتعليم حيث بدأ الاهتمام بشكل واضح بالأفراد الذين ينتمون إلى فئة الصعوبات بهدف تقديم خدمات تربوية وبرامج علاجية لهم، كذلك يسعى الخبراء من علماء النفس والتربية وعلوم الأعصاب وأمراض الكلام وعلم النفس العصبي المعرفي واللغوي وذلك للوقوف على أسباب الخلل الوظيفي والإصابات المؤدية لصعوبات التعلم وإلى تطوير استراتيجيات تعليمية مرنة وتوفير بيئة تعليمية داعمة تساعد هؤلاء الطلاب على تحقيق أقصى استفادة من قدراتهم.

مفهوم صعوبات التعلم

لقد ظهر مصطلح صعوبات التعلم لأول مرة في عام 1963 م؛ حيث قدمه العالم صمويل كيرك أثناء حديثه أمام أعضاء أحد المجالس الوطنية المهتمين بالمشاكل التعليمية للأطفال بالولايات المتحدة الأمريكية حيث كان يؤكد كيرك أن هناك أطفالا غير قادرين على اكتساب بعض المهارات اللغوية والإدراكية ولا يستطيعون التعلم عن طريق أساليب التدريس العادية، ولكنهم ليسوا متخلفين عقليا. وقد ترجم المصطلح الإنجليزي

(Learning Disabilities) اللغة العربية إلى صعوبات التعلم بدلا من إعاقات التعلم وذلك لاعتقاد الكثير من علماء النفس والتربية أن هذه الترجمة -إعاقات التعلم- غير دقيقة ولا تعكس مدلول المصطلح.[4]

وصعوبات التعلم هي مصطلح شامل يشير إلى مجموعة من التلاميذ الذين يظهرون انخفاضًا في أدائهم الدراسي مقارنة بزملائهم العاديين، على الرغم من تمتعهم بذكاء عادي أو فوق المتوسط. ومع ذلك، يواجهون صعوبات في بعض العمليات المرتبطة بالتعلم كالفهم، أو التفكير، أو الإدراك، أو الانتباه، أو القراءة، أو الكتابة، أو الحساب أو في المهارات المتصلة بكل من العمليات السابقة.

وقدم باتمان تعريفا للأطفال الذين يعانون من صعوبات في التعلم متضمنة فكرة محك التباعد بين الإمكانيات العقلية والتحصيل الدراسي ويؤكد هذا التعريف على أن الأطفال الذين يعانون من صعوبات في التعلم أم الذين يظهرون تباعدًا دالًا تربويًا بين إمكاناتهم العقلية ومستوى أداءهم الفعلي.[5]

في حين قدم عادل الأشول تعريفا لصعوبات التعلم ينص على "إنها نقص في الإنجاز أو القدرة عند بعض الطلاب في مجال تعليمي معين مقارنة بإنجاز أو قدرة الطلاب ذو القدرة العقلية المشابهة معهم ويرجع ذلك إلى وجود اضطرابات في العمليات النفسية التي تتضمن فهم استخدام اللغة سواء المكتوبة أو المنطوقة".[6]

ويذكر ليون أن مفهوم صعوبات التعلم "هو اضطراب في واحدة أو أكثر من العمليات النفسية المشتملة على فهم أو استخدام اللغة المقروءة أو المكتوبة والتي ربما تظهر نفسها في القدرة غير التامة للفرد لكي يقرأ ويكتب ويتهجى أو يقوم بإجراء العمليات الحسابية ولا يشمل المصطلح على الأطفال الذين لديهم صعوبات تعلم نتيجة لإعاقات بصرية، سمعية، إدراكية، أو تخلف عقلي أو اضطراب انفعالي".[7]

وتذكر آيات عبد المجيد في تعريفها لمفهوم صعوبات التعلم إنه "مصطلح يشير إلى أولئك الطلاب الذين لا يستطيعون الاستفادة من الأنشطة والمعلومات داخل الفصل أو خارجي ولا يستطيعون الوصول إلى مستوى

---

[4] زيد بن محمد البتال؛ (2006): صعوبات التعلم هل هي حقا إعاقة أم فقط صعوبة؟، ورقة مقدمة للمؤتمر الدولي لصعوبات التعلم المنعقد في مدينة الرياض، المملكة العربية السعودية.

[5] Bateman, B.D. (1965): An Educators view of a diagnostic approach to learning disorders, Journal of Hellmuth learning disorders, Vol. (1), pp. 219-239.

[6] عادل عز الدين الأشول؛ (1987): موسوعة التربية الخاصة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة - جمهورية مصر العربية.

[7] نصرة عبد المجيد جلجل؛ (2002): قراءات حول الموهوبون من ذوي العصر القرائي الدسليكسيا، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

التمكن الذي يصل إليه العاديين من الطلاب وذلك بسبب قصور في العمليات الأساسية مثل الإدراك والانتباه والتذكر كما إنهم يعانون من قصور في المهارات الأساسية مثل المهارات الحركية".[8]

بناء على ما سبق وتأسيسا على التعريفات الخاصة بمفهوم صعوبات التعلم فإنه يمكن أن تعرف صعوبات التعلم على إنها: مصطلح عام يشير إلى مجموعة من الأفراد ليس ومتجانسين في طبيعة الصعوبة أو مظهرها، يظهرون تباعدا واضحا بين أدائهم المتوقع وبين أدائهم الفعلي في مجال أو أكثر من المجالات الأكاديمية ولا يعانون من أي من الإعاقات المختلفة سواء عقلية، انفعالية، جسمية، سمعية أو بصرية، وربما ترجع الصعوبة لديهم إلى الاضطراب في وظائف نصفي المخ المعرفية والانفعالية، ويلاحظ عليهم بعض خصائص السلوك المشتركة مثل النشاط الحركي الزائد، تشتت الانتباه، والاندفاعية وعلى هذا فهما يحتاجون إلى طرق تدريس مختلفة.

مراحل تطور صعوبات التعلم

تاريخ صعوبات التعلم شهد تحولات مهمة بدأت في عام 1960م، حيث بدأ التربويون بالاهتمام بشكل واضح بالأطفال الذين لا يستطيعون التعلم بشكل يتناسب مع إمكاناتهم العقلية. هذا الاهتمام دفع العلماء والباحثين إلى وضع مفاهيم متعددة لوصف هؤلاء الأطفال، مثل "المعاقون تربويًا"، و"أطفال ذوي صعوبات في اللغة"، و"أطفال معاقون إدراكيًا"، و"أطفال ذوي صعوبات التعلم."

في عام 1962م، ظهر مفهوم "صعوبات التعلم" بشكل محدود لأول مرة على يد العالم كيرك، الذي تناول هذا الموضوع في كتاباته حول التربية الخاصة. بعد ذلك، بدأت بعض الولايات الأمريكية بوضع قوانين تهدف إلى مساعدة ذوي صعوبات التعلم، رغم أن خصائص هؤلاء الطلاب كانت متباينة بشكل كبير.

بحلول عام 1963م، أصبح مجال صعوبات التعلم من المجالات البارزة في ولاية شيكاغو. اقترح مجموعة من الآباء عقد مؤتمر لبحث مشكلات الأطفال ذوي الإعاقات الإدراكية، حيث حضر العالم كيرك وقدم التصنيفات الأساسية لتعريف صعوبات التعلم. هذه التصنيفات شملت الأسباب الطبية والنماذج

---

[8] آيات عبد المجيد مصطفى (2003): برنامج تدريبي مقترح وتأثيره على التخفيف من صعوبات التعلم ورفع مستوي التحصيل لتلاميذ الصفوف الثلاثة الأولي من المرحلة الابتدائية، المجلة المصرية للدراسات النفسية، المجلد 13، العدد 41، سبتمبر، ص ص: 29-62، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

السلوكية لتعريف صعوبات التعلم. في هذا المؤتمر، أكد كيرك على ضرورة استخدام مصطلح "صعوبات التعلم" بدلاً من المصطلحات السائدة مثل "عسر القراءة" و"الإعاقة الإدراكية"، مشيرًا إلى أنه مصطلح تربوي ينظر له من منظور تربوي بحت، وليس من منظور سببي كما يفعل علماء الطب. وقد تم تبني هذا المصطلح بموافقة الحاضرين.

وفي عام 1968م، تم تقديم تعريف جديد لذوي صعوبات التعلم، وكشفت إحصائيات تقريبية أن عددهم يتراوح بين مليون إلى مليوني طفل. كما تم إصدار أول مجلة متخصصة في هذا المجال.

من خلال هذا التطور التاريخي، يمكن ملاحظة أن مجال صعوبات التعلم كان تطورًا طبيعيًا نشأ عن الانفصال من البحوث والدراسات المتعلقة بالتخلف العقلي. كما تأثر المجال بالنماذج السلوكية التي تركز على الإدراك البصري والحركي-البصري. منذ بداية الستينيات، بدأ المختصون يدركون أن العديد من الأطفال الذين يعانون من صعوبات التعلم يواجهون مشكلات في أكثر من مهارة ومجال. وفي عام 1975م، أصدر الكونغرس الأمريكي القانون رقم 142/94 الذي يهدف إلى توفير الظروف الملائمة للأطفال ذوي صعوبات التعلم، باعتبارها إحدى فئات التربية الخاصة[9].

ومن المهم الإشارة إلى أن صعوبات التعلم ليست مجرد ضعف دراسي، بل هي إعاقة حقيقية يمكن أن تحدث للشخص بغض النظر عن قدراته الحسية. كما أن هذه الصعوبات ليست نتيجة إصابة دماغية، بل ناتجة عن اضطراب في معالجة المعلومات في الدماغ. وعلى الرغم من أن صعوبات التعلم قد تظهر لدى الأشخاص ذوي الإعاقات الأخرى، إلا أنها ليست سببًا لها. كما أن نسبة إصابة الذكور والإناث بصعوبات التعلم متساوية.

التأخر الدراسي وبطء التعلم والتخلف العقلي

[9] يوسف أبو القاسم الأحرش؛ (2008): صعوبات التعلم، منشورات جامعة 7 أكتوبر، مصراته، ليبيا.

قد لا يستطيع بعض الأفراد من ذوي الخبرة البسيطة وبعض أولياء أمور التلاميذ أن يفرق بين حالات صعوبات التعلم وبين الحالات الأخرى فيقومون بالخلط بين مفاهيم التأخر الدراسي وبطء التعلم والتخلف العقلي ولأن هناك اختلاف كبير بينهم وجب التوضيح التالي:

التأخر الدراسي يشير إلى انخفاض مستوى التحصيل الدراسي عن المتوقع في اختبارات التحصيل أو بالمقارنة مع مستوى سابق من التحصيل. يتميز هؤلاء الطلاب بأن أدائهم الدراسي يكون أقل من مستوى زملائهم المعتادين الذين هم في نفس العمر والصف الدراسي. قد يكون التأخر الدراسي عامًا في جميع المواد أو مقتصرًا على مادة معينة، وقد يكون دائمًا أو مؤقتًا مرتبطًا بموقف معين. يمكن أن يكون التأخر حقيقيًا ناتجًا عن أسباب عقلية، أو تأخرًا غير ظاهر ناجمًا عن أسباب غير عقلية[10].

ويرى سليمان عبد الواحد أنا مفهوم صعوبات التعلم يختلف بشكل كبير عن مفهوم التأخر الدراسي، فمصطلح صعوبات التعلم ينطبق على التلاميذ الذين يتمتعون بذكاء متوسط أو فوق المتوسط وترجع الصعوبة لديهم إلى عوامل أسرية أو مدرسية أو نفسية وهي ليست نتيجة إعاقات حسية أو حركية، أما مصطلح التأخر الدراسي في عرفه بأنه إعاقة ترجع لأسباب غير عقلية مثل ضعف البصر أو ضعف السمع أو عدم التكيف الاجتماعي في المدرسة.[11]

فالتأخر الدراسي هو انخفاض أو تدني نسبة التحصيل الدراسي للتلميذ دون المستوى العادي في مادة دراسية أو أكثر من مادة، نتيجة لأسباب متعددة منها ما يتعلق بالتلميذ نفسه ومنها ما يتعلق ببيئته الأسرية والاجتماعية والدراسية. كما أن مفهوم صعوبات التعلم يختلف عن التأخر الدراسي الذي يعني أن مستوى إنجاز التلميذ في المواد الدراسية يعاني من وجود بعض المشكلات التي تؤخره عن مسايرة زملائه وعن الانتقال من مرحلة دراسية إلى المرحلة التي تليها، ويحدث التأخر الدراسي نتيجة لوجود أسباب متعددة من بينها وجود صعوبات التعلم ونستنتج من ذلك أن التأخر الدراسي مظهر من مظاهر صعوبات التعلم.

---

[10] راضي الوقفي؛ (2011): صعوبات التعلم النظري والتطبيقي، دار المسيرة، عمان، الأردن.

[11] سليمان عبد الواحد يوسف؛ (2010): علم النفس التربوي الأسس النظرية والتطبيقات العملية، الطبعة الأولى، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

أما مفهوم بطء التعلم فلقد عرفه نبيل بأنه هو: الموقف الذي يكون فيه الطفل غير قادر على مجاراة الآخرين ضمن الصف الذي ينتمي إليه تحصيليا ويعود ذلك لأسباب سيكولوجية أو اجتماعية أو عقلية ويكون الطفل بحاجة إلى خطة علاجية متكاملة لكي يستطيع مجاراة الآخرين تحصيليا.[12]

وهنا تجدر الإشارة بأن من ضمن صفات التلميذ بطيء التعلم هو البطء في الفهم والاستيعاب والتذكر. إن التلاميذ من ذوي صعوبات التعلم تكون قدراتهم العقلية عادة متوسطة أو فوق المتوسطة بينما التلاميذ بطيء التعلم تتراوح نسبة الذكاء في تلك الفئة ما بين (70-80) إذا توفرت الظروف الملائمة للطفل سواء في المنزل أو في المدرسة، في التلاميذ بطيء التعلم يمتلكون حد أدنى من المتوسط بالنسبة لمعامل الذكاء لكنهم ليسوا متخلفين عقليا وعندما يتعرضون لبرامج علاجية، أكاديمية وتربوية فإنها تنمي قدراتهم على التحصيل بشكل أفضل.

ويختلف مفهوم صعوبات التعلم عن مفهوم التخلف العقلي، وبخاصة فيما يتعلق بنسبة الذكاء فذوو صعوبات التعلم تكون نسب ذكاؤهم عادة في المتوسط أو فوق المتوسط، مما يُفرقهم تماماً عن ذوي التخلف العقلي أو الإعاقة العقلية الذين ينخفض ذكاؤهم بدرجة كبيرة عن المتوسط، وهذا يرجع إلى عدم اكتمال النمو العقلي الذي يظهر بشكل واضح في نسبة الذكاء، وفي الأداء العقلي بحيث يكون الفرد عاجزاً عن التعلم والتوافق مع البيئة والحياة، ولذلك فإنَّ المتخلفين عقلياً أقل تعلماً ويصعب توافقهم اجتماعياً. فالتخلف العقلي عبارة عن خلل يحدث في نمو الجهاز العصبي، ومن سماته تراجع وظائف التفكير والتكيف، أو هو عجز في سلوكين تكيفيين أو أكثر، مما يؤثر في سلوكيات الحياة اليومية، مع معدل ذكاء أقل من 70، ويتم تشخيص هذا الاضطراب منذ الطفولة، وهم يتعلمون بوتيرة أبطأ بكثير من وتيرة من الأطفال العاديين، ومن الممكن أن يأخذوا وقتاً أطول لتعلم اللغة، وتطوير مهاراتهم الاجتماعية، والعناية بمتطلباتهم الشخصية، كتناول الطعام وارتداء الملابس، ويحتاجون إلى التكرار الكثير، واكتساب مهارات تناسب مستويات تعلمهم.[13]

---

[12] نبيل عبد الفتاح حافظ؛ (1998): صعوبات التعلم والتعليم العلاجي، جامعة عين شمس، القاهرة، من جمهورية مصر العربية.

[13] سليمان عبد الواحد يوسف إبراهيم؛ (2010): المرجع في صعوبات التعلم النمائية والأكاديمية، الطبعة الأولى، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

تصنيف و أنماط صعوبات التعلم

يرى العديد من الخبراء والمهتمين في مجال التربية والتعليم أن تصنيف صعوبات التعلم أمر ضروري لتسهيل دراسة هذه الظاهرة، وكذلك لاقتراح أساليب مناسبة للتشخيص والعلاج. هذا التصنيف يأتي نظراً لتعدد وتنوع المشكلات التي يواجهها التلاميذ ذوو صعوبات التعلم، حيث يشكلون مجموعة غير متجانسة. فالأدوات والأساليب التي قد تكون فعالة في التعامل مع حالة معينة قد لا تكون مناسبة لحالة أخرى تعاني من صعوبة مختلفة في التعلم.

أما عن التصنيف الأكثر قبولا بين الخبراء والمتخصصين فكان تصنيف كريك وكالفنت عام 1984 حيث شمل على:

1- صعوبات التعلم النمائية: وهي التي تركز على العمليات العقلية الأساسية التي يحتاجها الطفل في تحصيله الأكاديمي، وتنقسم إلى:
   - الصعوبات الأولية: الانتباه، الذاكرة والإدراك.
   - الصعوبات الثانوية: اللغة والتفكير.
2- صعوبات التعلم الأكاديمية:
   وهي تلك المشكلات الذي يوجهها التلاميذ في المدارس وتتضمن:
   القراءة، الكتابة، الحساب، التهجي، الحبسة الكلامية، وعسر التآزر الحركي.[14]

صعوبات التعلم النمائية

اضطراب الانتباه:

يُصنف اضطراب تشتت الانتباه وفرط النشاط (attention-deficit/hyperactivity disorder - ADHD) كاضطراب تطوري عصبي. وعلى الرغم من أن الأطفال الذين يعانون من تشتت الانتباه يظهرون عادةً سلوكيات مفرطة ومندفعة، إلا أن هذا الاضطراب لا يُعد اضطرابًا سلوكيًا بحد ذاته. يؤدي هذا الاضطراب

[14] محمود عوض الله سالم؛ (2006): صعوبات التعلم التشخيص والعلاج، دار الفكر، الطبعة الأولى، عمان، الأردن.

إلى صعوبة في الحفاظ على التركيز، وضعف التنظيم، والنشاط الزائد، مما ينتج عنه عدم القدرة على إتمام المهام، وقلة المثابرة. غالباً ما يظهر اضطراب نقص الانتباه وفرط النشاط في مرحلة الطفولة أكثر من البلوغ، ويعتبر اضطرابًا عصبيًا قد يكون موجودًا منذ الولادة أو يتطور بعد ذلك بوقت قصير.

يعاني بعض الأطفال بشكل أساسي من صعوبة في التركيز والانتباه المستمر، بينما يظهر البعض الآخر فرطًا في النشاط والاندفاع. هناك أيضًا حالات تجمع بين كلا الجانبين. لتأكيد التشخيص، يعتمد الأطباء على استبيانات يتم تعبئتها من قبل الأهل والمعلمين، بالإضافة إلى فحص الطفل ومراقبة سلوكياته.

غالبًا ما تتطلب إدارة هذا الاضطراب استخدام منبهات نفسية أو أدوية أخرى، إلى جانب تنظيم بيئة الطفل، وتحديد روتين حياته، وتكييف البرامج المدرسية ونمط الرعاية الأسرية.

ورغم التفاوت في الإحصائيات، يقدر الخبراء أن اضطراب نقص الانتباه وفرط النشاط يؤثر على حوالي 5-15٪ من الأطفال، وهو أكثر شيوعًا بمقدار الضعف لدى الذكور مقارنة بالإناث. غالبًا ما تظهر أعراض تشتت الانتباه قبل بلوغ الطفل عمر 4 سنوات، وتصبح واضحة بشكل أكبر قبل عمر 12 سنة، لكن تأثيرها على الأداء الأكاديمي أو الاجتماعي قد لا يظهر بشكل ملحوظ حتى مرحلة المدرسة الإعدادية.

اضطراب الإدراك:

صعوبات الإدراك تشير إلى التحديات التي يواجهها الفرد في تفسير المعلومات الحسية التي يتلقاها من خلال الحواس المختلفة. فالإدراك هو عملية نفسية يقوم فيها العقل بتفسير وتنظيم الأحاسيس التي تصل إليه من أجهزة الحس، حيث لا يقتصر دور هذه الأجهزة على تلقي التنبيهات فقط، بل يتطلب الأمر بعد ذلك تفسير هذه الأحاسيس وإعطائها معاني لتصبح مدركات.

بمعنى آخر، الإدراك هو العملية التي تساعد الفرد على فهم معاني ودلالات الأشياء والأشخاص والمواقف التي يتفاعل معها من خلال تنظيم وتفسير المثيرات الحسية المرتبطة بها وصياغتها في وحدات متكاملة ذات معنى. يمكن القول إن الإدراك هو الآلية التي يفسر بها الدماغ المثيرات التي تصل إليه عبر الحواس.[15]

---

[15] مصطفى محمد كامل؛ (1988): علاقة السلوب المعرفي ومستوى النشاط بصعوبات التعلم لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية، مجلة كلية التربية المعاصرة، العدد التاسع، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

أما سرعة الإدراك، فتشير إلى القدرة على إصدار استجابة مناسبة للمثير في الوقت المناسب، سواء كان المثير سمعيًا أو بصريًا. على سبيل المثال، قد يعاني بعض الأطفال من صعوبات في سرعة الإدراك، حيث يحتاجون إلى وقت طويل للنظر إلى شيء ما وتسميته أو تنفيذ الأوامر السمعية الموجهة إليهم. هذه الصعوبات تعكس تحديات في معالجة المعلومات بسرعة وكفاءة، مما يؤثر على قدرة الفرد على التفاعل مع البيئة المحيطة به بشكل فوري.

أنواع الإدراك:

1- الإدراك البصري.
2- الإدراك السمعي.
3- الإدراك اللمسي.
4- الإدراك الشمي.
5- الإدراك التذوقي.
6- الإدراك الحركي.

اضطراب التذكر:

الذاكرة تُعتبر من أهم العمليات العقلية التي تُشكل الأساس للتعلم والتفكير وحل المشكلات، فهي عنصر جوهري في كل ما نقوم به. تعد الذاكرة محورًا رئيسيًا في علم النفس بشكل عام، وفي علم النفس المعرفي بشكل خاص، حيث تُعتبر مركز العمليات المعرفية، إذ يظهر تأثيرها في جميع الجوانب المعرفية المرتبطة بالنشاط العقلي. لذلك، ترتبط الذاكرة بشكل وثيق بالانتباه والإدراك، وأي اضطراب في هاتين العمليتين يؤثر بشكل مباشر على وظائف الذاكرة.

بعض العلماء يرون أن الذاكرة هي قدرة واحدة متكاملة، تشكل قدرة الإنسان على التركيز، والاحتفاظ بالخبرات السابقة، واسترجاعها. بينما يعتقد آخرون أنها سلسلة متصلة من النشاطات المعرفية تشمل الربط، والاحتفاظ، واستدعاء الخبرات. وبذلك، تُعد الذاكرة نشاطًا عقليًا معرفيًا يبرز قدرة الفرد على تنظيم الخبرات، وتخزينها، واسترجاعها.

تلعب الذاكرة دورًا حيويًا في عملية التعلم، حيث تُساعد الفرد على تجميع آثار الخبرات والمعلومات المكتسبة، مما يؤدي إلى تراكم هذه الخبرات والاستفادة منها في مختلف الاستجابات والمعالجات المعرفية. عندما يُصاب الفرد بصعوبات في الذاكرة، فإن ذلك يؤدي إلى ظهور أعراض متعددة تختلف حسب نوع الإصابة ودرجتها، وكذلك الموقف التعليمي المطلوب. فمثلاً، الطفل الذي يعاني من صعوبة في تذكر واسترجاع المعلومات السمعية أو البصرية أو الحركية يتأثر أداؤه تبعًا لنوع الذاكرة المصابة.

من المهم التركيز على النشاطات التعليمية المرتبطة بالاستراتيجيات الضرورية لمشاركة الطفل فيها لفهم مشاكل الذاكرة عند الأطفال المصابين بصعوبات التعلم. فقد أشار العلماء إلى أن الصعوبات المتعلقة بأداء الواجبات التي تعتمد على الذاكرة لا تعود إلى مشكلة في القدرة ذاتها، بل إلى مشكلة في استخدام الاستراتيجيات المناسبة. الأطفال الذين يعانون من صعوبات في التعلم غالبًا ما تفتقر ذاكرتهم قصيرة الأمد إلى القدرة على تحديد واختيار الاستراتيجية الملائمة لتنفيذ مهمة معينة، مثل التنظيم، والترميز، والتحضير، والتسميع، أو معالجة المعلومات وتخزينها. كما يواجهون صعوبات كبيرة عند محاولة استرجاع المعلومات من الذاكرة طويلة الأمد، بسبب استخدام استراتيجيات غير فعالة أو تفتقر إلى الكفاءة والدقة. فقد اعتبر العلماء المتخصصون الصعوبات المتعلقة بأداء الواجبات التي تعتمد على الذاكرة بأنها مشكلة في استخدام الاستراتيجيات، وليست مشكلة في القدرة؛ لأن الذاكرة القصيرة الأمد عند الأطفال المصابين بصعوبات التعلم تفتقر إلى تحديد واختيار الاستراتيجية المناسبة للقيام بعملية محددة، كالتنظيم والترميز والتحضير والتسميع، أو معالجة المعلومات وتخزينها أو الاحتفاظ بها، وهؤلاء يواجهون مشكلات جمة عند استرجاع المعلومات من الذاكرة الطويلة الأمد؛ لأن الاستراتيجيات المستخدمة لذلك غالباً ما تكون قليلة الفاعلية وتفتقر إلى الكفاءة والدقة والاعتماد على الذات من أجل إعادة تقييم هذه الاستراتيجيات المستخدمة وقياس فاعليتها.

اضطراب التفكير:

يرتبط مفهوم صعوبات التفكير ارتباطًا وثيقًا بمفهوم صعوبات التعلم، حيث يعاني الأطفال ذوو صعوبات التعلم من تحديات في التفكير والتحليل. أذهانهم تفتقر إلى القدرة على تنظيم الأفكار وتحليل المعلومات التي يتلقونها، مما يؤدي إلى التعامل مع الأمور بشكل كلي دون الاهتمام بالتفاصيل.

ولقد اهتمت الدراسات المبكرة في مجال صعوبات التعلم بخصائص الطلاب ذوي الصعوبات، لكنها أهملت التفكير لديهم، على افتراض أن هؤلاء الطلاب يتمتعون بذكاء متوسط أو أعلى من المتوسط، وبالتالي يمكنهم الأداء بشكل جيد في اختبارات التفكير. ولكن مع التقدم العلمي في التربية الخاصة وزيادة الاهتمام بمجال صعوبات التعلم، بدأت الدراسات البحثية في التركيز على التفكير لدى هؤلاء الطلاب، وخرجت بنتائج غير متوقعة.

أظهرت الدراسات أن الطلاب ذوي صعوبات التعلم يعانون من صعوبة في استخدام الاستراتيجيات المعرفية الفعالة، بالإضافة إلى قصور واضح في معرفة وتذكر التفاصيل، ومراقبة الذات، وتصحيح الأخطاء.

كما يُلاحظ أن هؤلاء الطلاب يظهرون سلوكيات تدل على عدم استخدامهم لعمليات التفكير الفعالة. من بين هذه السلوكيات: التهور، وعدم القدرة على التركيز، ومقاومة التفكير، وضعف مهارات التنظيم والتصنيف، والاعتمادية الزائدة على المعلم. وغالباً ما تُعزى هذه السلوكيات إلى الصعوبات التي يواجهها الطلاب في تشكيل المفاهيم، وملاحظة العلاقات بين الأشياء، أو الاستدلال، وحل المشكلات.[16]

اضطرابات اللغة الشفوية:

يُعتبر النمو اللغوي عند الطفل جزءًا أساسيًا من نموه العام، إلى جانب النمو المعرفي والعصبي. أي اضطراب أو تأخر في جوانب النمو المختلفة لدى الطفل قد يؤثر سلبًا على تطوره اللغوي، مما يؤدي إلى مشاكل في اكتساب اللغة بشكل صحيح، خصوصًا اللغة الشفهية التي قد تتعرض لاضطرابات متنوعة. من بين هذه الاضطرابات، نجد اضطرابات اللغة الداخلية التي تظهر في المراحل الأولى من نمو الطفل، وهي مؤشر هام على سلامة النمو العقلي ونمو التفكير للطفل قبل أن يبدأ في استخدام الكلمات.

تظهر اضطرابات اللغة الداخلية من خلال سلوكيات وتصرفات الطفل في التعامل مع الأشياء. الأطفال الذين يعانون من هذه الاضطرابات يتميزون بعدم القدرة على فهم العلاقات بين الأشياء أو المفاهيم المتضادة، مثل التمييز بين الأب والأم. على الرغم من أنهم قد يفهمون هذه اللغة الداخلية، إلا أنهم يواجهون صعوبة في التعبير عنها شفهيًا. على سبيل المثال، قد يدرك الطفل العلاقة بين القلم والورقة عند سؤاله عما يفعل، فيشير إلى القلم ليكتب، لكنه يعجز عن التعبير عن ذلك شفهيًا. هذا يدل على أن هؤلاء الأطفال قادرون على أداء السلوكيات المطلوبة منهم بشكل رمزي، لكنهم غير قادرين على تمثيل هذه السلوكيات لفظيًا.

كما يواجه هؤلاء الأطفال صعوبات في اللغة التعبيرية، وهي القدرة على الإفصاح عما يدور في داخلهم من مشاعر، وأفكار، وعواطف بوضوح، وسلامة. يُعتبر التعبير اللغوي وسيلة أساسية للاتصال الاجتماعي ومؤشرًا على النمو اللغوي السليم. الأطفال الذين يعانون من صعوبات في اللغة التعبيرية يجدون صعوبة

---

[16] السيد عبد الحميد سليمان؛ (2015): فقه صعوبات التعلم، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

في التواصل الشفهي مع الآخرين، بسبب عدم قدرتهم على استخدام الكلمات بطريقة صحيحة، فهم قد يتعرفون على الأشياء ومدلولاتها، لكنهم لا يستطيعون التعبير عنها شفهيًا.[17]

بالإضافة إلى ذلك، يعاني هؤلاء الأطفال من صعوبات في اللغة الاستقبالية، وهي القدرة على فهم ما يُقال لهم. هذا النوع من الصعوبات يُعرف أحيانًا بـ "الحبسة الاستقبالية" أو "الصمم اللفظي"، حيث يكون الأطفال قادرين على الكلام، لكنهم غير قادرين على فهم المعاني اللغوية للكلمات والتراكيب اللغوية المنطوقة. يتسم الأطفال الذين يعانون من هذه الصعوبة بالعجز في فهم الأصوات اللغوية للحروف والكلمات، مما يؤدي إلى ضعف في ربط الكلمات المنطوقة مع الأشياء والخبرات والمشاعر، وصعوبة في تعلم الكلمات وفهم التراكيب واتباع التعليمات.[18]

صعوبات التعلم الأكاديمية

عسر القراءة:

يُعتبر عسر القراءة (Dyslexia) اضطرابًا خاصًا في التعلم، يتمحور حول صعوبة في فصل الكلمات عن الجمل وفصل أجزاء الكلمة الواحدة. قد يواجه الطفل المصاب بعسر القراءة تأخرًا في الكلام، صعوبة في ربط الجمل، أو صعوبة في دمج الأصوات والتعرف عليها داخل الكلمات. ولتشخيص هذا الاضطراب، تُجرى اختبارات لقياس الذكاء وتقييم الأداء الأكاديمي. يشمل العلاج تدريبات مباشرة تهدف إلى تعزيز القدرة على التعرف على الكلمات.

عسر القراءة هو نوع من اضطرابات التعلم. ورغم عدم توفر إحصائيات دقيقة حول عدد الأطفال المصابين بعسر القراءة، إلا أن حوالي 15% من أطفال المدارس يتلقون تدريبًا خاصًا لصعوبات القراءة. يُلاحظ أن هذا الاضطراب يصيب الذكور بنسبة أعلى من الإناث، ولكن قد يكون السبب في ذلك هو عدم تشخيصه بشكل كامل أو دقيق عند الفتيات. يميل عسر القراءة إلى الانتشار داخل العائلات. يحدث عسر القراءة عندما يواجه الدماغ صعوبة في الربط بين الأصوات والرموز (الحروف)، وهذه الصعوبة تنجم عن مشكلات

---

[17] عادل عز الدين الأشول؛ (1987): موسوعة التربية الخاصة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة - جمهورية مصر العربية.

[18] ليندة بودينار؛ (2014): اضطرابات اللغة الشفهية لدى الأطفال ذوي صعوبات التعلم، منصة المجلة الجزائرية للعلوم، العدد الخامس، ص ص: 199-208.

غير مفهومة في بعض توصيلات الدماغ.[19] تكون المشكلة موجودة منذ الولادة، وقد تؤدي إلى أخطاء إملائية وكتابية وتقليل سرعة ودقة القراءة بصوت عالٍ. وعلى الرغم من أن عكس الأحرف يُلاحظ بشكل شائع لدى الأطفال المصابين بعسر القراءة ويُعتبر مشكلة بصرية، إلا أن المشكلة الحقيقية تتعلق بكيفية إدراك الدماغ للأصوات وفهمها. وتجدر الإشارة إلى أن الأشخاص المصابين بعسر القراءة لا يعانون من مشكلات في فهم اللغة المنطوقة.

عسر الكتابة:

عُسر الكتابة (Dysgraphia) هو نوع من أنواع صعوبات التعلم الأكاديمية ويؤثر على قدرة الفرد في اكتساب مهارات الكتابة والتعامل مع القلم. يعد هذا اضطرابًا عصبيًا يمكن أن يصيب الأطفال والبالغين على حد سواء، مما يؤدي إلى كتابة نصوص غير واضحة أو كلمات غير صحيحة. كما يتسبب في ضعف التهجئة، وبطء الكتابة، وعدم القدرة على تكوين الكلمات وكتابتها بشكل صحيح ومنظم، ويُصنف ضمن صعوبات التعلم.

على الرغم من أن الأطفال الذين يعانون من عسر الكتابة قد يعانون أيضًا من عسر القراءة، فإن الاضطرابين ليسا بالضرورة مرتبطين. عسر الكتابة يُعتبر إعاقة مرتبطة بالخط اليدوي، مما يعني أنه اضطراب في الكتابة يترافق مع صعوبات في كتابة الحروف وترميز قواعد الإملاء (مثل قواعد الكتابة، وتخزين الكلمات المكتوبة، ومعالجة الحروف في تلك الكلمات)، وكذلك التحكم في حركة الأصابع اللازمة للكتابة. غالبًا ما يتداخل هذا الاضطراب مع إعاقات تعلم أخرى، مثل اضطرابات النطق، أو اضطراب نقص الانتباه، أو اضطراب التناسق الإنمائي. وعندما يظهر عُسر الكتابة في مرحلة الطفولة، يكون عادة نتيجة لمشكلة في فهم الإملاء أو حروف الهجاء. هذا العسر مرتبط بجانب معين من جوانب الذاكرة المسؤول عن تذكر الكلمات المكتوبة بشكل دائم، وكذلك الطريقة التي يجب أن تتحرك بها اليدين أو الأصابع لكتابة هذه الكلمات.[20]

---

[19] فتحي مصطفى الزيات؛ (2002): المتفوقين عقليا ذو صعوبات التعلم، قضايا التعريف والتشخيص والعلاج، الطبعة الأولى، دور النشر في الجامعات، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

[20] نازك أحمد التهامي؛ (2018): المرجع في صعوبات التعلم وسبل علاجها، الطبعة الأولى، دار العلم والايمان، دسوق، جمهورية مصر العربية.

الأطفال أو البالغون الذين يعانون من عُسر الكتابة يواجهون صعوبة في التخطيط والتنفيذ لكتابة الجمل والكلمات، وحتى الحروف الفردية. هذا لا يعني أنهم غير قادرين على قراءة أو تهجئة الكلمات أو تحديد الحروف، بل أن الدماغ يعاني من صعوبة في التعامل مع عملية الكتابة بشكل صحيح.

عسر الحساب:

عسر الحساب والرياضيات، المعروف علميًا باسم (Dyscalculia)، له تعريفات متعددة ومتنوعة، حيث لا يوجد تعريف موحد ومعتمد رسميًا لهذا الاضطراب .يشير إلى نوع من صعوبات التعلم التي تجعل الطفل غير قادر على فهم الأرقام والتعامل معها بشكل صحيح، مثل عدم التمييز بين العدد الأكبر والأصغر، أو الصعوبة في العد التصاعدي أو التنازلي. وهناك أنواع مختلفة من عسر الحساب، منها:

- **عسر الحساب الشفهي** :حيث يجد الطفل صعوبة في التعرف على الرقم عندما يُنطق، بينما يستطيع التعرف عليه عند كتابته أو قراءته.
- **عسر العمليات الحسابية** :ويشمل عدم القدرة على حل المسائل الحسابية عندما تكون الأرقام مصحوبة برموز، أو العجز عن حل العمليات الحسابية المعقدة.
- **عسر الحساب الإدراكي** :وهو صعوبة في فهم دلالات الأرقام وتذكر العمليات الحسابية المرتبطة بها، مثل الضرب أو القسمة.

الحبسة الكلامية:

الحُبسة (Aphasia) هي فقدان جزئي أو كامل للقدرة على التعبير أو فهم اللغة المنطوقة أو المكتوبة، نتيجة لتضرر المناطق المسؤولة عن اللغة في الدماغ. قد يواجه المرضى صعوبة في القراءة، الكتابة، التحدث، فهم الكلام، أو تكرار الكلمات.

يقوم الأطباء عادة بتشخيص المشكلة من خلال طرح أسئلة على الشخص المصاب، وقد يلجؤون إلى اختبارات تصويرية مثل التصوير المقطعي المحوسب (CT) أو التصوير بالرنين المغناطيسي (MRI) لتحديد

مدى الضرر.[21] المعالجة النطقية قد تكون مفيدة للعديد من الأشخاص الذين يعانون من الحبسة. التحكم في وظيفة اللغة يتم عادة بواسطة النصف الأيسر من الدماغ لدى الأشخاص الذين يستخدمون اليد اليمنى، وحوالي ثلثي الأشخاص الذين يستخدمون اليد اليسرى. بالنسبة للثلث الآخر من مستخدمي اليد اليسرى، يتم التحكم في معظم وظائف اللغة عبر النصف الأيمن من الدماغ. بشكل عام، يتم التحكم في وظيفة اللغة لدى معظم الأشخاص من خلال المناطق التالية في الدماغ:

- جزء من الفص الجبهي الأيسر يعرف بمنطقة بروكا (Broca's area).
- جزء من الفص الصدغي الأيسر يُسمى منطقة فيرنيكه (Wernicke's area).
- الجزء السفلي الخلفي من الفص الجداري الأيسر (بالقرب من منطقة فيرنيكه).
- الروابط بين هذه المناطق. أي ضرر يصيب أي جزء من هذه المناطق يؤدي إلى اضطراب في بعض جوانب وظيفة اللغة، وغالبًا ما تتأثر قدرات الكتابة والكلام بشكل مشابه.

عسر التآزر الحركي:

اضطراب التآزر الحركي (Dyspraxia) هو اضطراب عصبي يؤثر على القدرة على التخطيط والتنسيق بين المهارات الحركية الدقيقة والجسيمة، وقد يمتد تأثيره ليشمل الذاكرة، والإدراك، ومعالجة المعلومات، والقدرات المعرفية الأخرى. يتفاوت ظهور هذا الاضطراب من شخص لآخر، مما يجعله يظهر بأشكال مختلفة.

غالبًا ما يتم التعرف على اضطراب التآزر الحركي في مرحلة الطفولة المبكرة عندما يواجه الطفل تأخيرات في تحقيق المعالم الحركية الطبيعية مثل الجلوس، الزحف، والمشي. ويمكن أن تستمر هذه الأعراض حتى مرحلة المراهقة والبلوغ. وبينما يمكن أن يحدث اضطراب التآزر الحركي بمفرده، إلا أنه غالبًا ما يترافق مع اضطرابات أخرى مثل اضطراب فرط الحركة ونقص الانتباه (ADHD)، وعُسر القراءة، والتوحد. وعلى الرغم من أنه ليس اضطرابًا في التعلم بحد ذاته، إلا أنه يمكن أن يؤثر على قدرة الفرد على التعلم والمشاركة الكاملة في الأنشطة الأكاديمية والاجتماعية والمهنية.

---

[21] عبد الغفار عبد الحكيم الدماطي؛ (2010): صعوبات التعلم في ضوء النظريات، الطبعة الأولى، دار الزهراء للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.

تبدأ أعراض اضطراب التآزر الحركي عادةً في الظهور منذ الطفولة المبكرة. قد يظهر الأطفال الذين يعانون من هذا الاضطراب عصبية مفرطة، ويواجهون صعوبات في الرضاعة، وقد يستمرون في مواجهة مشاكل في التغذية وتأخيرات أخرى في النمو، مثل صعوبة التدريب على استخدام المرحاض ورفض الألعاب التي تتطلب بناء أو تركيب قطع. قد يظهر أيضًا على الطفل عدم القدرة على رمي الكرة أو التقاطها.

الأطفال المصابون باضطراب التآزر الحركي قد يسقطون الأشياء بشكل متكرر ويواجهون صعوبات في الأنشطة التي تتطلب التنسيق بين اليد والعين، مثل التعامل مع الأزرار والسحابات في الملابس. غالبًا ما يتجنب هؤلاء الأطفال الأنشطة البدنية بسبب الشعور بالخجل أو الإحراج، مما قد يؤدي إلى ضعف في نمو العضلات، وصعوبة في ممارسة الرياضة، ودروس اللياقة البدنية، وحتى الوقوف لفترات طويلة. بالإضافة إلى ذلك، قد يواجهون تأخيرات في تطوير مهارات الكلام والكتابة، ويعانون من النسيان وفقدان الحاجيات.

عسر التهجئة:

صعوبات التهجئة والتعبير الكتابي، المعروفة باسم (Dysorhographly)، تشير إلى ضعف قدرة التلميذ على تذكر التسلسل الحركي لكتابة الحروف والكلمات، بالإضافة إلى عدم الكفاءة في استخدام قواعد الكتابة مثل الإملاء والصرف والنحو. هذه الصعوبات تؤثر بشكل كبير على القدرة على التعبير الكتابي الواضح والمنظم. كذلك يواجه التلميذ صعوبة في اختيار الكلمات المناسبة للتعبير عن الأفكار، تحديات في التعبير عن الأفكار بطريقة واضحة وجذابة، صعوبة في تطوير القصص أو المقالات بطريقة إبداعية ومنظمة وكذلك صعوبة في كتابة الكلمات بشكل صحيح والتهجئة بدقة.

إلى جانب هذه الأعراض، قد يواجه التلاميذ الذين يعانون من عسر التهجي تحديات في متابعة التعليمات الكتابية المعقدة، مما يزيد من الشعور بالإحباط ويؤدي إلى تراجع الثقة بالنفس. قد يتطلب هؤلاء الطلاب دعمًا إضافيًا من خلال استراتيجيات تعليمية متخصصة تركز على تحسين المهارات الكتابية وتعزيز القدرة على استخدام اللغة بفعالية في مختلف السياقات الأكاديمية.

أهم الأسباب والعوامل التي يمكن تؤدي إلى صعوبات التعلم

عندما يكتشف الآباء أن أطفالهم يعانون من صعوبات التعلم، يكون أحد أهم الأسئلة التي يطرحونها: "ما هو السبب وراء هذا الاضطراب؟ وماذا حدث ليصيب ابننا؟". رغم أن أخصائيين الصحة النفسية يؤكدون أنه لا يوجد سبب رئيسي واضح لصعوبات التعلم، فإن البحث المستمر من قبل الآباء لمعرفة الأسباب قد يكون غير مجدٍ لهم. ما يهم بالفعل هو التركيز على التقدم للأمام واكتشاف أفضل الطرق للعلاج.

في السابق، كان يُعتقد أن هناك سببًا واحدًا لظهور صعوبات التعلم، لكن الدراسات الحديثة أثبتت أن هناك أسبابًا متعددة ومتداخلة وراء هذا الاضطراب. تشير الأدلة الجديدة إلى أن معظم الإعاقات التعليمية لا تنشأ بسبب خلل في منطقة واحدة محددة في المخ، بل نتيجة صعوبات في تجميع وتكامل المعلومات من مختلف مناطق المخ.

ويذكر الدكتور فتحي الزيات أنا صعوبات التعلم عموما تحدث نتيجة للعديد من العوامل المتباينة، بما في ذلك العوامل الوراثية، والعوامل البيئية والثقافية غير الملائمة، والأمراض التي تحدث للطفل في سنوات نموه المبكرة، وقد تحدث أيضا نتيجة اضطراب في التراكيب الفسيولوجية، أو العصبية، أو الكيميائية، أو نتيجة خلل في بعض وظائف المخ.[22]

ويمكننا تقسيم العوامل المساهمة في حدود صعوبات التعلم لدى التلاميذ فيما يلي:

عوامل بيولوجية:

أظهرت الدراسات أن التكوينات العصبية في المخ تعد من العوامل الأساسية التي تتحكم في عملية التعلم. يتكون المخ من عدة أجزاء تعمل بشكل متكامل على الرغم من اختلاف وظائف كل منها. من بين الأسباب الأكثر قبولًا ومعقولية لصعوبات التعلم هو اضطرابات الجهاز العصبي المركزي، خاصةً ما يُعرف بالخلل الوظيفي، سواء صاحب ذلك تلف عضوي أم لا. عند حدوث أي خلل أو اضطراب في وظائف الجهاز العصبي المركزي لدى المتعلم، يتسبب ذلك في فشل معالجة وتجهيز المعلومات، مما يؤدي إلى ضعف في الوظائف

[22] فتحي مصطفى الزيات؛ (2002): المتفوقين عقليا ذو صعوبات التعلم، قضايا التعريف والتشخيص والعلاج، الطبعة الأولى، دور النشر في الجامعات، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

النفسية الإدراكية، المعرفية، اللغوية، الحركية، والدراسية لدى المتعلم، وبالتالي ظهور صعوبات في التعلم.[23]

هناك افتراض يشير إلى أن التلف البسيط في الدماغ وما يترتب عليه من خلل وظيفي يمكن أن يؤدي إلى صعوبات التعلم. ويتم الاستدلال على ذلك بوجود نوعين من الأعراض. النوع الأول يشمل أعراضًا تتغير بمرور الوقت وتعتبر طبيعية لدى الأطفال الصغار، ولكنها تشير إلى عدم نضج عصبي لدى الأطفال الأكبر سنًا، مثل الخلط بين استعمال اليد اليمنى واليسرى. أما النوع الثاني فيشمل أعراضًا عصبية بسيطة تعتبر غير طبيعية في أي مستوى عمري، وقد تشير إلى عجز عصبي، مثل الرجفة البسيطة أو الغمز بالعينين، وغيرها من العادات العصبية المختلفة.[24]

عوامل وراثية:

يشير عادل عبد الله إلى أن معدل حدوث صعوبات التعلم قد يكون أعلى في بعض الأسر التي لها تاريخ مرضي مشابه، مما يدعم فكرة وجود دور للعامل الوراثي في ظهور هذه الصعوبات. تشير الدراسات إلى أن حوالي 20-30% من حالات صعوبات التعلم توجد لدى الإخوة، وتزداد هذه النسبة لتصل إلى 65-100% في حالة كون الأخوين توأم.[25]

في هذا السياق، أظهرت دراسات علم الوراثة محددات وراثية للقدرة على التجهيز الفونولوجي، ووجدت أن مظاهر صعوبات التعلم يمكن أن تكون موروثة. على سبيل المثال، قامت دراسة "هالجرن" في السويد بمراجعة شاملة لعائلات تضم عددًا كبيرًا من الأفراد الذين يعانون من مشكلات في القراءة أو اللغة،

---

[23] عبد المطلب أمين القريطي؛ (2005): سيكولوجية ذوي الاحتياجات التربوية الخاصة وتربيتهم، الطبعة الرابعة، دار الفكر العربي، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

[24] يوسف أبو القاسم الأحرش؛ (2008): صعوبات التعلم، منشورات جامعة 7 أكتوبر، مصراته، ليبيا.

[25] عادل عبد الله محمود؛ (2006): المؤشرات الدالة على صعوبات التعلم لأطفال الروضة دراسات تطبيقية، الطبعة الأولى، دار الرشاد، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

ووجدت أن نسبة شيوع صعوبات القراءة والكتابة والتهجي بين الأقارب توفر دليلاً كافيًا على أن هذه الحالات تخضع لقوانين الوراثة.[26]

إضافةً إلى ذلك، يُعَد فهم دور العوامل الوراثية في صعوبات التعلم خطوة مهمة نحو تطوير استراتيجيات فعّالة للتدخل المبكر. من خلال تحديد الأنماط الوراثية المرتبطة بصعوبات التعلم، يمكن للباحثين والأطباء تحسين طرق الكشف المبكر عن هذه الصعوبات والعمل على تقليل تأثيرها عبر برامج تعليمية متخصصة. إن التقدم في علم الوراثة يعزز من قدرتنا على تقديم دعم مخصص للأطفال المعرضين لهذه الصعوبات، مما يسهم في تحسين نتائج التعليم والتعلم لديهم. يُعَتَبَر هذا التوجه من أهم التطورات في مجال التربية الخاصة، حيث يوفر أفقًا جديدًا للتعامل مع صعوبات التعلم بطرق أكثر علمية وفعّالة.

عوامل بيئية:

تُعتبر العوامل البيئية من العوامل المهمة في تحديد صعوبات التعلم لدى الأطفال، إذ يمكن أن تؤدي مجموعة من الظروف البيئية إلى تفاقم أو حتى خلق صعوبات تعلمية. على سبيل المثال، تشير نصرة جلجل إلى أن سوء التغذية أو نقص الرعاية الصحية يمكن أن يتسبب في ظهور صعوبات عصبية تؤدي إلى صعوبات تعلمية. وتشير الدراسات إلى أن الجوع والصداع في المنزل قد يمنع من التركيز في الدراسة والذي يعتبر بدوره مشكلة تعليمية فسوء التغذية في السنوات المبكرة من حياة الأطفال يرتبط بصعوبات في تعلم المهارات الدراسية.[27]

إضافةً إلى ذلك، تبرز الدراسات التربوية عوامل تتعلق بالمدرسة كعوامل ذات تأثير كبير على صعوبات التعلم. تشمل هذه العوامل البُعد الفيزيقي والهندسي للمدرسة، جودة المعلم، صعوبة المناهج الدراسية، وعدم توافق المناهج مع ميول واتجاهات المتعلمين.[28] كما يشير "كروكشناك وهلاهان" إلى تأثير نقص

---

[26] مصطفى نوري القمش، وخليل عبد الرحمن المعايطة؛ (2007): سيكولوجية الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن.

[27] نصرة عبد المجيد جلجل؛ (2002): قراءات حول الموهوبون من ذوي العسر القرائي الديسلكسيا، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

[28] كريمان عويضة منشار؛ (1994): العوامل المرتبطة بصعوبات التعلم لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية كما يقدرها المعلمون، مجلة كلية التربية، جامعة عين شمس، العدد 18، الجزء الثالث، ص ص: 377 – 395.

الخبرات التعليمية والتعلمية، وسوء التغذية، وسوء الحالة الطبية، وقلة التدريب، وإجبار الطفل على الكتابة بيد واحدة.[29]

ومع ذلك، يرى "كروكشانك" أن العوامل البيئية قد تكون غير مؤكدة عند النظر في أسباب صعوبات التعلم، بينما يركز "بوش ووزنك" على نقص الخبرات البيئية والحرمان من المثيرات البيئية المناسبة. تبرز أيضاً عوامل أخرى مثل التباعد الزمني بين الولادات، عدد أطفال العائلة، كثرة التنقل، مستوى دخل الأسرة، وعمر الأم عند ولادة الجنين.[30] وفي هذا السياق، يُشير "سميث" إلى أن العديد من العوامل البيئية يمكن أن تسهم في حدوث اضطرابات تعلم لدى الأطفال العاديين أو تزيد من حدة الصعوبات القائمة بالفعل.[31]

إضافةً إلى ذلك، تعتبر استجابة البيئة التعليمية للأساليب التربوية والتدخلات الموجهة من العوامل الحاسمة في التخفيف من صعوبات التعلم. تعزيز البيئة التعليمية لتكون أكثر دعماً واحتواءً يمكن أن يحدث فرقاً كبيراً في تحسين أداء الطلاب الذين يعانون من صعوبات التعلم، مما يعزز من قدرتهم على التفاعل والتعلم بفعالية أكبر.

تشخيص صعوبات التعلم:

إن عملية التشخيص عملية دقيقة وحساسة، حيث يقوم بها فريق عمل متعدد التخصصات سواء النفسية أو التربية أو الطبية، بالتعاون مع أولياء الأمور والمعلمين، وتتم عملية التشخيص وفق الخطوات التالية:[32]

- تقييم تربوي شامل للتلميذ لتحديد القصور في المواد الدراسية.

---

[29] سليمان عبد الواحد يوسف إبراهيم؛ (2010): المرجع في صعوبات التعلم النمائية والأكاديمية، الطبعة الأولى، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

[30] تيسير مفلح الكوافحة؛ (1990): صعوبات التعلم والعوامل المرتبطة بها في المرحلة الابتدائية الأردنية مع اقتراح خطة شاملة لعلاجها، رسالة دكتوراة غير منشورة، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

[31] سعدة أحمد إبراهيم أوشقة؛ (2007): تعديل بعد خصائص السلوك الاجتماعي لدى الأطفال ذوي صعوبات التعلم، دراسة تجريبية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية كفر الشيخ، جامعة طنطا، جمهورية مصر العربية.

[32] جمال القاسم؛ (2015): أساسيات صعوبات التعلم، الطبعة الثالثة، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

- الوقوف على ما إذا كان التلميذ يعاني من أي إعاقات (حركية، بصرية، سمعية، انفعالية)، وكذلك ما إذا كان يعاني من مشكلات (بيئية، اقتصادية، ثقافية) لأنه في حالة وجود مثل تلك الاعاقات والمشكلات، وتبين لنا انها السبب الرئيسي لصعوبات التعلم، فأننا نستثني في هذه الحالة من اعتبار التلميذ يعاني من صعوبات التعلم.
- بناء على الخطوة السابقة يتم تقرير ما إذا كان التلميذ بحاجة إلى علاج طبي.
- بيان ما إذا كان المحتوى التعليمي المقدم للتلميذ مناسب لفئته العمرية وقدراته أن لا.
- بيان ما إذا كان مستوى التحصيل الدراسي للتلميذ مناسب لفئته العمرية وقدراته.
- بيان ما إذا كان أداء التلميذ الدراسي قد تأثر عكسيا وذلك عن طريق قياس مدى التباعد بين تحصيل التلميذ الحالي وبين قدرته الفعلية في واحدة أو أكثر من المواد الدراسية.

نصائح يجب اتباعها فب حالة التعامل مع الطفل ذو صعوبات التعلم[33]

- حاول أن تتفهم مشكلة الطفل:

كلما زادت قدرتك على الاطلاع على أي معلومات متاحة حول مشكلة صعوبات التعلم كلما تمكنت من مساعدة الطفل على مواجهة المشكلات والتحديات التي يواجهها.

- الملاحظة غير المباشرة:

قم بملاحظة الطفل بطريقة غير مباشرة حت تستطيع معرفة أنسب الطرق التي تساعد الطفل على التعلم بطريقة أفضل.

- استغل نقاط القوة:

حاول أن تساعد الطفل على التعلم عن طريق استغلال نقاط القوة الموجودة لديه، فالطفل الذي يعاني من عسر القراءة يمكن أن يتعلم المعلومات الجديدة عن طريق الاستماع على كتاب مسجل أو مشاهدة فيديو تعليمي.

- احترم ذكاء الطفل:

---

[33] يوسف أبو القاسم الأحرش؛ (2008): صعوبات التعلم، منشورات جامعة 7 أكتوبر، مصراته، ليبيا.

صحيح أن الطفل يعاني من صعوبة في التعلم، ولكن ذلك لا يعني ان لديه تدني في نسبة الذكاء، لأن معظم أطفال صعوبات التعلم يكون لديهم مستوى ذكاء متوسط أو فوق المتوسط والذي يمكنهم من تحدي تلك الصعوبات. لذا يجب علينا احترام ذكاء الطفل الطبيعي ومحاولة تنشيطه واستخدام ذكائه في أساليب متعددة للتعلم.

- تقبل الأخطاء:

ان الطفل ذو صعوبات التعلم يميل لأن يرى أخطاءه كفشل ضخم في حياته، لذلك يجب عليك مساعدة الطفل على تقبل الوقوع في الخطأ بروح عالية وهمة لتجاوز الأخطاء، حيث أن الأخطاء مفيدة في التعلم لأنها ممكن تؤدي على حلول مبتكرة وجديدة للمشاكل.

- الاعتراف والتقبل:

يجب علينا تقبل أن هناك مواضيع وأشياء سيكون من الصعب على الطفل القيام بها، أو انه سيواجه صعوبة دائمة في عملها. ان الاعتراف بهذا الامر وتقبله سيساعد الطفل على فهم انه لا ليس فاشلا وان كل انسان العادي لا يكون ماهرا في جميع الأشياء

- إدراك الغضب:

يجب ان تكون مدركا انه قد يولد صراع بينك وبين الطفل أثناء العملية التعليمية أو حتى أثناء القيام بالمهام والواجبات الدراسية؛ وان هذا الصراع قد يؤدي الي موقف معادي بينك وبين الطفل، مما يزيد من شعوره بالفشل. وبدلا من ذلك يمكنك وضع برامج تتماشى مع قدراته التعليمية وتنميها.

- شجع الطفل:

علينا أن نشجع الطفل على التحدث عن الصعوبات التي يواجهها وعلى نقاط ضعفه، وأيضا علينا أن نشجعه على اكتشاف مواهبه الخاصة وان نغريه على اكتشاف الأشياء التي يستطيع أن ينجح ويتقدم فيها.

الخاتمة

في ختام هذه المقالة حول صعوبات التعلم، نجد أن هذا الموضوع ليس مجرد جانب بسيط من جوانب التعليم، بل يمثل تحدياً معقداً ومتعدد الأبعاد يواجه العديد من الأفراد على مدار حياتهم. صعوبات التعلم

ليست مجرد مشكلة تعليمية تؤثر على الأداء الأكاديمي، بل هي قضية تمس كل جانب من جوانب الحياة اليومية للفرد، من تطوير المهارات الأساسية مثل القراءة والكتابة، إلى بناء العلاقات الاجتماعية، وتطوير الهوية الشخصية.

تعكس صعوبات التعلم تفاعلاً معقداً بين العوامل الوراثية والبيئية، مما يجعل من الصعب تحديد سبب واحد لهذه الصعوبات. تشير الدراسات الحديثة إلى أن الدماغ يلعب دوراً مركزياً في هذا التحدي، حيث يمكن أن تؤدي الاختلالات الوظيفية في الجهاز العصبي المركزي إلى ضعف القدرة على معالجة المعلومات بطريقة فعالة. هذا الضعف يؤثر على الوظائف الإدراكية والمعرفية واللغوية والحركية، مما يؤدي بدوره إلى صعوبات في التعلم والاندماج في البيئة التعليمية.

وعلى الرغم من أن العلماء ما زالوا يواجهون تحديات كبيرة في فهم الأسباب الدقيقة لصعوبات التعلم، إلا أن هناك إجماعاً متزايداً على أهمية الاستراتيجيات التعليمية المصممة خصيصاً لمساعدة الأفراد على التغلب على هذه الصعوبات. إن التركيز على تطوير المناهج التعليمية التي تراعي الفروق الفردية واستخدام التقنيات الحديثة يمكن أن يساهم بشكل كبير في تحسين الأداء التعليمي لهؤلاء الأفراد.

من ناحية أخرى، لا يمكننا إغفال دور العوامل البيئية في تطور صعوبات التعلم. فالتغذية السيئة، ونقص الرعاية الصحية، والظروف الاجتماعية والاقتصادية الصعبة، جميعها تلعب دوراً في تفاقم هذه الصعوبات. ولذا، فإن توفير بيئة تعليمية داعمة ومحفزة للأطفال الذين يعانون من صعوبات التعلم، بالإضافة إلى الاهتمام بصحتهم الجسدية والنفسية، يمكن أن يحدث فرقاً كبيراً في حياتهم.

ومن المهم أيضاً أن نشير إلى أن صعوبات التعلم لا تعني نقصاً في الذكاء أو في القدرة على النجاح. على العكس، هناك العديد من الأفراد الذين يعانون من صعوبات التعلم وقد حققوا إنجازات عظيمة في حياتهم. وهذا يعزز فكرة أن الفشل في معالجة هذه الصعوبات بشكل صحيح يمكن أن يحرم المجتمع من مواهب وطاقات هائلة.

وبالنظر إلى ما سبق، نجد أن التعامل مع صعوبات التعلم يتطلب جهداً جماعياً يتضمن الأسرة والمدرسة والمجتمع ككل. يجب أن يكون هناك تعاون وثيق بين المعلمين وأولياء الأمور والأخصائيين لتقديم الدعم اللازم للأفراد الذين يعانون من هذه الصعوبات. كما يجب أن يكون هناك وعي متزايد بأهمية التدخل المبكر، حيث يمكن أن يؤدي هذا إلى تحسين كبير في النتائج التعليمية والاجتماعية.

إن مساعدة الأفراد الذين يعانون من صعوبات التعلم على تحقيق إمكاناتهم الكاملة ليست مجرد مسؤولية فردية، بل هي واجب اجتماعي يتطلب تكاتف الجميع. ففي نهاية المطاف، كل فرد يستحق الفرصة ليزدهر ويتفوق بغض النظر عن التحديات التي يواجهها. ولذا، يجب أن نستمر في البحث والتطوير وتطبيق أفضل الممارسات التعليمية لمساعدة هؤلاء الأفراد على تحقيق النجاح الأكاديمي والشخصي.

ختاماً، يمكننا القول إن صعوبات التعلم، رغم تعقيدها، ليست عائقاً لا يمكن تجاوزه. بل هي تحدٍ يمكن مواجهته من خلال الدعم المناسب والتفهم العميق لطبيعة هذه الصعوبات. ومع التقدم المستمر في مجال الأبحاث التربوية والنفسية، يمكننا أن نأمل في بناء بيئة تعليمية شاملة ومتعددة المستويات تلبي احتياجات جميع المتعلمين، مما يتيح لهم الفرصة لتحقيق النجاح والنمو في حياتهم الأكاديمية والشخصية والاجتماعية.

المراجع

1. رانيا كمال مشرف؛ (2023): تقييم العلاقة بين التعبير العاطفي للأباء والقلق لدى أطفال صعوبات التعلم النمائية، رسالة دكتورة غير منشورة، كلية الطب، جامعة حلوان، جمهورية مصر العربية.
2. زيد بن محمد البتال؛ (2006): صعوبات التعلم هل هي حقا إعاقة أم فقط صعوبة؟، ورقة مقدمة للمؤتمر الدولي لصعوبات التعلم المنعقد في مدينة الرياض، المملكة العربية السعودية.
3. عادل عز الدين الأشول؛ (1987): موسوعة التربية الخاصة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة - جمهورية مصر العربية.
4. نصرة عبد المجيد جلجل؛ (2002): قراءات حول الموهوبون من ذوي العصر القرائي الدسليكسيا، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

5. آيات عبد المجيد مصطفى (2003): برنامج تدريبي مقترح وتأثيره على التخفيف من صعوبات التعلم ورفع مستوي التحصيل لتلاميذ الصفوف الثلاثة الأولي من المرحلة الابتدائية، المجلة المصرية للدراسات النفسية، المجلد 13، العدد 41، سبتمبر، ص ص: 29-62، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
6. يوسف أبو القاسم الأحرش؛ (2008): صعوبات التعلم، منشورات جامعة 7 أكتوبر، مصراته، ليبيا.
7. راضي الوقفي؛ (2011): صعوبات التعلم النظري والتطبيقي، دار المسيرة، عمان، الأردن.
8. سليمان عبد الواحد يوسف؛ (2010): علم النفس التربوي الأسس النظرية والتطبيقات العملية، الطبعة الأولى، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، جمهورية مصر العربية.
9. نبيل عبد الفتاح حافظ؛ (1998): صعوبات التعلم والتعليم العلاجي، جامعة عين شمس، القاهرة، من جمهورية مصر العربية.
10. سليمان عبد الواحد يوسف إبراهيم؛ (2010): المرجع في صعوبات التعلم النمائية والأكاديمية، الطبعة الأولى، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، جمهورية مصر العربية.
11. محمود عوض الله سالم؛ (2006): صعوبات التعلم التشخيص والعلاج، دار الفكر، الطبعة الأولى، عمان، الأردن.
12. مصطفى محمد كامل؛ (1988): علاقة السلوب المعرفي ومستوى النشاط بصعوبات التعلم لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية، مجلة كلية التربية المعاصرة، العدد التاسع، القاهرة، جمهورية مصر العربية.
13. السيد عبد الحميد سليمان؛ (2015): فقه صعوبات التعلم، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، جمهورية مصر العربية.
14. ليندة بودينار؛ (2014): اضطرابات اللغة الشفهية لدى الأطفال ذوي صعوبات التعلم، منصة المجلة الجزائرية للعلوم، العدد الخامس، ص ص: 199-208.
15. فتحي مصطفى الزيات؛ (2002): المتفوقين عقليا ذو صعوبات التعلم، قضايا التعريف والتشخيص والعلاج، الطبعة الأولى، دور النشر في الجامعات، القاهرة، جمهورية مصر العربية.
16. نازك أحمد التهامي؛ (2018): المرجع في صعوبات التعلم وسبل علاجها، الطبعة الأولى، دار العلم والايمان، دسوق، جمهورية مصر العربية.

17. عبد الغفار عبد الحكيم الدماطي؛ (2010): صعوبات التعلم في ضوء النظريات، الطبعة الأولى، دار الزهراء للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.
18. عبد المطلب أمين القريطي؛ (2005): سيكولوجية ذوي الاحتياجات التربوية الخاصة وتربيتهم، الطبعة الرابعة، دار الفكر العربي، القاهرة، جمهورية مصر العربية.
19. عادل عبد الله محمود؛ (2006): المؤشرات الدالة على صعوبات التعلم لأطفال الروضة دراسات تطبيقية، الطبعة الأولى، دار الرشاد، القاهرة، جمهورية مصر العربية.
20. مصطفى نوري القمش، وخليل عبد الرحمن المعايطة؛ (2007): سيكولوجية الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن.
21. نصرة عبد المجيد جلجل؛ (2002): قراءات حول الموهوبون من ذوي العسر القرائي الديسلكسيا، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، جمهورية مصر العربية.
22. كريمان عويضة منشار؛ (1994): العوامل المرتبطة بصعوبات التعلم لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية كما يقدرها المعلمون، مجلة كلية التربية، جامعة عين شمس، العدد 18، الجزء الثالث، ص ص: 377 – 395.
23. سليمان عبد الواحد يوسف إبراهيم؛ (2010): المرجع في صعوبات التعلم النمائية والأكاديمية، الطبعة الأولى، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، جمهورية مصر العربية.
24. تيسير مفلح الكوافحة؛ (1990): صعوبات التعلم والعوامل المرتبطة بها في المرحلة الابتدائية الأردنية مع اقتراح خطة شاملة لعلاجها، رسالة دكتوراة غير منشورة، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، القاهرة، جمهورية مصر العربية.
25. سعدة أحمد إبراهيم أوشقة؛ (2007): تعديل بعد خصائص السلوك الاجتماعي لدى الأطفال ذوي صعوبات التعلم، دراسة تجريبية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية كفر الشيخ، جامعة طنطا، جمهورية مصر العربية.
26. جمال القاسم؛ (2015): أساسيات صعوبات التعلم، الطبعة الثالثة، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

References

1. Bateman, B.D. (1965): An Educators view of a diagnostic approach to learning disorders, Journal of Hellmuth learning disorders, Vol. (1), pp. 219-239.
2. Lyon, G. Reid (1996): The state of research on learning disabilities. Journal of Child Psychology and Psychiatry, 37(1), 25-40.
3. Shaywitz, Sally E. (2003): Overcoming dyslexia: A new and complete science-based program for reading problems at any level. Alfred A. Knopf.
4. Fletcher, Jack M., Lyon, G. Reid, Fuchs, Lynn S., & Barnes, Marcia A. (2007): Learning disabilities: From identification to intervention. The Guilford Press.
5. Lerner, Janet W., & Johns, Beverley B. (2012): Learning disabilities and related mild disabilities: Characteristics, teaching strategies, and new directions. Wadsworth, Cengage Learning.
6. Swanson, H. Lee, Harris, Karen R., & Graham, Steve (Eds.). (2003): Handbook of learning disabilities. The Guilford Press.
7. Wong, Bernice Y. L. (2004): Learning about learning disabilities (3rd ed.). Elsevier Academic Press.
8. Rutter, Michael, & Yule, William (1975): The concept of specific reading retardation. Journal of Child Psychology and Psychiatry, 16(3), 181-197.
9. Snowling, Margaret J. (2000): Dyslexia (2nd ed.). Blackwell Publishers.
10. Stanovich, Keith E. (1986): Matthew effects in reading: Some consequences of individual differences in the acquisition of literacy. Reading Research Quarterly, 21(4), 360-407.
11. Torgesen, Joseph K. (2002): The prevention of reading difficulties. Journal of School Psychology, 40(1), 7-26.

مجلة بادر
المُحكّمة لعلم النفس الإسلامي

المشكلات التعليمية والاجتماعية التي يواجهها متعلمو اللغة العربية الناطقون بغيرها في غانا مدينة (فري) أنموذجا

الدكتور موسى عيسى زين الدين
mizainudeen@unimac.edu.gh
مسعود إبراهيم انياس
361019316m@gmail.com

ملخص البحث:

هدفت الدراسة إلى الوقوف على أهم المشكلات التعليمية والاجتماعية التي يواجهها متعلمو اللغة العربية في غانا- مدينة فري أنموذجا. والوصول إلى أهم الحلول المناسبة لهذه المشكلات. وقد استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لتحديد أهم المشكلات التعليمية والاجتماعية التي يواجهها متعلمو اللغة العربية في مدينة فري.

وأظهرت الدراسة أن أهم المشكلات التعليمية والاجتماعية التي يواجهها متعلمو اللغة العربية في مدينة فري تكمن في: ضعف استخدام اللغة العربية كوسيلة للتواصل في البيت وفي المدرسة، وهذا يرجع إلى قلة تشجيع المعلمين للطلاب بالتحدث باللغة العربية، وكذلك قلة تواجد العالمين باللغة العربية في مجتمعات الطلاب، وتقديم المجتمعات للغة الانجليزية على اللغة العربية في التقدير والاحترام والاهتمام؛ مما يؤدي إلى ضعف تقدير الطلاب لأنفسهم واهتمامهم وشغفهم بتعلمها. وأظهرت الدراسة أيضا أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابات أفراد عينة الدراسة تعزي لمتغير الجنس والفصل الدراسي, وكذلك في عدد سنوات دراسة اللغة العربية بالنسبة لأفراد عينة الدراسة.

الكلمات المفتاحية: المشكلات – التعليمية – الاجتماعية – غانا.

Educational and Social Problems Facing Non-Native Arabic Learners in Ghana (Prang) as a Model

Dr. Musah Issa Zainudeen
mizainudeen@unimac.edu.gh
Mr. Maswud Ibrahim Anyars
361019316m@gmail.com

ABSTRACT

The study aimed to identify the most important educational and social problems faced by Arabic language learners in Ghana - the city of Prang as a model. And to reach the most appropriate solutions to these problems. The study used the descriptive analytical approach to identify the most important educational and social problems faced by Arabic language learners in the city of Prang.

The study showed that the most important educational and social problems faced by Arabic language learners in the city of Prang are: the weak use of the Arabic language as a means of communication at home and at school, and this is due to the lack of encouragement of teachers for students to speak Arabic, as well as the lack of presence of Arabic language scholars in student communities, and the communities' preference for the English language over the Arabic language in appreciation, respect and interest; which leads to weak student interest and passion for learning it. The study also showed that there are no statistically significant differences between the responses of the study sample members attributed to the gender and level variables, as well as the number of years of studying the Arabic language for the students.

Keywords: Problems - Educational - Social - Ghana.

مقدمة:

لقد كرم الله العرب بلغتهم البليغة، إذ تمتاز ببعض المميزات عن سائر لغات العالم, والتي تشق عائقا حتي لأبنائها الذين يكتسبونها، فكيف المتعلمون من غير أبنائها؟، ولكون اللغة " أداة يعبّربها كل قوم عن قصدها "، لا يمكن لأي قوم أو دول التقدم؛ سواء اقتصاديا أو غيره إلا بها. " فاللغة من أعظم الإنجازات البشرية على وجه الأرض، ولولا اللغة ما قامت للإنسان حضارة ولا نشأت مدينة ."

وفي الواقع لا يمكن للإنسان الاستمرار في هذه الحياة بدون لغة، فهي ضرورية إذ لا تقل أهمية عن حاجة الإنسان للهواء والغذاء، فاللغة ضرورية لبقاء واستمرار الحياة الاجتماعية والفكرية، وقد أكد ذلك الدكتور"نايف خرما" حينما تحدث عن أهمية اللغة ووظيفتها الاجتماعية، فبيّن أن وظيفة اللغة الأولى هي وظيفة اجتماعية، إذ ليس فيها من الأفكار والمعلومات ما هو مهم يحتاج إلى توصيل من فرد إلى آخر، وإن قوة تماسك أفراد مجتمع ببعضهم يتوقف على قوة تماسك ذلك المجتمع.

ومن جانب آخر فإن الدافعية أو رغبة المتعلم في العملية التعليمية تلعب دورا فعالا، بل هي معيار في نجاح المتعلم أو فشله في تعلم اللغة الثانية والسيطرة على مهاراتها الأربع (الاستماع، التحدث، القراءة، الكتابة)، لأنها توجه النشاط الذي يقوم به المتعلم وتحدده، فاستعمال اللغة والتواصل بها مع الناس، غالبا ما يكون السبب الطبيعي والحافز الأول لتعلم اللغة .

ومن أهم المعوقات والصعوبات التي يواجهها متعلمو اللغة العربية في مدارسنا، بمدينة فري، هي عدم إجادة المعلمون للغة العربية، وعدم إدراكهم لأساليب إدارة الصف، فلو نظرنا إلى تعليم اللغة الأجنبية نظرة متعمقة؛ لوجدنا أن المشكلة أكبر من ذلك بكثير، فالمشكلة لا تكمن في المعلم فقط، ولا في الطريقة، ولا في المادة التدريسية، ولا في الطالب، ولا في أحوال التعليم من نفسية واجتماعية وغيرها فحسب، بل إن المشكلة تستدعي تشابك هذه الأطراف جميعها بالإضافة إلى كشف أغوار اللغة نفسها، والعقل البشري، والنفس الإنسانية، والعمليات العقلية والنفسية المختلفة، وكشف أحوال المجتمع الإنساني التي تجري فيه عملية التعلم والتعليم.

ومن العوامل التي تؤثر في عملية التعلم نوعية البيئة الاجتماعية التي تنتمي إليها اللغة الثانية، فإذا كان المتعلم يعيش في بيئة يسودها القلق، وعدم الاستقرار، فإن ذلك يسبب حاجزا نفسيا واجتماعيا بينه وبين أهل اللغة، وعندما يبلغ ذلك الحاجز ذروته، سيشكل عائقا في مواصلة التعلم، وهذه الحالة قد تحدث في الحجرة الدراسية وفي البيئة العامة للمتعلم، فهاتان البيئتان يتم فيهما عملية اكتساب اللغة وتعلمها، ففي

داخل الحجرة الدراسية يشعر المتعلم بالقلق إذا كان المعلم مسيطرا على جميع الأنشطة التعليمية، وفي بعض الأحيان قد يطلب المعلم من المتعلم الأجنبي أن يتحدث أمام زملائه وهو لا يمتلك إلا القليل من اللغة، مما يؤدي إلى وقوع المتعلم في أخطاء لغوية تكون مثار للنقد والسخرية، وهذا بطبيعة الحال يؤدي إلى ارتباك المتعلم وعدم السيطرة على الموقف .

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة هذا البحث في الوقوف على أهم المشكلات التعليمية والاجتماعية التى يواجهها متعلمو اللغة العربية في غانا مدينة (فري) أنموزجا، ومحاولة إيجاد الحلول المناسبة لها.

أسئلة البحث:

يسعى هذا البحث إلى الإجابة عن السؤال الآتي:

ما المشكلات التعليمية والاجتماعية التى يواجهها متعلمو اللغة العربية في غانا مدينة - (فري)؟

ويتفرع عن السؤال الرئيسي الأسئلة الآتية:

1 - ما المشكلات التعليمية والاجتماعية التي يواجهها متعلمواللغة العربية في غانا- مدينة (فري)؟

2 - ما مدى توافر هذه المشكلات لدى المتعلمين ؟

3 - ما الحلول المناسبة المقترحة لهذه المشكلات ؟

أهداف البحث:

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1 - الوقوف على أهم المشكلات التعليمية والاجتماعية التي يواجهها متعلمو اللغة العربية في - غانا مدينة فري - أنموزجا.

2 – معرفة مدى توافر هذه المشكلات لدى المتعلمين.

3 - الوصول إلى الحلول المناسبة لهذه المشكلات.

أهمية البحث :

تكمن أهمية هذا البحث في الوقوف على أهم المشكلات التعليمية والاجتماعية، ومحاولة إيجاد الحلول المناسبة لها، وتنبع أهمية البحث في ركنين أساسيين هما:

1 -المساهمة في مواجهة مشكلات تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، والتي - حددتها اللسانيات الاجتماعية ودورها في تعليم اللغات .

2 -إيجاد بعض الحلول المناسبة للتغلب على هذه المشكلات.

المبحث الأول: المشكلات التعليمية

المطلب الأول: تعريف المشكلات:

مفهوم المشكلات:

شَكَلَ الأمر يشكُل شَكلاً، أي: التبس الأمر، والعامة تقول: شَكَل فلان المسألة أي علّقها بما يمنع نفوذها.

ويقصد بها أيضا: "ما لا يعرف المراد منها إلاّ بدليل يتميز بها من بين سائر الأشكال, والمشكّل: أي: " ما لا ينال المراد منه إلا بتأمّل بعد الطلب ."

وقد وافق على هذا التعريف عبد الوهاب عبدالسلام، فى كتابه، التربية الاسلامية وفن التدريس.

وقد عرّفها جمال عبد الرحمن بأنها: " عقبة تسد الطريق أمام القدرات التى تكونت عند الفرد لتحقيق هدف مرغوب فيه ."

وهي إذن، عبارة عن نتيجة غير مرغوب فيها, بينما يرى البعض بأنها انحراف أو عدم التوازن بين ما هو كائن وبين ما يجب أن يكون .

لكن كما يبدو، فإن المشكلات التى يتعرض لها الإنسان ليست واحدة، بل متنوعة، ويمكن أن تختلف تبعا للطريقة التي تنظر بها إلى المشكلة أو الطرائق التي تصنف بها المشكلات.

مفهوم التعليم:

التعليم لغة: مصدر من علّم- يعلم- تعليما، أي جعله يعلم.

أما في الاصطلاح، فقد عرفه كثير من العلماء بتعريفات مختلفة منها، "عملية نقل المعلومات من الكتب أو من عقل المعلم إلى عقل المتعلم ."

وعرفه صالح عبد العزيز بأنه: "نقل المعلومات من المعلم الإيجابي إلى المتعلم المتلقي الذي ليس له إلا أن يتقبل ما يلقيه المعلم."

وبشكل عام، التعليم، "هو عملية إعادة بناء الخبرة التى يكتسب المتعلم بواسطتها المعرفة والمهارات والاتجاهات والقيم, وهي التى تسمى بالمجال المعرفي عند علماء التربية . "COGNATIVE DOMAIN

المشكلات التعليمية:

هي الصعوبات أو المعوقات المتعلقة بأي من مكونات أو جوانب العملية التعليمية، وتحد من فعالية نظام التعليم العام ."

وقد عرفها موسي بأنها: " الصعوبات التي تواجه الطلبة ذات الصلة بالعملية التعليمية وتشمل: طراق التدريس والمناهج، والامتحانات، والمعلمين، والمرشدين، والمكتبة."

وهي إذن، العوائق والصعوبات التي يواجهها متعلموا اللغة العربية في (مدينة فري)، والتي تؤثر على عدم الوصول إلى متطلباتهم.

المطلب الثاني: أنواع المشكلات التعليمية:

التمهيد:

مما اشتهر فى العالم الإنساني، أن التعليم عماد القوم وعلامة علوّها وازدهارها، وتركها علامة فشلها, ولا يمكن لأي قوم أو دولة التطور والازدهار إلا به، ومشكلة تعليم اللغة العربية في (مدينة فري) من جانب متعلميها، هي عدم التحدث بها كأداة التواصل في المدارس والمجتمع؛ مع أن الثروة اللغوية تبدأ من الصفر وتنتهي بنحو ألف كلمة في المرحلة الأولى، وتبدأ من ألف إلى ألفين كلمة من المرحلة المتوسطة."

ومما تؤدي إلى هذه المشكلات، عدم المدة الزمنية الكافية لتدريس اللغة العربية في اليوم، وعليه سيعرض الباحث في النقاط الآتية أهم أنواع المشكلات التي يواجهها متعلمو اللغة العربية من غير الناطقين بها.

أنواع المشكلات التعليمية:

إن المشكلات التعليمية التي يواجهها المتعلمون كثيرة، أهمها :

1 .مشكلات تتعلق بالمتعلم.

2 .مشكلات تتعلق بالمعلم .

3 .مشكلات التى تتعلق بالمجتمع.

4 .مشكلات التى تتعلق بالمنهج.

وفيما يلي بيان لذلك:

(أ) مشكلات تتعلق بالمتعلم:

(1) تأثيره بالغة الأم، تجعله ينقل بعض أصوات لغته الأم أو تراكيب لغة الأم، إلى اللغة العربية.

(2) عدم اهتمام المتعلمين بمظهرهم وخلفياتهم الثقافية والاجتماعية، وعدم ممارسة اللغة المتعلمة.

(3)عدم وجود كتب ومقررات تعليمية مناسبة لبيئة المتعلمين.

(4)تعليم اللغة في سن متأخر، مما يشكل الصعوبة لدى المتعلم؛ وهي عدم نطق الحروف بالطريقة السليمة كما هي.

(5)اختلاف مستوى الطلاب اللغوي في الصف الواحد .

(ب) مشكلات تتعلق بالمعلم:

يواجه المعلمون مشكلات كثيرة في العملية التعليمية، ومن أبرزها؛

(1)قلة إلمام المدرسين بالجوانب التربوية الحديثة، وضعفهم في بعض مهارات اللغة وعناصرها, أو عدم فهمهم لطبيعة مرحلة المراهقة، وأنهم لا يراعون شعور الطلبة أثناء تدريسهم للمواد الدراسية، ولا يراعون خصائص الطلبة في هذه المرحلة، ولا يدركون ميولهم.

(2)قلة الرواتب الشهرية التي لا تكفي لكفالة المعلم.

(3)عدم تشجيع المتعلمين بالتحدث باللغة المتعلمة .

(4)عدم وجود برامج حديثية تواكب التقدم العلمي التكنولوجي.

(ج) مشكلات تتعلق بالمجتمع:

(1) مشكلة الإزدواجية اللغوية بين ما يتعلمه الدارسون فى داخل الحجرات الدراسية، وبين ما يواجهونه في المجتمع خارجها من لغات مختلفة.

(2)تداخل مستويات صوتيات اللغة الأم بمستويات صوتيات اللغة الهدف (اللغة العربية) .

(د) مشكلات تتعلق بالمنهج:

المنهج الدراسي بمعناه التقليدي هو: مجموع المعلومات والحقائق والمفاهيم والأفكار التي يدرسها الطلبة في سورة مواد دراسية.

وقد تطور مفهوم المنهج الدراسي في قواميس اللغة الأجنبية بعدة تعريفات، منها: مجموعة من المقررات والخبرات التي يكتسبها التلميذ في المدرسة أو الكلية .

وتواجه برامج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها عدة تحديات، منها ضعف المستوى التعليمي العام وغياب التعاون على مستوى المناهج.

وفيما يلي عرض لمشكلات المنهج:

(1)عدم توفر المنهج المناسب المعد إعدادا سليما. (2) عدم توفرالوقت الكافي لتعليم المنهج والمقرر .

(3)عدم كفاية الأنشطة التعليمية بالنسبة للمنهج, ووجود القصور في برنامج التقويم.

(4)عدم وجود فلسفة تربوية واضحة ومحددة للمنهج, وعدم كفاية آداء المعلم .

أسباب المشكلات التعليمية:

تتعدد أسباب المشكلات في العملية التعليمة حسب البيئة والزمن, ومن أبرزها في مجال تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، ما يلي:

1 .الخلط بين تعليم اللغة والتعليم عن اللغة, أي: (تعليم اللغة, ودراسة اللغة)

ثمت فرق بين تعليم اللغة، ودراسة اللغة, وبين عالم اللغة، ومعلم اللغة أو مدرس اللغة.

وفيما يلي بيان لذلك:

1- دراسة اللغة أو التعليم عن اللغة:

ويقصد بدراسة اللغة أو التعليم عن اللغة بأنها: الوصف العلمي للظاهرة اللغوية، وتحليل بنيتها. وهي، التعليم عن بعض الجوانب اللغوية كتعليم النحو وغيره. ويعد بمنزلة البعض عن الكل.

2 -تعليم اللغة:

التعليم موقف يتميز بالتفاعل بين طرفين رئيسين: مرسل وهو المعلم، ومستقبل وهو المتعلم، ويسعى المعلم خلال هذا الموقف وفي ظل توافر شروط معينة، وفي ضوء أهداف تعليمية محددة إلى مساعدة المتعلم على أن يكتسب مجموعة من المعارف والاتجاهات والمهارات، والتي تؤدي بدورها إلى تعديل سلوكه وتعمل على نموه نموا شاملا متكاملا .

وهو إذن, فن من فنون إيصال المادة الدراسية من المعلم إلى أذهان المتعلم وتغيير أعمالهم، من السيئات إلى الحسنات، ومن الجهل إلى العلم، ومن الظلمات إلى النور بأنشطة تعليمة معينة, وبطريقة مناسبة, وبأقل جهد ونفقات حتى يحصل على أغراض التعليم الكافية والكاملة.

وهو بإختصار، الكيفية التي يتعلّم بها الإنسان اللغة سواء أكانت اللغة الأم أو اللغة الأجنبية.

إذن، فبين تعليم اللغة ودراسة اللغة علاقة وطيدة, وذلك لأن اللغة هي الموضوع التي نقوم بتعليمه، وهذا يتطلب على المعلّم، المعرفة باللغة من حيث حقيقتها، وطبيعتها .

ووفقا لهذه التعريفات، ظهر مصطلح عالم اللغة ومعلم اللغة.

عالم اللغة: [مفرد] ج: عالمون, وعلماءُ:

وهو المتصف بالعلم، والمعرفة، ومتخصص في علم معين.

فالعالم باللغة، مستقل تماما عن ما يحدث في مجال تعليم اللغة, وله مجال خاص به، ويتم إعداده وفق خطة معينة.

ومن أبرزعلماء اللغة، ما يلي:

1- أبو الأسود الدؤلي.

2 -الخليل بن أحمد الفراهيدي.

3- سيبويه.

4 -الكسائي.

5 -ابن جُنِّي.

معلِّم اللغة:

هو مَنْ مهنته التَّعليم، ويتم إعداده وفق خطة معينة تختلف عن الخطة السابقة. ويسمى "معلم"، دون المرحلة الجامعية. أما في المرحلة الجامعية فيسمى مدرسا أو أستاذا .

ومما لا شك فيه، " أنَّ عملية التعليم، تربط ارتباطا وثيقا بأهداف العملية التعليمية التي تعمل على تحقيقها من خلال المنهج، والمعلم، بما في ذلك كفاياته الأكاديمية والتدريسية. فهو المسؤول المباشرعن توجيه الشيء، عبر اتصاله الشخصي المباشر مع المتعلم، فيساعده على تحصيل المعرفة من الكتب، ومن قنوات التعلم المختلفة، ويستثيره نحو التعلم .

المبحث الثاني: المشكلات الاجتماعية

المطلب الأول: تعريف المشكلات الاجتماعية.

مفهوم المشكلات الاجتماعية:

التمهيد:

بدأ علماء الاجتماع الأمركي، بدراسة المشكلات الاجتماعية مع بداية التصنيع السريع والتحضر في المجتمع الأمركي، في جامعة شيكاغو، عام: 1892م, واعتبروا هذا القسم (علم الاجتماع) مركزا للبحوث الاجتماعية, وقد مر بمراحل تاريخية عدة, وأطلق عليه العلماء مصطلح العلة الاجتماعية والتفكك الاجتماعي و السلوك المنحرف، وكلها تعني المشكلات الاجتماعية .

المشكلات الاجتماعية لغة :

اجتماعيّ، ةٌ [ج. م. ع] (منسوب إلى الاجتماعِ).

"هو اجتماعيٌّ بطبعه": أي له فطرة تميل إلى معاشرة الناس في المجتمع والاختلاط بهم. وهذا يوافق قولهم "الإنسان كائن اجتماعي ."

ويقصد بها اصطلاحا، " أنماط سلوكية أو حالات تعد مرفوضة أو غير مرغوب بها من قبل عدد كبير من أعضاء المجتمع، وأن هؤلاء الأعضاء يعترفون بضرورة وضع الخطط والبرامج وتقديم الخدمات الإصلاحية في مواجهة هذه المشكلات والحد منها. وعرفها سرحان: بأنها: " الصعوبات الاجتماعية التي تحيط بالطلبة في المدرسة والأسرة، والتي قد تنتج عن عدم توافر أماكن لممارسة نشاطهم الاجتماعي، وعن عدم قدرتهم على التكيف مع البيئة المدرسية ."

وعرفها العمري بأنها: "عبارة عن موقف يحتاج إلى المعالجة والتجهيز، أو خبرة تبعث على الحيرة أو إرتباك يواجهها الفرد, وتتطلب منه اتخاذ قرار أو بناء خطة عمل ."

وعرفه فيلسوفي "مارك سانيول": بأنها "سمة من سمات معيشة الكائنات كما ينطبق على السكان البشرية والحيوانات الأخرى."

المطلب الثاني: أنواع المشكلات الاجتماعية:

تعددت آراء الباحثين والمتخصصين في تحديد أنواع المشكلات الاجتماعية, حيث يرى بعضهم بأن لها أساسيات ومرضيات ومجتمعيات.

وفيما يلي بيان لذلك :

1 -مشكلة أساسية :

تربط بعدم كفاية الخدمات المتوفرة في المجتمع لإشباع حاجات الأفراد. مثل: نقص المدارس، أو المستشفيات، وغيرها.

2 -مشكلة مرضية:

وهي الأخلاق السيئة والإجرامية، مثل: السرقة والقتل، وغيرها.

3 -مشكلة مجتمعية:

وترتبط بسوء العلاقات بين الجماعات المختلفة في المجتمع، وعدم اهتمام المواطنين بمشكلاتهم، وتركهم للظروف .

وذكر دشتي، في رسالته نقلا من ذكر الخميس، بأن المشكلات الاجتماعية أربعة أنواع ومستويات, هي:

1 -المشكلات التي تتضمن اهتمام جماعات صغيرة ذات أهداف إنسانية.

2 -المشكلات التي تتضمن مجال اهتمام واسع المدى، مثل انحراف الأحداث.

3 -المشكلات التي تتضمن الاهتمام المتزايد التي ينبثق عن الخبرة الجماهرية, مثل، البطالة .

4 -المشكلات التي تتضمن اهتمام الجماعات اقتصادية خاصة يهددها المجتمع الكبير، وهنا يمكن النظر إلى التنظيمات التي تتناقض مع نظام الحوافزعلى أنها مشكلة اجتماعية .

ويكون انتشار هذه المشكلات في المجتمع، والفئات التي تصيبها بشكل كبير، على مستويات. منها:

1- المستوى الفردي والشخصي.

-2 مستوى الفئات الاجتماعية .

3 -مستوى المؤسسات والمجتمعات

4 -المستوى الإقليمي والعالمي.

المطلب الثالث: أسباب المشكلات الاجتماعية:

تعددت أسباب ومسببات المشكلات الاجتماعية من ناحية, بل تختلف من زمان إلى زمان، ومن باحث إلى باحث آخ، إذ يصعب أن نقف على سبب واحد لها، طبقا لخلفيته وتكوينه, وعلى أية حال يمكن أن نرجع إلى بعض الأمور المهمة باعتبارها وراء هذه المشكلة، وهي:

1 -العوامل الوراثية: هي العوامل التي تتعلق بذات فرد .

2 -العوامل البيئية الطبيعية: يعني، التغيرات البيئية التي تحدث فجأة بسبب البراكين أو الزلازل أو الفيّاضة.

3 -العوامل البيئية الاجتماعية: وهي العوامل التي تحدث من خلال الفعل الاجتماعي وتكون مصدر لتفريخ المشكلات الاجتماعية .

ومن أهم العوامل المسببة لحدوث المشكلات الاجتماعية، ما يلي:

1- عجز المؤسسات الاجتماعية في تحقيق أهدافها أو غايتها.

2- فشل الأفراد في تمثيل قيم المجتمع المتفق عليها .

3 -عجز النظم الاجتماعية في استيعاب التغيرات الجديدة، حيث يؤدي ذلك إلى فجوة بين الأفراد والنظم الاجتماعية ، مما يؤدي إلى حدوث مشكلات اجتماعية.

المبحث الثالث: إجراءات البحث

يتناول الباحث في هذا المبحث منهج البحث، ومجتمع البحث، وأدوات البحث، والإجراءات التي استخدمها في التحقق من صدق أداة البحث وثباتها وأهم الخطوات التي اتبعها الباحث لتنفيذ دراسته الميدانية، والأساليب الإحصائية التي استخدمها الباحث في تحليل بيانات البحث، وذلك على النحو التالي:

أولاً: منهج البحث:

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي, نظراً لملائمته لهذا النوع من الدراسات، ويعتمد هذا المنهج على دراسة الظاهرة كما توجد في الواقع وتهتم بوصفها وصفاً دقيقاً ويعبر عنها تعبيراً كيفياً أو تعبيراً كمياً, فالتعبير الكيفي يصف لنا الظاهرة ويوضح خصائصها, أما التعبير الكمي فيعطينا وصفاً رقمياً يوضح مقدار هذه الظاهرة أو حجمها ودرجات ارتباطها مع الظواهر المختلفة الأخرى.

ثانياً: مجتمع البحث:

يتكون مجتمع هذا البحث من متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها في دولة غانا مدينة فري نموذجا، في مختلف الفصول الدراسية.

ثالثاً: عينة البحث:

اشتملت عينة البحث على متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها في دولة غانا مدينة فري نموذجا, وقد استجاب منهم عدد (28) طالباً، ويتصف أفراد عينة البحث بعدد من الصفات الوظيفية التي تتمثل في: الجنس، الفصل الدراسي، سنوات تعلم اللغة العربية،كما هو موضح في الجدول.(1)

جدول رقم(1)

توزيع أفراد العينة وفق متغيرات البحث

المتغير	فئات المتغير	العدد	النسبة المئوية
الجنس	ذكر	16	%57.15
	أنثى	12	%42.85
المجموع		**28**	**%100**
الفصل الدراسي	متوسط1	7	%25
	متوسط2	12	%42.8
	متوسط3	9	%32.2
المجموع		**28**	**%100**
سنوات التعلم	أقل من عام واحد	1	%3.57
	من سنة إلى 3 سنوات	7	%25
	من 3 إلى 5 سنوات	10	%35.7
	أكثر من 5 سنوات	10	%35.7
المجموع		**28**	**%100**

يوضح الجدول رقم (1) أعلاه توزيع أفراد عينة البحث وفقاً لمتغير الجنس، حيث إن النسبة الأكبر من أفراد البحث من الذكور بتكرار (12) وبنسبة (57.15%)، في حين أن هناك (12) من الإناث يمثلن ما نسبته (42.85%)

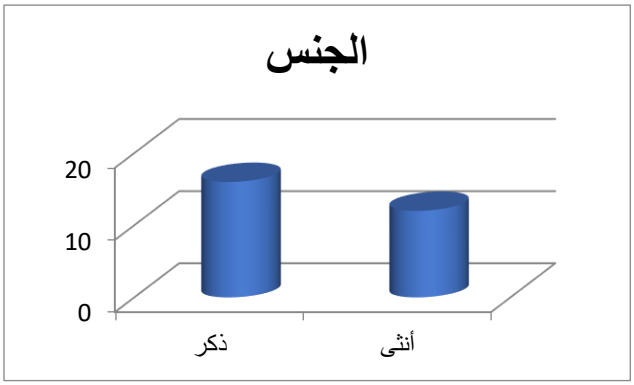

ويوضح أيضا توزيع أفراد البحث وفقاً لمتغير الفصل الدراسي، حيث إن النسبة الأكبر من أفراد البحث من الفصل "متوسط2" بتكرار (12) وبنسبة (42.8%)، في حين أن هناك (9) من أفراد البحث من الفصل "متوسط3" يمثلون ما نسبته (32.2%)، وتكرار (7) فقط من الفصل الدراسي "متوسط1", وبنسبة.(25%)

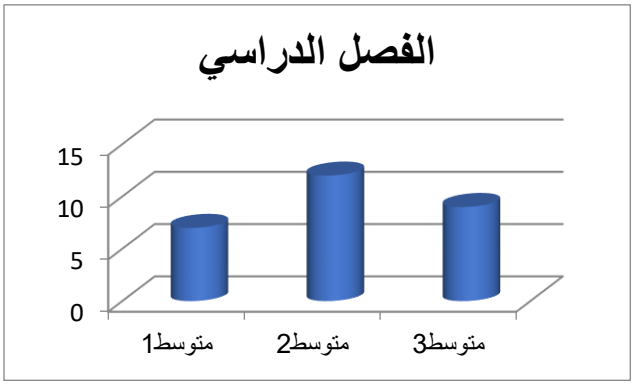

كما يوضح توزيع أفراد البحث وفقاً لمتغير سنوات تعلم اللغة العربية، حيث إن هناك (10) من أفراد البحث بنسبة (35.7%) سنوات فترة تعلمهم للغة أكثر من (5) سنوات، بنفس التكرار (10) من أفراد البحث بنسبة (35.7%) خبرتهم تتراوح ما بين (3) إلى (5) سنوات، كما أن هناك (7) من أفراد البحث بنسبة (25 %) خبرتهم أكثر من سنة إلى ثلاث سنوات، وعدد (1) بنسبة (3.57 %) من عينة الدراسة عدد سنوات تعلمهم سنة واحدة.

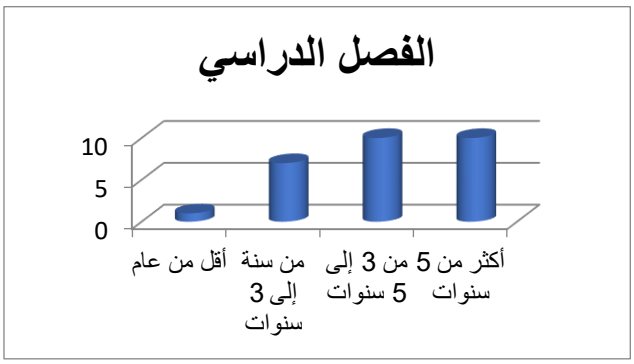

رابعاً: أداة البحث:

بناء على طبيعة البيانات، وعلى المنهج المتبع في البحث، وجد الباحث أن "الاستبانة" هي الأداة الأكثر ملائمة لتحقيق أهداف هذا البحث، وقد تم إعداد الاستبانة من خلال الخطوات الآتية:

1) **تحديد الهدف من الاستبانة:** تهدف الاستبانة إلى الوقوف على أهم المشكلات التعليمية والاجتماعية التي يواجهها متعلمو اللغة العربية الناطقون بغيرها في غانا مدينة (فري.(

2) **مصادر بناء الاستبانة:** ولبناء أداة البحث اعتمد الباحث على المصادر العلمية الآتية:

- الإطار النظري للبحث.
- الدوريات والمجلات التربوية، والبحوث، والدراسات السابقة، ذات الصلة بموضوع البحث.

3) **إعداد الاستبانة في صورتها الأولية:** قام الباحث بإعداد الاستبانة في صورتها الأولية ملحق (1)، وكانت على النحو الآتي:

- القسم الأول: وهو يتناول البيانات الأولية الخاصة بأفراد عيّنة البحث؛ مثل: السن، المدرسة، الجنس، سنوات تعلم اللغة العربية، الفصل الدراسي.
- القسم الثاني: ويتكون من خمسة أسئلة الاستبانة.

4) صدق الاستبانة:

وقد تمّ التأكد من صدق الاستبانة من خلال اتّباع الطرق التالية:

أ) صدق الاتساق الظاهري لأداة البحث (صدق المحكمين):

قام الباحث بعرض الاستبانة على مجموعة من محكمين ضمت (10) أعضاء، -انظر ملحق رقم (2)- وذلك لإبداء رأيهم في مدى وضوح عبارات الاستبانة ومناسبتها، بالإضافة إلى بعض الملاحظات العامة حول الاستبانة، وبعد إجراء التعديلات التي أوصى بها المحكمون من حذف وتعديل صياغة بعض الفقرات وخاصة تلك التي لا تتناسب صياغتها مع تساؤلات البحث؛ قام الباحث بالاعتماد على الفقرات التي أجمع عليها المحكمون في محاور الاستبانة المختلفة؛ حيث عدلت بنائيا ولغوياً وحذف بعض العبارات، واستنادا إلى رأي أغلبية المحكمين في صلاحية الاستبانة لقياس الهدف الذي وضعت من أجله؛ تم اعتماد الاستبانة في صورتها النهائية- انظر الملحق.(3)

ب) صدق الاتساق الداخلي:

يقصد بصدق الاتساق الداخلي مدى اتساق كل عبارة من عبارات الاستبانة مع المجال الذي تنتمي إليه هذه الفقرة، وقد قام الباحث بحساب معامل ارتباط بيرسون لمعرفة الصدق الداخلي للاستبانة؛ حيث تم

حساب معامل الارتباط بين درجة كل عبارة من عبارات الاستبانة بالدرجة الكلية للمحور الذي تنتمي إليه العبارة، كما توضح ذلك الجدول:(2)

جدول رقم(2)

معامل ارتباط بيرسون بين عبارات الاستبانة مع محورها الفرعي

المحور	العبارة	معامل الارتباط	العبارة	معامل الارتباط
المشكلات التعليمية	1	0.731**	10	0.615**
	2	0.621**	11	0.560**
	3	0.764**	12	0.614**
	4	0.527**	13	0.445*
	5	0.495**	14	0.677**
	6	0.711**	15	0.495**
	7	0.498**	16	0.520**
	8	0.480**	17	0.556**
	9	0.414*	-	
المشكلات الاجتماعية	1	0.443*	4	0.450**
	2	0.502**	5	0.685**
	3	0.585**	6	0.420*

يتضح من الجدول رقم (2) أن قيم معاملات الارتباط بين درجة الفقرة والدرجة الكلية لمحور (المشكلات التعليمية) الذي تنتمي إليه الفقرة تتراوح ما بين (0.414) و(0.764)، وفي المحور الثاني (المشكلات الاجتماعية) الذي تنتمي إليه الفقرة تتراوح ما بين (0.685) و(0.420)، وجميعها موجبة، مما يعني وجود درجة عالية من الاتساق الداخلي وارتباط المحاور بعباراتها مما يعكس درجة عالية من الصدق الداخلي لفقرات المقياس.

5) **ثبات الاستبانة :**

يقصد بثبات الاستبانة أن يعطي المقياس نفس النتائج إذا ما استخدم أكثر من مرة واحدة تحت ظروف مماثلة، كما يقصد به أيضا أي درجة يعطي المقياس قراءة متقاربة عند كل مرة يستخدم فيها، أو ما هي درجة اتساقه وانسجامه واستمراريته عند تكرار استخدامه في أوقات مختلفة، ولقياس مدى ثبات أداة البحث (الاستبانة) استخدم الباحث (معادلة ألفا كرونباخ) للتأكد من ثبات أداة البحث، والجدول رقم (3) يوضح معاملات ثبات أداة البحث.

جدول(3)

معامل ألفا كرونباخ لقياس ثبات الاستبانة

م	المحور	عدد الفقرات	معامل الثبات
1	المشكلات التعليمية	17	0.767
2	المشكلات الاجتماعية	6	0.699
	الثبات الكلي	**23**	**0.731**

يتضح من الجدول رقم (3) أن معامل الثبات العام لمحاور الاستبانة مرتفع؛ حيث بلغ (0.731) لإجمالي فقرات الاستبانة، فيما تراوح ثبات المحاور ما بين (0.699) كحد أدنى وبين (0.767) كحد أعلى، وهذا يدل على أن الاستبانة تتمتع بدرجة عالية من الثبات يمكن الاعتماد عليه في التطبيق الميداني للبحث الحالي.

خامساً: إجراءات التطبيق:

تمّ تطبيق الاستبانة على أعضاء عينة من متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها في غانا مدينة فري، في الفصل الدراسي الثاني من العام الدراسي 2022- 2023، في مدة أسبوعين, وقد تحصل الباحث على عدد (28) استجابة.

سادساً: الأساليب الإحصائية:

ولتحقيق أهداف البحث وتحليل البيانات التي تم تجميعها، فقد تم استخدام العديد من الأساليب الإحصائية المناسبة باستخدام الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية والتي يرمز لها اختصاراً بالرمز (SPSS) إصدار (23)، وبعد ذلك تم حساب الأساليب الإحصائية الآتية:

1) التكرارات والنسب المئوية للتعرف على الخصائص الشخصية والوظيفية لأفراد عينة البحث.

2) معامل ارتباط بيرسون (Pearson Correlation)لحساب صدق الاتساق الدّاخلي لأداة البحث.

3) معامل ألفاكرونباخ (Cronbach's Alpha) لحساب معامل ثبات المحاور المختلفة لأداة البحث .

4) المتوسط الحسابي "Mean" وذلك لمعرفة مدى ارتفاع أو انخفاض استجابات أفراد الدراسة عن المحاور الرئيسة (متوسطات العبارات)، مع العلم بأنه يفيد في ترتيب المحاور حسب أعلى متوسط حسابي.

5) تم استخدام الانحراف المعياري "Standard Deviation" للتعرف على مدى انحراف استجابات أفراد البحث لكل عبارة من عبارات متغيرات البحث، ولكل محور من المحاور الرئيسة عن متوسطها الحسابي.

6) اختبار مان ويتني (Mann-Whitney) للتعرف على الفروق في استجابات أفراد البحث حول محاور البحث باختلاف متغير (التخصص.(

7) اختبار (كروسكال واليس (Kruskal-Wallis للتعرف على الفروق في استجابات أفراد عينة البحث حول المحاور باختلاف متغيرات البحث (الدرجة الوظيفية، سنوات الخبرة.(

المبحث الرابع: الإجابة عن أسئلة البحث.

يتم عرض نتائج البحث الميداني من خلال عرض إجابات أفراد البحث على عبارات الاستبانة وذلك بالإجابة عن أسئلة البحث على النحو التالي:

- ما أهم المشكلات التعليمية والاجتماعية التي يواجهها متعلمو اللغة العربية في غانا (فري)؟
- ما مدى توافر هذه المشكلات لدى المتعلمين؟
- ما الحلول المناسبة المقترحة لهذه المشكلات؟

للإجابة عن هذه الأسئلة تم حساب المتوسطات الحسابية والانحراف المعياري لاستجابات أفراد عينة البحث حول المشكلات التعليمية والاجتماعية التي يواجهها متعلمو اللغة العربية في غانا (فري)، وذلك يتضح من خلال الجدول رقم (4)، وذلك على النحو التالي:

جدول(4)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد البحث حول المشكلات التعليمية التي يواجهها متعلمو اللغة العربية في غانا (فري).

م	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	الدرجة
.1	من فضلك، قيم كفاءتك فيما يتعلق بالقراءة	2.39	0.737	1	متوسط
.2	من فضلك قيم كفاءتك يتعلق بالكتابة	2.32	0.548	2	متوسط
.3	من فضلك، قيم كفاءتك فيما يتعلق بالتحدث	1.75	0.518	8	ضعيف
.4	في المرحلة المتوسطة، كم ساعة في الأسبوع تقضيها في دراسة أي مادة للغة العربية؟	2.11	0.416	3	متوسط
.5	ما مدى فهمك لما تقرأ؟	2.04	0.429	4	متوسط
.6	كم مرة تستخدم اللغة العربية كوسيلة التواصل في المدرسة؟	1.46	0.508	12	ضعيف
.7	كم مرة تستخدم اللغة العربية كوسيلة التواصل في البيت؟	1.18	0.390	14	ضعيف
.8	كم مرة تستخدم اللغة العربية كوسيلة التواصل في المجتمع؟	1.54	0.693	10	ضعيف
.9	كم مرة يشجّعك معلمو اللغة العربية على التواصل بها (أي اللغة العربية)؟	1.96	0.744	5	ضعيف
.10	كم مرة تتحدث مع المعلمين باللغة العربية ؟	1.54	0.744	9	ضعيف
.11	في الغالب، هل يتم استخدام اللغة العربية كوسيلة للتواصل في المدرسة؟	1.89	0.497	7	ضعيف
.12	في الغالب، هل يتم استخدام اللغة العربية كوسيلة للتواصل في البيت؟	1.32	0.476	13	ضعيف
.13	في الغالب، هل يتم استخدام اللغة العربية كوسيلة للتواصل في المجتمع؟	1.46	0.508	11	ضعيف

م	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	الدرجة
.14	هل يتواصل معك معلمو اللغة العربية، باللغة العربية؟	1.93	0.539	6	ضعيف
.15	هل تكتبون الاختبارات باللغة العربية؟	1.04	0.189	16	ضعيف
.16	هل تطلع نتائج الاختبارات المكتوبة، في الوقت المحدد؟	1.04	0.189	15	ضعيف
.17	إذا كان نعم. هل تساعدك في امتحانك القادم؟	1.00	0.000	17	ضعيف
	المتوسط الحسابي الكلي للمشكلات التعليمية	**1.64**	**0.226**	-	**ضعيف**

يتضح من الجدول (4) أعلاه أن المشكلات التعليمية التي يواجهها متعلمو اللغة العربية في غانا (فري) قد جاءت بدرجة توفر (ضعيف)، حيث بلغ متوسط استجاباتهم على هذا المحور (1.64)، وقد جاءت موافقة العينة على جميع عبارات هذا المحور متراوحة بين درجة (ضعيف , متوسط) حيث تراوحت متوسطاتها الحسابية بين (1.00) و(2.39) مقارنة مع المتوسط الحسابي العام للمشكلات التعليمية.

جاء في الجدول أن متوسط كفاءة الطلاب فيما يتعلق بالقراءة كأعلى متوسط (2.39) مما يدل على أن كفاءة الطلاب في القراءة متوسطة.

كما ورد أن متوسط كفاءة الطلاب فيما يتعلق بالكتاب بمتوسط (2.32) وهو متوسط حسابي يقع في درجة متوسطة لكنها أقل من القراءة.

وجاء متوسط عدد الساعات التي يقضيها الطلاب في الأسبوع لدراسة اللغة العربية (2.11) وهو متوسط حسابي يقع في درجة متوسطة مما يعني أن متوسط ما يقضيه الطلاب لا يتجاوز 3 ساعات في الأسبوع.

متوسط فهم الطلاب لما يقرؤون (2.04) وهو متوسط حسابي يقع في درجة متوسطة تدل على أن الطلاب يفهمون ما يقرءون بدرجة متوسطة.

باقي المحاور والحاجات التعليمية كلها جاءت بدرجة ضعيف مما يدل على أن الطلاب يعانون منها كمشكلات تعليمية تؤثر على مستوى تعليمهم وفهمهم للغة العربية.

ونخلص من هذا الجدول إلى أن أهم المشكلات التعليمية التي يعاني منها الطلاب هي على حسب ترتيب الجدول (4) أعلاه:

- ضعف استخدام اللغة العربية كوسيلة للتواصل في البيت.
- ضعف استخدام اللغة العربية كوسيلة للتواصل في المدرسة.
- ضعف استخدام اللغة العربية كوسيلة للتواصل في المجتمع.
- ضعف تحدث الطلاب مع المعلمين باللغة العربية.
- ضعف تواصل المعلمين مع الطلاب باللغة العربية.
- قلة تشجيع المعلمين للطلاب بالتحدث باللغة العربية.
- ضعف مستوى الطلاب في ما يتعلق بالتحدث، إذ تجد الطلاب يفهمون ما يقرءون بدرجة متوسطة لكنهم ضعفاء في تحدثهم بها.

وكل هذه المشكلات تتوافر بدرجة عالية لدى أغلب الطلاب مما يجعل منها مشكلات تعليمية تحتاج إلى التقصي عن أسبابها والبحث عن حلول لها.

كما تم حساب المتوسطات الحسابية والانحراف المعياري لاستجابات أفراد عينة البحث حول المشكلات الاجتماعية التي يواجهها متعلمو اللغة العربية في غانا (فري)، وذلك يتضح من خلال الجدول رقم (5)، وذلك على النحو التالي:

جدول(5)

المتوسطات الحسابية والانحر افات المعيارية لاستجابات أفراد البحث حول المشكلات الاجتماعية التي يواجهها متعلمو اللغة العربية في غانا (فري).

م	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	الدرجة
.1	كيف كان شعور والديك نحو حبك لتعلم اللغة العربية؟	2.68	0.670	1	مرتفع
.2	إذا كان والديك فرحانين نحو حبك لتعلم اللغة العربية، هل ستكون اهتمامك بها أكثر؟	2.00	0.000	3	مرتفع
.3	بين اللغة العربية واللغة الإنجليزي، أيهما تعتقد أن مجتمعك يقدرونها أكثر؟	1.54	0.508	6	ضعيف
.4	هل تؤثر القيمة التي يقدرها مجتمعك على اللغة العربية .	1.89	0.315	5	مرتفع

م	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	الدرجة
.5	كيف كان شعور مجتمعك نحو حبك لتعلّم اللغة العربية؟	2.61	0.737	2	مرتفع
.6	هل تكون متحمسا لتعلّم اللغة العربية إذا تعرّف على شخص في مجتمعك عالم بها؟	1.96	0.189	4	مرتفع
	المتوسط الحسابي للمشكلات الاجتماعية	**1.67**	**0.208**	-	**متوسط**

يتضح من الجدول (5) أعلاه أن المشكلات الاجتماعية التي يواجهها متعلمو اللغة العربية في غانا (فري) قد جاءت بدرجة توفر (متوسط)، حيث بلغ متوسط استجاباتهم على هذا المحور (1.67)، وقد جاءت موافقة العينة على جميع عبارات هذا المحور متراوحة بين درجة (مرتفع , متوسط) حيث تراوحت متوسطاتها الحسابية بين (1.54) و(2.68) مقارنة مع المتوسط الحسابي العام للمشكلات الاجتماعية.

كما جاءت العبارة (إذا كان والديك فرحانين نحو حبك لتعلم اللغة العربية، هل ستكون اهتمامك بها أكثر؟) في المرتبة الأولى وبمتوسط حسابي (2.00) وهو يقع في الدرجة مرتفع مما يدل على أن الطلاب يتوقعون أن يؤثر شعور الوالدين في ازدياد اهتمامهم بتعلم اللغة العربية، وبالتالي لا يعاني الطلاب من هذه المشكلة كثيرا حيث لم يخب ظنهم في شعور والديهم كما في العبارة التالية.

جاءت العبارة (كيف كان شعور والديك نحو حبك لتعلم اللغة العربية؟) في المرتبة الثانية بمتوسط حسابي مرتفع وهو يقع في الدرجة (مرتفع) مما يدل على أن والدي أغلب الطلاب سعداء بحب أولادهم لتعلم اللغة العربية، وبالتالي لا تواجههم هذه المشكلة.

جاءت العبارة (كيف كان شعور مجتمعك نحو حبك لتعلّم اللغة العربية؟) في المرتبة الثالثة بمتوسط حسابي عال (2.61) وهو يقع في الدرجة (مرتفع) مما يدل على أن مجتمعات أغلب الطلاب سعيدة بحبهم لتعلم اللغة العربية، وبالتالي لا تمثل هذه مشكلة اجتماعية لهؤلاء الطلاب.

كما يتضح من إجابات الطلاب عن الفقرة (هل تؤثر القيمة التي يقدرها مجتمعك على اللغة العربية) أن نظرة المجتمع وتقييمهم للغة العربية توثر على قوة انتشارها واهتمام الطلاب بها.

ومما يدل على أن المجتمع يؤثر على مستوى تعلم اللغة العربية لدى الطلاب ما جاء في العبارة (هل تكون متحمسا لتعلّم اللغة العربية إذا تعرّفت على شخص في مجتمعك عالم بها؟) والتي جاءت بمتوسط حسابي 1.96) وهو بدرجة مرتفع بحيث وجود شخص متقن للغة العربية له تأثير على تحمس الطلاب لتعلمها والاهتمام بها.

ولتقدير المجتمع للغة أو عدمه تأثير كبير حيث ظهر ذلك في العبارة (بين اللغة العربية واللغة الإنجليزية، أيهما تعتقد أن مجتمعك يقدرونها أكثر؟) بمتوسط حسابي منخفض (1.54) وهو في درجة ضعيف وهذه الدرجة تدل على أن مجتمعات الطلاب تقدر اللغة الإنجليزية أكثر من تقديرها للغة العربية وهذا يؤثر تأثيرا كبيراً في تحصيل الطلاب وتعلمهم العربية؛ حيث إن تقدير المجتمع لأي لغة يجعلها تحتل مرتبة عليا من حيث الاهتمام والمكانة الاجتماعية والوظيفية ونحوها، وبالتالي تعتبر هذه من أكبر المشكلات التي يواجهها متعلمو اللغة العربية في غانا (فري) وهي تتوافر بنسبة مرتفعة.

ومن خلال التحليل السابق يتضح لنا المشكلات الاجتماعية التي يواجهها متعلمو اللغة العربية في غانا (فري) وهي بالترتيب:

1. قلة تواجد العالمين باللغة العربية في مجتمعات الطلاب.
2. تقديم المجتمعات للغة الانجليزية على اللغة العربية في التقدير والاحترام والتقديم.

ولا يواجه الطلاب غيرها من المشكلات الاجتماعية.

ولمعرفة الفروق بين استجابات عينة البحث قام الباحث بحساب الفروق بين الاستجابات بناء على المعلومات الشخصية لعينة الدراسة على النحو الآتي:

أولا: الفروق باختلاف متغير الجنس:

استخدم الباحث اختبار) مان – ويتني (Mann-Whitney للتعرف على مدى دلالة الفروق في تقديرات أفراد العينة نحو المشكلات التعليمية والاجتماعية التي يواجهها متعلمو اللغة العربي في غانا (فري) والتي تعزى لمتغير الجنس.

جدول(6)

متوسط الرتب، ومجموع الرتب، وقيمة إحصاء مان – ويتني ودلالتها الإحصائية لدراسة الفروق في تقدير استجابات أفراد العينة نحو المشكلات التعليمية والاجتماعية التي يواجهها متعلمو اللغة العربية في غانا (فري) والتي تعزى لمتغير الجنس.

التخصص	المحور	العدد	متوسط الرتب	TestMann-Whitney U			
				القيمة	Z	الاحتمالية	الدلالة
ذكر	المشكلات التعليمية	16	15.25	84.000	-.560	.575	غير دالة
أنثى		12	13.50				
ذكر	المشكلات الاجتماعية	16	15.72	76.500	-.939	.348	غير دالة
أنثى		12	12.88				
ذكر	الاستبانة ككل	16	16.41	65.500	-1.417	.157	غير دالة
أنثى		12	11.96				

يتضح من الجدول (6) أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائياً بين أفراد العينة نحو المشكلات التعليمية والاجتماعية التي يواجهها متعلمو اللغة العربي في غانا (فري) والتي تعزى لمتغير الجنس؛ حيث بلغت قيم الاحتمال المصاحبة في كل محور على التوالي (0.575، 0.157، 0.348) وجميعها أكبر من مستوى الدلالة (0.05) أي غير دالة إحصائياً)، مما يشير إلى تقارب استجابات العينة نحو المشكلات التعليمية والاجتماعية التي تواجه أفرد عينة الدراسة، ولا أثر لاختلاف نوع الجنس على وجهات نظرهم. وقد يعزى ذلك إلى أن المشكلة يعاني منها الجميع ذكورا كانوا أو إناثا.

ثانياً: الفروق لاختلاف الفصل الدراسي:

استخدم الباحث اختبار "كروسكال- واليس (Kruskal-Wallis) "للتعرف على دلالة الفروق في تقديرات أفراد العينة نحو المشكلات التعليمية والاجتماعية التي يواجهها متعلمو اللغة العربي في غانا (فري) والتي تعزى لمتغير الفصل الدراسي، والجدول (7) يوضح ذلك.

جدول(7)

متوسط الرتب، وقيم إحصاءات كروسكال – واليس، ودرجات الحرية، وقيمة الاحتمال، والدلالة في تقدير استجابات العينة نحو المشكلات التعليمية والاجتماعية التي يواجهها متعلمو اللغة العربي في غانا (فري) والتي تعزى لمتغير الفصل الدراسي.

الرتبة الوظيفية	المحور	العدد	المتوسط	قيمة مربع كاي	درجات الحرية	الاحتمالية	الدلالة
أول متوسط	المشكلات التعليمية	7	15.57	1.947	2	.378	غير دالة
ثاني متوسط		12	16.21				
ثالث متوسط		9	11.39				
أول متوسط	المشكلات الاجتماعية	7	10.86	2.371	2	.306	غير دالة
ثاني متوسط		12	16.67				
ثالث متوسط		9	14.44				
أول متوسط	الاستبانة ككل	7	13.14	2.210	2	.331	غير دالة
ثاني متوسط		12	17.13				
ثالث متوسط		9	12.06				

يتضح من الجدول (7) أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائياً بين استجابات أفراد العينة نحو المشكلات التعليمية والاجتماعية التي يواجهها متعلمو اللغة العربي في غانا (فري) والتي تعزى لمتغير الفصل الدراسي؛ حيث بلغت قيم الاحتمال المصاحبة في كل محور على التوالي (0.378، 0.306 ، 0.331) وجميعها أكبر من مستوى الدلالة (0.05 أي غير دالة إحصائياً)، مما يشير إلى تقارب استجابات العينة نحو المشكلات التعليمية والاجتماعية التي يواجهها متعلمو اللغة العربي في غانا (فري) ، ولا أثر لاختلاف الفصول الدراسية على وجهات نظرهم.

ثالثاً: الفروق لاختلاف متغير سنوات الدراسة وتعلم العربية:

استخدم الباحث اختبار "كروسكال- واليس (Kruskal-Wallis) "لتعرف مدى دلالة الفروق في تقديرات أفراد العينة نحو المشكلات التعليمية والاجتماعية التي يواجهها متعلمو اللغة العربي في غانا (فري) والتي تعزى لمتغير سنوات تعلم اللغة العربية، والجدول (8) يوضح ذلك.

جدول(8)

متوسط الرتب، وقيم إحصاءات كروسكال – واليس، ودرجات الحرية، وقيمة الاحتمال، والدلالة في تقدير استجابات أفراد العينة نحو المشكلات التعليمية والاجتماعية التي يواجهها متعلمو اللغة العربية في غانا (فري) والتي تعزى لمتغير سنوات تعلم اللغة العربية.

سنوات الخبرة	المحور	العدد	متوسط الرتب	قيمة مربع كاي	درجة الحرية	Sig.	الدلالة
أقل من عام واحد	المشكلات التعليمية	1	18.00	0.332	3	0.954	غير دالة
سنة إلى 3 سنوات		7	15.36				
من 3إلى 5 سنوات		10	13.90				
أكثر من 5 سنوات		10	14.15				
أقل من عام واحد	المشكلات الاجتماعية	1	22.00	3.510	3	0.319	غير دالة
سنة إلى 3 سنوات		7	14.79				
من 3إلى 5 سنوات		10	11.20				
أكثر من 5 سنوات		10	16.85				
أقل من عام واحد	الاستبانة ككل	1	23.00	2.083	3	0.555	غير دالة
سنة إلى 3 سنوات		7	13.86				
من 3إلى 5 سنوات		10	12.50				
أكثر من 5 سنوات		10	16.10				

يتضح من الجدول (8) أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائياً بين استجابات أفراد العينة نحو المشكلات التعليمية والاجتماعية التي يواجهها متعلمو اللغة العربية في غانا (فري) والتي تعزى لمتغير سنوات تعلم

اللغة العربية؛ حيث بلغت قيم الاحتمال المصاحبة في كل محور على التوالي (0.954، 0.319، 0.555) وجميعها أكبر من مستوى الدلالة (0.05) أي غير دالة إحصائياً، مما يشير إلى تقارب استجابات أفراد العينة نحو المشكلات التعليمية والاجتماعية التي يواجهها متعلمو اللغة العربية في غانا (فري) ، ولا أثر لاختلاف سنوات تعلم العربية على وجهات نظرهم.

المبحث الخامس: نتائج البحث, والتوصيات, والمقترحات

أولا: ملخص نتائج البحث:

أظهرت الدراسة أن أهم المشكلات التعليمية والاجتماعية التي يواجهها متعلمو اللغة العربية في مدينة فري تكمن في: ضعف استخدام اللغة العربية كوسيلة للتواصل في البيت وفي المدرسة، وهذا يرجع إلى قلة تشجيع المعلمين للطلاب بالتحدث باللغة العربية، وكذلك قلة تواجد العالمين باللغة العربية في مجتمعات الطلاب، وتقديم المجتمعات للغة الانجليزية على اللغة العربية في التقدير والاحترام والاهتمام؛ مما يؤدي إلى ضعف تقدير الطلاب لأنفسهم واهتمامهم وشغفهم بتعلمها. وأظهرت الدراسة أيضا أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابات أفراد عينة الدراسة تعزي لمتغير الجنس والفصل الدراسي, وكذلك في عدد سنوات دراسة اللغة العربية بالنسبة لأفراد عينة الدراسة.

ثانيا: التوصيات:

في ضوء ما أظهره البحث من نتائج وبعد مناقشتها, سيقدم فيما يلي بعض الآليات والتي يمكن أن تسهم في التغلب على المشكلات التعليمية والاجتماعية التي يواجهها متعلمو اللغة العربية في غانا، وذلك كما يلي:

حلول ومقترحات موجهة لإدارة المدارس:

1- ضرورة وضع إستراتيجية شاملة لمنع حدوث المشكلات التعليمية التي تواجه متعلمي اللغة العربية بالمدارس، وإيجاد الحلول المناسبة لها، حتى يتحسن مستوى اللغة العربية عندهم.

2- إعادة تصميم مناهج اللغة العربية وتنفيذها وتقويمها وتطويرها من فترة لأخرى في مختلف فنون العربية ومهاراتها والتخطيط الجيد لها بحيث تصبح أكثر كفاءة وفعالية.

3- التركيز في تدريس الطلاب على تقوية المهارات اللغوية كلها، وعدم إهمال أي واحدة منها على حساب الأخرى.

4- ضرورة تنظيم وعقد برامج تدريبية لمعلمي اللغة العربية بالمدارس لتنمية مهاراتهم في استخدام طرق التدريس الحديثة, والاختبارات, وتقديم خدمات تعليمية أفضل.

5- ضرورة عقد مجموعات تقوية أكاديمية للطلاب والطالبات ضعاف المستوي في المدارس ولو كان مقابل رسوم رمزية .

6- إلزام الطلاب بالتحدث باللغة العربية فقط داخل مباني المدرسة، وفرض العقوبات المناسبة لمن يتحدث بغيرها في المدرسة.

توصيات موجهة للمعلمين:

1. تقوية العلاقة بين المعلمين والطلاب وإتاحة الوقت الكافي للحوار والمناقشة، وعقد لقاءات دورية بين المعلمين والطلاب.
2. ضرورة قيام المعلمين باستخدام أساليب وطرق التدريس والتقويم الحديثة التي تشجع روح التفكير والابتكار والحوار والمناقشة بين الطلاب, وتجنب الأساليب التي تعتمد على الحفظ والتلقين.
3. ضرورة تدريب الطلاب أثناء الفصل الدراسي علي الحوار والأخذ والعطاء في الكلام.
4. إلزام الطلاب بعدم التحدث بغير العربية داخل قاعة الدراسة، وعدم المجاملة في ذلك، مع تشجيعهم وتحفيزهم عند الالتزام بذلك.
5. التواصل مع الطلاب باللغة العربية في داخل وخارج مباني المدرسة.
6. المساهمة في نشر الوعي في المجتمع بأهمية اللغة العربية.

قائمة المصادر والمراجع:

المراجع العربية:

1. أبو العزم، عبد الغني، معجم الغني، الموسوعة شاملة للقرآن االكريم وعلومه، ج:1.
2. انتصار، كمال قاسم، المشكلات التعليمية والمشكلات النفسية لدى الطلبة المتميزين، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، علم النفس التربوي،سنة: 2020م.
3. بطرس البستاني، محيط المحيط، قاموس مطول للغة العربية، ط:3، بيروت1993م.
4. جاد، عبد الله أحمد، وآخرون، اللغة وأصلها عند إبن جني، شبكة الألوكة, عام:2016م.
5. جمال، عبد الفتاح، مهارات الحياة.
6. الحديدي، علي، مشكلة تعليم اللغة العربية لغير العرب، القاهرة، دار الكتب العرب للطباعة والنشر، 1966م.
7. حسن شهاتة، تعليم اللغة العربية بين النظرية والتطبيق، المكتبة المصر للبنائية, مصر 2008م .

8. حسين أحمد، جليلة خليل، أهم الصعوبات التي تواجه متعلم اللغة العربية للناطقين بغيرها، جامعة السودان المفتوحة، رسالة لنيل الدرجة الدبلوم العالي .

9. حسين، مختار طاهر، تعليم اللغة العربية لغير الناطقيسن بها في ضوء المناهج الحديثة، دار العالمية للنشر والتوزيع، 2018م .

10. حليمي، محمد، فعالية تعليم اللغة العربية باستخدام كتب اللغة العربية لأغراض خاصة في البرنامج الخاصة لتعليم اللغة العربية، جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج، رسالة الماجستير، 2014م.

11. الخولي، محمد علي، الحياة مع لغتين: الثنائية اللغوية، الناشر: دار الفلاح للنشر والتوزيع، 2022م.

12. داغر، أزهار خضر، المشكلات التعليمية والاجتماعية والاقتصادية التي تواجه طلبة المدارس الثانويةالخاصة في الأردنمن وجهة نظرهموأولياء أمورهم،رسالة لنيل درجة الماجستير، جامعة عمان العربية، 2010م.

13. درجة مراعات كتب الاجتماعيات في المرحلة المتوسطة في دولة الكويت للمشكلات الاجتماعية من وجهة نظر المعلمين في منطقة الأحمدي التعليمية, رسالة الماجستير, جامعة الكويت, 2009م.

14. الدياب أحمد، المشاكل التى تواجه الأتراك في التعليم اللغة العربية والمقترحات، أطروحة ماجستير، 2012م، جامعة غازي معهد العلوم التربوية.

15. رمضان عبد التواب ، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، جامعة عين الشمس، ط3, 1417هـ – 1997 .

16. زيدان، السيد محمد سالم، تحسين التعليم الأساسي للمناطق النائية والمحرومة بجنوب محافظة بورسعيد، مجلة كلية التربية – جامعة بورسعيد، العدد الثالث عشر –2013م.

17. زين, موسى عيسى, دور القصة في تنمية بعض المهارات اللغوية الضرورية لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها في معهد اللغات غانا (مهارتي التحدث والقراءة أنموزجا)، مجلة ريحان للنشر العلمي، العدد التاسع عشر /2022م./

18. سرحان ، نعيمة، الرضا الوظيفي والمنهج للأخصائي الاجتماعي، مجلة علم النفس، العدد 82، السنة السابعة، القاهرة، مصر .

19. شادي مجلى عيسى سكر، المشكلات الاجتماعية والنفسية فى تعليم العربية للناطقين بغيرها، تابع الجديد والحصري على شبكة الألوكية،2004م.

20. شادي مجلي سكر، مشكلات تعليم اللغة العربية كلغة ثانية، الدليل إلى العربية دليل جامع لتعليم العربية في العالم، 2020م.

21. صالح، عبد العزيز, وآخرون، التربية وطرق التدريس، دار المعارف،مكة، دون تاريخ.

22. الطائي، عمر أزهر علي، المشكلات الإدارية التى تواجه رؤساء الاقسام العلمية فى كليات جامعتي بغداد والمستنصرية ومقترحات معالجتها، جامعة بغداد، رسالة ماجستير، 2015م .

23. طعيمة، رشدي أحمد، اللغة العربية لغير الناطقين بها مناهجه و أساليبه، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، مصر, 1989م .

24. عيسي، آسيا محمد، المنهج المدرسي وبرامج تعليم الموهبين، ط: 1، عمان، دار ابن النفيس للنشر والتوزيع، 2008م.

25. الفاروقي التهاوني، محمد علي، كشاف الصطلاحات الفنون، ج:2، بيروت .

26. الفوزان، عبد الرحمن بن ابراهيم، إضاعات لمعلمي اللغة العربية لغير الناطقين به، 2015م.

27. لويس معلوف، المنجد والإعلام، دار المشرف، بيروت, 1976م.

28. معاذ، مرتضى محمود، طرق تعليم اللغة العربية، مذكرة في جامعة أكاتن أبيا للتدريب على المهارات وريادة الأعمال، قسم تعليم اللغات كوماسي-غانا, 2022م .

29. المغذوي، عادل بن عايض، قضايا مجتمعية معاصرة، المحاضرة الثانية، سنة: 1438ه الموافق، 2016م .

30. موسي، محمد، التربية وقضايا المجتمع المعاصر، العين، الإمارات العربية المتحدة: دار الكتب الجامعي، سنة: 2005.

31. الهندلي، بشائر نوار، المصادر الرقمية ودورها في التعليم اللغة العربية غير الناطقين بها أثناء الحجر الصحي نموزجا معهد التعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها جامعة أم القرى، مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث، المجلد الثاني/ العدد العاشر، ماجستير في اللغويات التطبيقية.

المراجع الأجنبية:

32. Marc sagnol, le statut de la sociologie 1987, vol 1,page28 .

المواقع الالكترونية:

33. www.wikipeadia.com

مجلة بادر
المُحكّمة لعلم النفس الإسلامي

مراجعة كتاب "مدخل إلى علم النفس الإسلامي"
للدكتور محمد محمود مصطفى

د. سعيد الشوية
chouiamaster@hotmail.fr

ملخص.

يعتبر كتاب "المدخل إلى علم النفس الإسلامي" إضافة نوعية في بناء هذا العلم، ومحاولة مؤسسة سعت إلى تأصيله انطلاقا من النصوص الشرعية، ووضع بعض أسسه انطلاقا من الممارسة الفعلية، وقد طاف فيه المؤلف بالقارئ حول جملة من موضوعات علم النفس، بدءا بالحديث عن النظرية المعرفية وتعريف علم النفس عموما وعلم النفس الإسلامي خاصة، ومرورا بالحديث عن نظرة الأديان إلى النفس البشرية وأهم أقسام علم النفس، وانتهاء بالحديث عن الشخصية وأهم نظريات دراستها والعوامل المؤثرة فيها، وبالحديث عن أهم الشبهات والاعتراضات التي توجه إلى فكرة علم النفس الإسلامي والرد عليها.

الكلمات المفتاحية: النفس، علم النفس الإسلامي، الشخصية، النظرية المعرفية، الإسلام.

Review of the book "Introduction to Islamic Psychology"

by Dr. Mohamed Mahmoud Moustafa

Dr. Said chaouia

chouiamaster@hotmail.fr

Abstract.

The book "Introduction to Islamic Psychology" is considered a qualitative addition to the construction of this science, and an attempt by an institution that sought to establish it based on religious texts, and to establish some of its foundations based on actual practice. In it, the author took the reader on a tour around a number of topics in psychology, starting with talking about cognitive theory and defining psychology in general and Islamic psychology in particular, passing through talking about the view of religions on the human psyche and the most important sections of psychology, and ending with talking about personality and the most important theories of its study and the factors influencing it, and talking about the most important doubts and objections directed at the idea of Islamic psychology and responding to them.

Keywords:

Psychology, Islamic Psychology, Personality, Cognitive Theory, Islam.

تقديم.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه ومن والاه، وبعد، شاءت حكمة الله تعالى أن خلق الإنسان وكرمه بالعقل، وأرشده إلى إعماله بدعوته إلى التفكر في كتابه والتأمل في مخلوقاته، أي: النظر إلى الكون وما فيه، وإلى النفس الإنسانية وما هي، ومم تكونت؟ فقال سبحانه: ﴿فَلْيَنظُرْ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ (الطارق/5)؛ وقال كذلك: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات/21)؛ وقال أيضا: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾ (الروم/8). ففي هذه الآيات وغيرها دعوة إلى التفكر في النفس الإنسانية ودراستها والتعرف على مكنوناتها وسننها؛ وذلك قصد حفظها ودرء كل ما من شأنه أن يفوتها؛ لأن حفظ النفس الإنسانية من مقاصد الشريعة الإسلامية، فهي ضرورة من الضروريات الخمس، التي جاءت الشريعة بحفظها من جانبي الوجود والعدم، ولا يكون حفظها من الجانب المادي فقط، بل لا بد من حفظها كذلك من الجانب المعنوي؛ لأن الإنسان ليس جسدا ماديا فحسب، ولكنه كيان روحي نفسي، فحفظه لا يكون إلا بحفظ هاذين الجانبين معا؛ لهذا دعى الإسلام إلى حفظ النفس معنويا كحفظها ماديا. وقد استجاب العلماء منذ فجر الإسلام إلى هذه الدعوة الربانية والتوجيهات القرآنية لدراسة النفس والنظر فيها وكشف سننها؛ فظهرت دراسات نفسية من منظور إسلامي، منها: كتاب الطب الروحاني لأبي بكر الرازي، وهو كتاب في طب النفوس، وكتاب أحوال النفس لابن سينا، بالإضافة إلى ثلاث رسائل في النفس له، الرسالة الأولى في القوى النفسانية، والرسالة الثانية في معرفة النفس الناطقة وأحوالها، والرسالة الثالثة في الكلام على النفس الناطقة، وكتاب مصالح الأبدان والأنفس لأبي زيد البلخي، وكتاب الأخلاق والسير في مداواة النفوس لابن حزم الظاهري الأندلسي، وكتاب معارج القدس في مدارج معرفة النفس للإمام الغزالي، وشرح ابن رشد الكبير لكتاب النفس لأرسطو. ومنهم من خصص جزءا من كتاب للحديث عن النفس ودراسة أحوالها، ككتاب ثمرة الحكمة لابن الهيثم، الذي استهله بالحديث عن القوى النفسانية الثلاثة التي يعتبر البدن آلة لها، وهي: القوة الشهوانية، والقوة الغضبية، والقوة الناطقة.

وبعد نشأة علم النفس الغربي واستقلاله عن الفلسفة في منتصف القرن التاسع عشر وانتشار تدريسه في مختلف البلدان الإسلامية، وشعور الكثير من علماء النفس المسلمين بالأزمة في التعامل مع هذا العلم ذي المنظور الغربي، ظهرت دعوات إلى صياغة علم النفس صياغة إسلامية، وذلك بتنقيته مما يخالف مقاصد الشريعة ويفوتها، والتأصيل لما يوافقها ولا يعدمها، مع الإفادة من هدي الكتاب والسنة، والاستفادة من التراث الإسلامي في الدراسات النفسية، أي: تأصيل الوافد وتحديث الموروث.

وقد مضى على نشأة هذه الدعوة زمن طويل، إذ كان صداها يتردد باستمرار في أروقة البحث العلمي، لكن في الآونة الأخيرة ازدادت العناية بهذه الدعوة، وتطورت إلى حركة فكرية تحمل هَمَّ مشروع واضح المعالم، أنشئت لتحقيقه مراكز وجمعيات ومعاهد كالمعهد العالمي للفكر الإسلامي، الذي أنشئ في أمريكا عام 1401هـ/1981م؛ للعناية بأسلمة المعرفة عامة والعلوم الإنسانية خاصة، بالإضافة إلى مبادرات شخصية ظهرت في شكل بحوث تروم التأصيل لعلم النفس الإسلامي، ككتاب "المدخل إلى علم النفس الإسلامي" لعميد كلية علم النفس الإسلامي الدكتور محمد محمود مصطفى، الذي يعتبر لبنة أساسية في بناء هذا العلم وتأسيس عمارته، وهو كتاب يقارب عدد صفحاته 300 صفحة، من طبع ونشر مكتبة الأسرة العربية، صدرت طبعته الأولى سنة 2023م بإسطنبول.

أولا: غاية الكتاب.

إن الغاية من هذا الكتاب واضحة من عنوانه قبل مضمونه، فهو يروم الإسهام في وضع اللبنة الأساسية والقوام الأصيل والمخرجات الفرعية لعلم النفس الإسلامي، من حيث مصطلحاته ومصادره، وتفسيراته وممارساته... فهو بمثابة إضاءة على طريق هذا العلم، ومشاركة في فتح أبوابه على مصراعيها للباحثين المسلمين في علم النفس وعلم الاجتماع؛ للإدلاء بدلوهم والإسهام بمعارفهم وعلومهم في بناء عمارة علم النفس الإسلامي، مظهرين فيه تفرد المسلمين في هذا العلم وسبقهم في تحقيق كثير من القواعد والأسس التي بني عليها علم النفس الغربي.

وقصد تحقيق هذه الأهداف والغايات السالفة الذكر، والمتعلقة بعلم النفس الإسلامي، فإن المؤلف احتاج إلى فتح الباب لتحرير مصطلحات إسلامية نفسية تعد بمثابة العمدة والأساس في علم النفس الإسلامي، لكنه وجد نفسه بين مقاربتين مختلفتي المنهج، ومتفقتي الهدف والمقصد. الأولى: تتعلق بالممارسة، وهي التي تؤدي إلى ضبط المصطلحات وتحرير التعريفات، فيكون التطبيق العملي والممارسة الفعلية الواقعية هي النواة التي تنتج التعريفات والحدود ومعايير العلم وفروعه. والثانية: تتعلق بضبط المصطلحات وتحرير الحدود والتعريفات، مما يؤدي إلى ظهور نظريات وحقائق وتقنيات يمكن استثمارها في الممارسة الفعلية لنفع المجتمع وخدمته.

وقد مال المؤلف إلى المقاربة الثانية للخلفية الشرعية التي تنادي بأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، وأن التعريفات هي الباب الأكبر لتحرير فروع أي علم، وأن الاهتمام بالأصول وضبطها أولى من الفرع؛ لأن الأصل

إن صح، صح الفرع غالبا. وميل المؤلف إلى المقاربة الثانية لا يعني رفض المقاربة الأولى، بل قبلها، لكن وفق قاعدة متينة وأصيلة، وهي أن تكون الممارسات منضبطة بشروط يتم التقعيد لها، حتى لا يتحول الناس والمؤسسات النفسية إلى معامل تجريبية بلا ضابط ولا هوية.

ثانيا: عرض إجمالي لمباحث الكتاب وطريقة المؤلف فيه.

قسم الدكتور محمد محمود مصطفى كتابه "المدخل إلى علم النفس الإسلامي" إلى ستة فصول، وقد خصص الفصل الأول للحديث عن نظرية المعرفة، التي تعتبر من أمهات المسائل الفلسفية التي تدخل ضمن المدخل العام للفلسفة ومقدماتها، ومن خلالها يجيب الإنسان عن جملة من الأسئلة، من مثل: ماذا نعرف؟ وكيف نعرف؟ وما قيمة ما نعرف؟ وإلى أي مدى يتسع النطاق المعرفي لدينا؟ ماذا سنصنع بما نعرف؟ ومجمل ما تبحث فيه هذه النظرية هي وصف ما يسمى بالنموذج المعرفي، الذي هدفه البحث في جملة أمور، منها: الذات العارفة، وموضوع المعرفة، وحدود هذه المعرفة.

وقد تحدث الكاتب في هذا الفصل عن النظرية المعرفية الغربية، أي النموذج المعرفي للحضارة الغربية، الذي يقوم على المذهب المادي، وهو مذهب يرد كل شيء إلى المادة وبها يفسر كل الموجودات، إلى درجة أنه ينظر حتى إلى الإنسان نظرة مادية، ويعتبره ظاهرة مادية، دون اعتبار للجانب الروحي فيه، على خلاف النظرية المعرفية الإسلامية، التي ختم بها هذا الفصل، وهي نظرية مبنية على الرؤية المعرفية الكلية التي يقدمها الإسلام للألوهية والطبيعة والكون والوجود الإنساني. وهذه النظرية المعرفية الإسلامية تتميز بجملة من الخصائص، منها: الشمولية والتكامل المعرفي بين العلوم، واقتران العلم بالعمل، ومقاصدية المعرفة، وتخليق العلوم والمعارف.

أما الفصل الثاني، فقد أفرده المؤلف لتعريف علم النفس عموما وعلم النفس الإسلامي على وجه الخصوص، حيث استهله بالحديث عن معنى النفس في القرآن الكريم، وفي كلام العرب، وعند العلماء والفلاسفة المسلمين، وعند الذين ألفوا في علم النفس الإسلامي، وقد انتهى المؤلف إلى خلاصة وصف فيها النفس بأنها مجموع الفرد، أي: الأفكار والمشاعر والسلوكيات والقيم، وتتألف من جميع الصفات المميزة للإنسان عن غيره من المخلوقات، واعية وغير واعية، وعقلية وجسدية، بصرف النظر عن مرجعيته الأساسية للهوية الشخصية، والوجود، والخبرة المتراكمة.

وبعد عرض المؤلف لبعض تعاريف الباحثين للنفس وعلم النفس، خلص – حسب فهمه وتجربته – إلى أن علم النفس عموما هو دراسة الإنسان، كيف يفكر؟ وكيف يتصرف؟ وكيف يشعر بالمشاعر؟ وما هي منظومة القيم التي تحكم هذه الأركان الثلاثة؟ وكيف تؤثر هذه الأركان الثلاثة على بعضهم، سواء في علاقتنا مع بعضنا ومع الآخرين. بمعنى إدراك حقيقة النفس من حيث وجودها وأفكارها ومشاعرها وسلوكها وقيمها، وما يعتريها من أحوال، فيشمل التأثيرات البيولوجية والضغوط الاجتماعية والعوامل البيئية التي تؤثر على طريقة تفكير الناس وتصرفهم وشعورهم.

وختم هذا الفصل، باقتراح تعريف لعلم النفس الإسلامي، وهو رصد سلوك وأفكار ومشاعر الإنسان، وفهمها وتحليلها وتوقعها والسيطرة عليها بتوجيهها وفق نظرة الإسلام، أي: الدراسة للنفس أو العقل أو الشعور من منظور إسلامي، وتتناول هذه الدراسة علم النفس وعلم الأعصاب وفلسفة العقل، والطب النفسي وعلم المناعة العصبية.

وفي الفصل الثالث، ناقش المؤلف نظرة الأديان والمذاهب الأخرى للنفس، واستغل الفرصة لذكر بعض الممارسات القبيحة القادحة في فهم النفس وأحوالها، كعادة التطبير التي ابتدعها الشيعة الاثنا عشرية والإمامية، والتي تبدأ مشاهدها منذ دخول ليلة عاشوراء، حيث يعملون على تعذيب أنفسهم بالضرب بالسكاكين والسيوف للكبير والصغير؛ تأسفا على مقتل الحسين بن علي رضي الله عنه. كما عمل المؤلف على ذكر مذاهب العلماء في الأصل في النفس البشرية هل هو الشر أم الخير؟ فالمذهب الأول ذهب إلى أن الأصل في الإنسان الشر، والثاني ذهب إلى أن الأصل فيه الخير، بينما توسط الثالث، واعتبر الإنسان حياديا بين الخير والشر.

ثم بعد ذلك ذكر أقسام النفس، والتي قسمها العلماء في الغالب إلى ثلاثة أقسام، وهي: النفس الأمارة، والنفس اللوامة، والنفس المطمئنة. وعلى أساس هذا التقسيم انقسم البشر إلى ثلاثة أنواع: نوع أول هو كالشيطان يركد بكل شر وفساد، ونوع ثان كالحيوان ليس له هم إلا قضاء شهواته، ونوع ثالث كالملائكة يعبدون الله، ويطيعونه. وكان من بين ما ختم به المؤلف هذا الفصل الحديث عن نظرة الإسلام للنفس الإنسانية، وهي نظرة تقر بأن حقيقة التوحيد مركوزة في الفطرة الإنسانية، يخرج بها كل مولود إلى الوجود، فلا يميل عنها إلا أن يفسد فطرته عامل خارجي عنها، عامل يستغل الاستعداد البشري للهدى والضلال. بمعنى أن النفس بفطرتها إذا تركت كانت مقرة لله بالألوهية، محبة له، تعبده لا تشرك به شيئا، ولكن يفسدها ما يزين لها شياطين الإنس والجن بما يوحي بعضهم إلى بعض من الباطل.

وأما الفصل الرابع، فقد أفرده المؤلف للحديث عن أقسام علم النفس، والتي ذكر منها: علم النفس السريري، وعلم النفس المعرفي، وعلم النفس التنموي، وعلم النفس التطوري، وعلم النفس الشرعي، وعلم النفس الصحي وعلم النفس العصبي، وعلم النفس المهني، وعلم النفس الاجتماعي. ثم أتبع أنواع علم النفس هاته بمناقشة مسألة علم النفس الإسلامي، هل هو أصل أن فرع؟ بالإضافة إلى مناقشة قضايا أخرى، كالمباني المنهجية، ومعايير التفسير النفسي للدين، والنماذج التفسيرية للديانة، والتدين كعملية متعددة الأبعاد، والتدين ونظامه التحفيزي. وختم المؤلف هذا الفصل بذكر مصادر المعرفة، والمتمثلة أساسا في الوحي، والفطرة، والعقل، والتجربة، والحس.

وفي الفصل الخامس، تحدث المؤلف عن الشخصية، بدءا بتعريفها على أنها الأنماط المميزة للأفكار والمشاعر والسلوكيات التي تجعل الشخص فريدا، ومرورا بذكر نظريات دراستها، كالنظرية الطبيعية، والنظرية المورفولوجية، والنظرية الاجتماعية، والنظرية التحليلية... وكذا بذكر الاتجاهات الحديثة في دراساتها. وانتهاء بالحديث عن العوامل المؤثرة فيها وفي تكوينها، كالوراثة، والبيئة، والوضع الاقتصادي، والعامل الجسدي، والعامل العقلي، والعامل النفسي.

وأما الفصل السادس، فقد خصصه المؤلف لذكر شبهات أثيرت حول علم النفس الإسلامي ومحاولته الإجابة عليها. فبعد أن أكد الدكتور على أن علم النفس ليس بدعة جديدة في الدين أو الحياة، ذكر أوجه الاعتراضات على فكرة علم النفس الإسلامي والشبهات التي تثار حوله؛ منها ما هو متهافت وعبارة عن ترهات لا تقوى في معرض النقاش العلمي، ومنها ما هو تعبير عن العداء للدين الإسلامي وأفكاره، ومنها ما هو محاولة لحماية الدين مما يظن أنه من العبث بأحكامه وأصوله، ومنها ما هو محاولة لحماية علم النفس من إقحام الدين فيه. وقد عمل المؤلف على الرد على هذه الشبهات والإجابة على هذه الاعتراضات التي وجهت إلى علم النفس الإسلامي.

ثالثا: نقط القوة في الكتاب.

أ- كون كاتبه من أهل الاختصاص: إن المطلع على السيرة العلمية للمؤلف الدكتور محمد محمود مصطفى يجده أهلا للكتابة في هذا المجال، أي مجال علم النفس الإسلامي؛ لأنه من أهل الاختصاص الممارسين لعلم النفس والذين خبروه من خلال تجربتهم الطويلة في هذا المجال، فقد عمل لعدة عقود على الممارسة العلمية لعلم النفس العلاجي والسلوكي والتحليلي، بل أكثر من ذلك ألف في بعض فروعه، كبحث "الصلابة النفسية

وعلاج الهشاشة النفسية"، و"اضطراب الشخصية المزورة" في علم النفس العلاجي، و"بدونك سأموت" في التعامل مع الشخصية النرجسية، و"أسرتي أولا"، و"ترجمة الصمت"، و"زواج مع وقف التنفيذ" في الإرشاد الزوجي، و"الزلزال الناعم" في الإرشاد النفسي، وغيرها من الدراسات والأبحاث النفسية.

ب - **كون كاتبه جمع بين علمي النفس والشريعة:** وهذا من الشروط التي يقتضيها البحث والتأليف والتخصص في هذا علم، وقد اشترط المؤلف في بداية كتابه هذين الأمرين، واعتبرهما أمرين أساسيين للباحث والمتخصص في علم النفس الإسلامي، إذ بهما يحقق الغاية والهدف منه من جانبي التأصيل النظري والتطبيق العملي.

الأمر الأول: التمكن من العلوم الشرعية، وذلك بالتمكن من أصولها الأساسية من قرآن وسنة وقياس وإجماع وغير ذلك من الأدلة المعتبرة شرعا، بالإضافة إلى التمكن من أوجه الاستنباط والاستدلال، ومفاهيم الأدلة، ومقاصد الشريعة، والأحكام الفقهية المتعلقة بمكونات المجتمع على المستوى الفردي والجماعي.
والأمر الثاني: التمكن من العلوم النفسية وكذا الفلسفة وعلم الاجتماع والتاريخ، وخصوصا علم النفس الحديث والعام بمختلف فروعه وتخصصاتها التي تعد بالعشرات، مع إتقان نظرياته وحقائقه، وخاصة التي لا تتعارض ومبادئ الشريعة ومقاصدها.

ج - **اعتراف المؤلف بصحة بعض نظريات وحقائق علم النفس الغربي:** إن الناظر في كتاب "المدخل إلى علم النفس الإسلامي" يجد أن مؤلفه الدكتور محمد محمود مصطفى لا ينكر فضل بعض الدراسات الغربية في مجال علم النفس، والتي لا تخالف الشريعة الإسلامية؛ ولهذا كان مما اشترطه على الباحث والمتخصص في علم النفس الإسلامي إتقان نظريات علم النفس الحديث والحقائق الثابتة منها، والتي يقرها الإسلام ويقبلها وفق منهج التجربة والملاحظة وغيرها من مناهج البحث. وهذا عين الصوب والحق؛ لأن علم النفس الحديث ينقسم باعتبار مخالفته لمقاصد الشريعة وموافقته لها إلى قسمين:

-قسم مخالف لمقاصد الشريعة الإسلامية ومناقض لها، ويمثل ذلك الجانب الفلسفي منه، أي: الجانب غير العلمي، وهو الجانب الثقافي الذي هو نتاج البيئة الغربية، وهي بيئة علمانية تنظر إلى الإنسان نظرة عِلمانية مادية، مغيبة كليا الجانب الروحي من الطبيعة البشرية، وهي بذلك بيئة مخالفة للبيئة الإسلامية، فلا شك في تأثر علم النفس بثقافة بيئته الغربية؛ لأن علم النفس يتأثر أيما تأثر بالمجتمع الذي أنتجه، ومن

ثَمَّ، فعلم النفس المستورد من الغرب يعبر عن خصائص البيئة الغربية التي أنتجته، وهي خصائص غير موجودة في العالم الإسلامي .

-قسم يوافق مقاصد الشريعة الإسلامية ولا يخالفها في الغالب، ويمثل ذلك الجانب التجريبي منه، أي: القسم العلمي التطبيقي الذي أنتجته المختبرات، كعلم النفس الإحصائي وعلم النفس الوراثي وعلم النفس الفسيولوجي وعلم نفس النمو وعلم النفس التربوي والإدراك الحسي... ففروع علم النفس هاته فروع علمية بحتة، مقبولة لدى الجميع تقريبا، ويتفق فيها كثيرا المسلمون مع علم النفس الغربي.

د - الاستفادة من التجارب والدراسات السابقة في مجال علم النفس والدراسات النفسية: إن المتصفح لكتاب مدخل إلى علم النفس الإسلامي يجد مؤلفه قد استفاد من الدراسات السابقة في مجال علم النفس عامة وعلم النفس الإسلامي على وجه الخصوص. ومن هذه الدراسات ما يخص دراسات في علم النفس الإسلامي لعلماء من أهل الاختصاص حملوا هم تأسيس وتأصيل علم النفس الإسلامي، ككتاب "أزمة علماء النفس المسلمين" للدكتور مالك بدري، وكتاب "الحديث النبوي وعلم النفس" للدكتور عثمان نجاتي، و"محاضرات في علم النفس الإسلامي" للدكتور فؤاد أبو حطب، وكذلك ما كتبه الدكتور إبراهيم رجب وغيرهم. ومن هذه الدراسات كذلك ما يتعلق بعلم النفس الحديث سواء قام بها علماء مسلمون، ككتاب "مجالات علم النفس" للدكتور مصطفى فهمي، وكتاب "مقدمة لعلم النفس الاجتماعي" للدكتور مصطفى سويف. أو قام بها علماء غربيون، كالطبيب النفسي السويسري كارل جوستاف يونج، وعالمة الأنثروبولوجيا الأمريكية مارغريت ميد، وألكسيس كارل.

وحبذا لو أن الدكتور محمد محمود مصطفى أشار في كتابه هذا إلى دراسة أبي زيد البلخي (ت 322هـ)، الذي يعتبر من فرسان علم النفس الإسلامي أو مصالح الأنفس، وكتابه "مصالح الأبدان والأنفس" خير شاهد على ذلك، وقد وصفه الدكتور مالك بدري بالنفساني الذي سبق عصره بأكثر من عشرة قرون، نظرا لريادته في موضوع تدبير مصالح الأنفس؛ لأن المتخصص في الطب النفسي وعلم النفس السريري الحديثين - كما يقول الدكتور بدري - لا يكاد يصدق عينيه، وهي تتنقل بين صفحات هذا الكتاب المدهش، الذي يضم بين دفتيه أحدث ما توصل إليه علم النفس العلاجي المعاصر. ويضيف الدكتور بدري أنه لن يشك قارئ لفهرست هذا الكتاب على أنه لكتاب حديث في الصحة النفسية والعلاج النفسي، كما يؤكد على أن النفسانيين المسلمين لو قرأوا كتاب البلخي هذا بتدبر لكانوا هم الرواد للعلاج النفسي وللثورة المعرفية الحديثة في ميدان العلاج النفسي.

وأقترح على الدكتور محمد محمود مصطفى، لو تيسر له في طبعات أخرى للكتاب أن يشير إلى دراسة أبي زيد البلخي في تدبير الصحة النفسية، وخاصة في سياق حديث الدكتور عن العلاج المعرفي السلوكي، حين نص على أن هذا النوع من العلاج حاول أن يكتشف الصلة بين الأفكار والعواطف والسلوك، وحين ذكر كذلك على أن العلاج المعرفي السلوكي يهدف في النهاية إلى تعليم الناس مساعدة أنفسهم من خلال فهم طرقهم الحالية في التفكير والتصرف، ومن خلال تزويدهم بالأدوات اللازمة لتغيير أنماطهم المعرفية والسلوكية غير القادر على التكيف. فمثل هذا الكلام الذي ذكره الدكتور محمد وغيره من المعاصرين كآرون بيك الذي قال بأن العلاج المعرفي السلوكي يتألف: «بمعناه الواسع من كل المقاربات التي من شأنها أن تخفف الكرب النفسي، عن طريق تصحيح المفاهيم الذهنية الخاطئة والإشارات الذاتية المغلوطة» . وكذا قول بول دبويس: «إذا شئنا أن نغير العواطف؛ فمن الضروري قبل كل شيء أن نغير الفكرة التي أنتجتها، وأن نتبين أنها إما فكرة غير صحيحة في ذاتها أو أنها لا تمس شؤوننا ومصالحنا. «

فهذا الكلام الذي ورد عن المعاصرين حول العلاج المعرفي السلوكي أو الإدراكي، الذي ظهر في ستينيات القرن الماضي، وعرف انتشارا واسعا في السنوات الأخيرة، حيث أصبح النموذج السائد للعلاج النفسي في المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من الدول، هذا الكلام أشار إلى مضمونه أبا زيد البلخي في القرن الهجري الثالث في مناسبات عدة، منها وصفه للحيل التي يستعان بها من خارج النفس لدفع المخاوف وأحاديث النفس والوسواس، كقوله: «أن يعد لنفسه من خاصته بمن يثق لمودتهم له وشفقتهم عليه، فيجاربهم ما يجده في نفسه؛ ليعرفوه بطلان ما تحدثه به نفسه وتخيله إليه من الأفكار الرديئة» . وهذا من صميم العلاج السلوكي المعرفي، أي العلاج بكلام الغير، حيث يعتمد على تغيير الأفكار والمعتقدات وبيان خطئها وبطلانها .

كما اعتمد كثيرا على الكلام الذاتي، أي أن يكلم الإنسان نفسه بنفسه، ويحاول أن يقنعها بتغيير الأفكار السلبية وتصحيحها والتخلص من سيطرة الأفكار السلبية والخواطر الرديئة واستعاضتها بأفكار إيجابية ومشاعر جميلة، وهذا قد اعتمده كثيرا البلخي، وخاصة في مناسبة وصفه للحيل الداخلية التي يستعين بها الشخص لدفع الوساوس والمخاوف والأحزان والهموم، وهو أسلوب علاجي معرفي داخلي يحاول من خلاله الشخص ترويض نفسه بجملة من الأفكار؛ قصد دفع الحزن والغم والفزع عنه إذا ما اعتراه شيء منها .
وكثيرا ما جمع البلخي بين الأسلوبين معا، كما في وصفه للاحتيال لصرف الحزن المعروف السبب بقوله: «إنما يحتال لصرفه بحيلتين: إحداهما من خارج والأخرى من داخل. أما التي من خارج؛ فوعظ الواعظين، وتذكير

المذكرين (...) وأما التي من داخل فأبواب من الفكر يروض بها الإنسان نفسه، ويجعلها سلاحا، وعدة لصرف الغم والحزن عن نفسه إذا اعتراه شيء منها لفقد محبوب أو تعزز مطلوب» . فهنا اعتمد البلخي العلاج بالكلام الخارجي عن طريق الواعظين والمذكرين، والعلاج بالكلام الداخلي عن طريق الفكر وتوليد أفكار إيجابية داخلية تذهب عنه ما يعانيه من حزن وغم. فهذا الكتاب، أي مدخل إلى علم النفس الإسلامي سيزداد قوة وجمالا بمثل هذه الإشارات والإضافات التي تروم التأصيل لعلم النفس الإسلامي، سواء التي ذكرها أبو زيد البلخي أو غيره مما يحفظه لنا التراث من دراسات في هذا المجال.

خاتمة.

لقد قدم لنا الدكتور محمد محمود مصطفى عملا غاية في الأهمية حول علم النفس الإسلامي، ينضاف إلى جهود باقي العلماء الذين سبقوه في هذا المجال؛ فعمله هذا يشكل لبنة أساسية تسهم بدورها في بناء عمارة علم النفس الإسلامي. وقد تضمن هذا الكتاب جملة من الحقائق التي استند فيها المؤلف على النصوص الشرعية من جهة، وعلى خبرته الطويلة في ممارسة علم النفس من جهة أخرى، والتي تعد منطلقا للباحثين الذين جمعوا بين علمي الوحي والنفس للبناء عليها؛ قصد الاستمرار في إكمال هذا البناء الذي ينظره كل مسلم مهتم بالعلوم عامة وبعلم النفس خاصة.

مجلة بادر
المُحكّمة لعلم النفس الإسلامي

حوار

علم النفس الإسلامي وسؤال المفهوم والتاريخ

مع د. محمد محمود مصطفى

يحاوره: يوسف عكراش

y.aakrache@gmail.com

الملخص:

د. محمد محمود مصطفى يتناول في الحوار مفهوم علم النفس الإسلامي، موضحًا أنه يعتمد على مصادر معرفية متعددة، أهمها الوحي، الذي يميز بينه وبين العلوم النفسية الغربية. يشير إلى أن علم النفس الإسلامي له جذور تاريخية تعود إلى القرون الأولى من الإسلام، حيث اهتم العلماء بقضايا النفس والأخلاق. يتحدث عن التحديات التي تواجه قبول علم النفس الإسلامي في الأوساط الغربية، حيث يُعتبر الدين غالبًا غير ملائم للمناهج العلمية الحديثة. كما يسلط الضوء على أهمية الاستفادة من التراث الإسلامي في تطوير هذا العلم، مشددًا على ضرورة إعادة صياغته ليتناسب مع العصر الحالي.

يؤكد على أهمية الربط بين التاريخ والمعاصرة في دراسة علم النفس الإسلامي، ويشجع الباحثين على استكشاف المحطات التاريخية للاستفادة من إسهامات العلماء السابقين.

الكلمات المفتاحية: النفس- العلم- علم النفس الإسلامي- التراث-مصادر المعرفة-النظرية المعرفية.

Dialogue with Professor Dr. Mohamed Mahmoud Moustafa on Islamic Psychology and the Question of Concept and History

By Youssef Aakrach

y.aakrache@gmail.com

Summary

Dr. Mohamed Mahmoud Moustafa discusses the concept of Islamic psychology, emphasizing that it relies on multiple sources of knowledge, primarily revelation, which distinguishes it from Western psychological sciences. He notes that Islamic psychology has historical roots dating back to the early centuries of Islam, where scholars focused on issues related to the self and ethics.

He addresses the challenges facing the acceptance of Islamic psychology in Western circles, where religion is often deemed incompatible with modern scientific methodologies. He highlights the importance of leveraging Islamic heritage to develop this field, stressing the need for its reformation to align with contemporary needs.

He underscores the significance of connecting history with modernity in studying Islamic psychology, encouraging researchers to explore historical milestones to benefit from the contributions of past scholars.

Keywords: self - science - Islamic psychology - heritage - sources of knowledge - cognitive theory

بداية نرحب بكم حضرة الدكتور محمد محمود مصطفى ونشكره عبى قبول دعوة مجلة بادر الصادرة عن كلية علم النفس الإسلامي لإجراء هذا الحوار العلمي الذي يناقش قضية مركزية في المشهد العلمي الراهن، ولطالما أثير حولها نقاش واسع، ألا وهي علمية علم النفس الإسلامي، ونظرا لكِبر الموضوع فإن هذا الحوار باعتباره الحلقة الأولى لسلسلة حوارات في ذات الطرح، سيرتكز بالأساس حول ماهية علم النفس الإسلامي وتاريخه.

السؤال 1: يعد ضبط مفهوم علم النفس الإسلامي مقدمة رئيسة لهذا الحوار العلمي، فما المفهوم الذي نجده عند فضيلتكم مع تعليقكم عليه في ظل ما زخرت به الساحة العلمية من مفاهيم عدة تباين واختلفت فيما بينها من معرف لآخر؟

قامت فكرة علم النفس الإسلامي على النظرية المعرفية الإسلامية التي تفيد في قواعدها الأولى وأسسها المبدئية أن هناك مصادر للمعرفه وطرقًا للتعامل مع هذه المعرفة ثم منتجًا أو منتجات لهذه المعرفة، فلما كانت علوم النفس الغربية قائمة على اعتبار أن طرق البحث فيها كطرق البحث في العلوم الطبيعية على اعتبار أنها ليست علومًا إنسانية بل علوم طبيعية كالكيمياء والفيزياء والرياضيات وأجروا عليها نفس القواعد العلمية والبحثية والأكاديمية، فاعتمدوا التجربة والحس والعقل كمصدر من مصادر المعرفة وهذا نقبله نحن في علم النفس الإسلامي في بعض الأوقات ما لم يخالف الشرع، لكن مع رفض التجربة الضارة والموهمة التي يمكن أن تؤثر سلبًا على الإنسان فتضعفه وتؤلمه كمسألة الإيهام بالغرق أو المنع من النوم أو الجلوس في غرف معزولة الصوت لفترات طويلة أو الحبس الانفرادي لفترات طويلة ، مع رصد وقياس ما يمكن أن يحدث أو يظهر من بعض التأثيرات على الإنسان لكن نحن في علم النفس الإسلامي نزيد على ذلك مصدر الوحي أو فكره الخبر المنقول؛ إذ أن الغرب لا يقبل في علوم النفس الإنسانية إلا ما أجريت عليه قواعد علوم الطبيعية مثل الفيزياء والكيمياء والرياضيات وهي قائمة على التجربة والعقل والافتراضات المسبقة وقائمة كذلك على الحس والمشاهدة، ونحن ليس لدينا مانع من اعتبار الحس والمشاهدة فهو طبيعي ومقبول، وكذلك التجارب التي أجريت وقضي أمرها واستقرت نتائجها دون الحاجة إلى إجراء تجارب أخرى على بني البشر فيؤدي هذا إلى الإضرار بهم، لكن الفرق الكبير بين علم النفس الإسلامي وعلم النفس الغربي أو علم النفس الشرقي أو غيرهما هو الوحي، هذا القران العظيم الذي أنزله الله جل جلاله على قلب نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، والسبب في ذلك أن الله جل جلاله هو الخالق الصانع هو المصور هو البارئ جل في علاه وهو الذي خلق، ومن خلق أدرى وأعرف بخلقه من غيره، فالعامة تقول

أن الصانع أدرى بصنعته وأعرف بها، ففي السيارات - ولله تعالى المثل الأعلى - لو أردت أن تجد مصلحًا لمشكلة في سيارة أو عيب فيها تذهب إلى المصدر الأساس تذهب إلى المصنّع الأول ليحل لك المشكله التي طرأت على سيارتك فكيف والله جل جلاله قد خلق الخلق، خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه، وهو أقرب إليه من حبل الوريد، وهو الذي خلقه فسواه فصوره في أعظم سورة واكرم هيئة وأخرجه من بطن أمه لا يعلم شيئًا وجعل له السمع والأبصار والأفئدة يعلم ما يصلحه وما يفسده، يعلم ما ينفعه وما يضره، وأعطاه المنهج الذي إن سار عليه فاز في الدارين، وأفلح في الحالتين وعاش قرير العين وانتقل بعد ذلك إلى رحمة الرحمن الرحيم، ولأن الغرب تخلص أو انسحب من المفهوم الديني وحصل الطلاق والفصام والخصام بين العلم وبين الكنيسة منذ العصور الوسطى، أما نحن في علم النفس الإسلامي خصوصًا وفي هلوم الإسلام عمومصا، لا ننفصل ولن ننفصل أبدًا عن المصدر الوحي العظيم من القرآن والسنة المباركة التي ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وبالتالي مفهوم علم النفس الإسلامي مفهوم مقبول للغاية، فمصادر المعرفة، هي المصادر المستقرة في أذهان المختصين من العقل والحواس والمشاهدة والتجربة وفق ضوابطها المعتمدة عندنا، لكن نفترق ونختلف، بل ونزيد على مصادر المعرفة أن نعتمد الوحي مصدرًا من مصادر المعرفة، بل أصلها ومصدرها الأساس، لا سيما فيما يصلح النفس وما يعالجها، وبالتالي أصبح مفهوم علم النفس الإسلامي مفهوم مقبول للغاية ومعتمد وإن رفضه الشرق والغرب لأن الشرق والغرب حين تخلص من سلطة الدين، إنما تخلص من السلطة الفاسدة المحرفة عنده، وحينها لم يجل في خاطره أنه سمكن أن يكون سلطة للدين صحيحة وواعية، وهي سلطة الإسلام، خاتمة الرسالات والقرآن الكريم وبالتالي هذا فرق كبير جدًا بين مفهوم علم النفس العام ومفهوم علم النفس الإسلامي.

السؤال 2: لا شك أن لهذا المفهوم جذور تاريخية تشهد عليه وأسهمت في تكوينه، فكيف نشأ وترعرع هذا الاصطلاح وجمع بين علم النفس والإسلام.

وفيما يخص هذا السؤال الجميل المتعلق بتاريخ علم النفس الإسلامي الحقيقه سيدفعني ذلك إلى أن أرحل بك إلى القرون الخيرية الأولى، فالدين كله دعوة إلى سلامة النفس وصحتها والتناغم ما بين الآخرة والدنيا وجودة العلاقات للإنسان، سواء بينه وبين نفسه، وبينه وبين الآخرين، وبينه وبين الله تعالى، قال عليه الصلاه والسلام:" اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن"

اتق الله حيثما كنت: هي علاقة بين الإنسان والقوه العظمى؛ بينه وبين خالقه.

وأتبع السيئة الحسنة تمحها: معاملة الإنسان لنفسه، بأن يدعوها إلى السمو والرقي، ومع القبول بفكرة أنه يمكن أن يخطئ، وبالتالي يزيد من الحسنات ليمحو اثر السيئات عن نفسه وعن حياته.

وخالق الناس بخلق حسن: هذه علاقة مع الآخرين، وهذه كلها قواعد الإرشاد النفسي والصحة النفسية، بل هي قواعد علم النفس العام في علاقة الإنسان بنفسه وبخالقه أي: بقوه عظمى بحسب مصطلحاتهم، وكذلك علاقته بالآخرين، و الكتب التي بدأت تصنف في القرون الخيرية الأولى من وكيع بن الجراح في الزهد وعبد الله من المبارك الزهد والرقائق، والزهد للإمام أحمد وغيرها من الكتب التي بدأت تؤلف في العصور الأولى، ولا يخفى أيضًا أن مصنفات الإسلام الكبرى من أصحاب الكتب الستة وغيرها كانت تحمل في ضمنها أبواب الزهد والرقائق وما له علاقة بالأخلاق، وجودة التعامل مع النفس في تفسير كلام الله عز وجل في الكلام عن النفس المطمئنة والنفس الأمارة بالسوء والنفس اللوامة ، فبالتالي التاريخ الإسلامي زاخر بالمصنفات المهتمة بالنفس وأحوالها، فيمكن القول أنه حيث بدأ الإسلام بدأ علم النفس بالمعنى العام ثم يمكن أن نذكر الخرائطي وابن مسكويه والراغب الأصفهاني والغزالي و ابن تيميه وابن القيم وابن رجب وابن الجوزي، وصولًا إلى الإمام الشوكاني رحمه الله عليه وغيره، وحتى عصرنا هذا إلى الأساتذة الرواد مالك بدري وعثماني نجاتي وعد الحميد السيد، وغيرهم كثير.

بالتالي تاريخ الإسلام زاخر، بل ممتلئ امتلاءً كبيرًا جدًا وليس قاصرصا على أبي علي البلخي الذي اكتشف الوسواس القهري، والرازي وابن سينا وابن رشد على ما يمكن أن يطرح بشأن تأثرهم بالفلسفات واضطرابهم في باب العقائد.

لكن في المجمل لدينا تاريخ زاخر وتراث عظيم جدًا مليء بالنظريات والمؤلفات والممارسات في التعامل مع النفس وتهذيبها وعلاج ما طرأ عليها من أعراض التعامل مع احتياجاتها ورغباتها ومكملاتها وارتقائها، وهذا أمر مشاهد ومعروف لكن أكثر الناس إما يغضون البصر عن هذا التاريخ لشيء في نفوسهم، وإما يجهلونه ويكسلون عن البحث عنه، ويرفضون الفكرة بالكلية .

السؤال 3: من خلال ما تفضلتم به هل لاصطلاح علم النفس الإسلامي علاقة بما هو متداول ومعهود من اصطلاحات في البيئة الغربية؟ وما أوجه التمايز والتو افق بين البيئة الإسلامية والغربية ذات المرجعيات المتعددة في بناء مرتكزات هذا المفهوم؟

فكرة أن هل الغرب سيقبل علم النفس الإسلامي أو لن يقبل، فالحقيقة هناك ضغوط كبيرة جدًا على كثير ممن يريدون ما يطلق عليه علم النفس الديني أو علم النفس الروحاني فغلبة اللوبي اليهودي المتسلط المسيطر على علوم النفس العام والأكاديميات الدولية مع ضغط الكنائس كذلك بأنواعها المختلفة، في إدخال مفاهيم انجيلية في الدراسة النفسية.

وأنا - كباحث وكعميد للكلية- بغيتي الحق، وهدفي الحق، فإذا وصلني أي حق لا ألتفت إلى قائله، ولا من مصدره، مادام هو الحق، فمن أعطاني منتجًا علميًا معرفيًا لا يتعارض مع ديني ولا القرآن الكريم ولا سنة النبي صلى الله عليه وسلم فسأقبله، وبعض المؤسسات الدولية وافقوا على علم نفس الديني كمحفز كوسيلة لجعل الإنسان يعيش أكثر هدوءًا واستقرارًا واتزانًا ، لكنهم يرفضون أن يكون الدين نفسه مصدرًا من مصادر علم النفس العام، فقط حفز الناس، اجعلهم بخير، اجعله يشعر بأنه إنسان أفضل لكن لا تدخل هذا الدين إلى قواعد علم النفس العام.

فكونه قبل علم النفس الروحاني أو علم النفس الديني لا يعني قبوله بعلم النفس الإسلامي وهذا من المزالق التي سقط فيها بعض الباحثين الإسلاميين أو الذين يحملون هذه النزعة الإسلامية فيظنون أن علم النفس الديني أو علم النفس الروحاني يعني علم النفس الإسلامي وهذا ليس بصحيح، بل هو يعني مغاير تمامًا للهدف من وجود علم النفس الإسلامي؛ فعلم النفس الإسلامي يؤمن بمصدرية الشريعة لعلم النفس مع غيرها من المصادر الأخرى التي يمكن أن يتم تنقيتها وتصفيتها مما علق بها من بعض الأخطاء سواء الأكاديمية المعرفية أو الإجرائية المتعلقة بالتعامل مع النفس سواء على وجه العموم أو على الانفراد.

وبالإشارة إلى سؤال متى بدأ المصطلح، يعني مصطلح علم النفس الإسلامي فمنذ ثمانينيات القرن الماضي في وجود رواد علم النفس الإسلامي مثل البروفيسور مالك بدري وعثمان نجاتي و عبد الحميد السيد رحمهم وغيرهم ممن كان معهم ومنذ عقدهم بعض المؤتمرات وطلبوا أسلمة المعرفة، وهذا مبحث طويل ومتداخل ومتشعب، والاتفاق على مصطلحاته لم يستقر إلى الآن وللأسف الشديد، فبعضهم يقول بأسلمة المعرفة، وبعضهم يقول المعرفة الإسلامية.

أسلمة المعرفه تعني أن نمارس النقد الشرعي لكل العلوم الغربية والشرقية، توضع هذه العلوم والمخرجات الأكاديمية تحت مجهر الشريعة فما قبلته الشريعة قبلناه من هذه العلوم، وما رفض يعني رفضته الشريعة وتصادم مع الشريعة رددناه ، والمصطلح في حد ذاته بهذا الاعتبار لا إشكال فيه إلا أنه يعطل - فيما أرى -

قدرة الباحثين الإسلاميين على الاستنباط والاستمداد والانتفاع بهذا المعين العظيم من القرآن والسنة لاستخراج منه ما يصلح في عالمنا العربي والإسلامي بما نحمله من قيم وأفكار وقناعات ومبادئ وطرق للحياة، بل ويصلح للإنسان من كل حدب وصوب، فهو منهج من خلق السموات والأرض والإنسان نفسه، وقد تصادم الغرب نفسه مع هذه واقع سيطرة الأمريكان على معايير علم النفس، منذ عقود وأوربا تصرخ لماذا يسيطر الأمريكان على علم النفس؟ لماذا هم الذين يحددون كل شيء في الصواب والخطأ والمرض والسواء وغير ذلك؟ فهل يحق للغربي أن يعترض على الغربي، ولا يحل للمسلم المتمكن من العلم والبحث الأكاديمي؟! فهل هو علم النفس الإسلامي أو هو علم نفس الغربي الذي تمت أسلمته؟ والجواب – عندنا- لا مانع من كليهما والأول الأصل والثاني الفرع.

فبعضهم يرى أسلمة المعرفه مع مزيد من الإبداع والابتكار من مصادر الشريعة، وبعضهم يرى أنه لابد من العمل على محورين؛ محور أسلمة وتنقية ما يأتي من العلوم الغربية والشرقية لكن لابد للباحثين المسلمين من الإبداع والابتكار من الأصول الشرعية بالكتاب والسنة والإجماع والقياس وغيرها من أدلة الشرع المعتبرة، واستخراج ما يصلح أن يكون نظريات معرفية متعلقة بعلوم النفس العامة والخاصة مثل علم نفس النمو والتربوي والمراهقين والموهوبين والمتأخرين ووصولا إلى علم نفس الجريمة والتعامل مع المسنين والإرشاد في الزواج، فالاقتصار على الأسلمة دون الاستمداد والاستنباط والابتكار قد يضيع على المسلمين رصيدًا كبيرًا من المعرفة التي يمكن أن يتم تحويلها إلى تقنيات وممارسات نافعة جدًا في علم النفس الإسلامي بكل فروعه، وبالتالي نحن نصر في كلية علم النفس الإسلامي على أن نحدد هذا المفهوم لطلابنا بحيث لا يحصل الخلاف في المنتج؛ لأنه إذا اتفقت الأصول فغالبًا لن يختلف الناس في الإجراء المعمول به للوصول إلى النتائج المرجوة، ونحن نرجو أن تكون كلية علم نفس الإسلامي هي الباب الذي يدخل منه الباحثون لتأصيل وضبط المصطلحات قبل الشروع في حصد النتائج والمخرجات.

السؤال 4: لا شك أن الجانب التاريخ للعلوم له أهمية كبرى في معرفة مسار العلم، فكيف ترون الو اقع التاريخي لعلم النفس الإسلامي؟

فيما يخص السؤال الرابع المتعلق بالسياق التاريخي لعلم النفس الإسلامي فالحقيقة كما سبق وذكرنا أن العلم موجود منذ القرون الخيرية الأولى حيث ألف وكتب وصنف أئمة الإسلام والمسلمين في قضايا النفس والأخلاق والفلسفة وقواعد المعرفة وآداب العلوم والارتقاء في مقامات العبودية وغير ذلك بل وكتب كثيرون في وصف الشخصية ووصف الحالة النفسية ووصف المزاج والاعتلال وغير ذلك من المؤلفات، إلا أنه

كمصطلح علم النفس الإسلامي لم يكن معروفًا في القرون الأولى ولا في التاريخ أو في الميراث الإسلامي إلا أنه يمكن القول بأنه في آخر 40 سنة بدأ الكلام عن مصطلح علم النفس الإسلامي، فالعلم قديم متجذر لكنه جديد في مصطلحه عميق في تأصيله متأثر بميراث المسلمين في القرون الأولى وما بعدها إلى الآن إلا أن الكتابة والتأليف وفق المعايير الجديدة أو الحديثة في العلم له ثلاثة أو أربعة عقود حيث بدأ العلماء والباحثون في الكلام عن علم النفس والقرآن، علم النفس والسنة ، أزمات علماء النفس المسلمين من الانبهار بالغرب ثم التماهي ثم النقد للنظرات الغربية، مع محاولات ابتكار واكتشاف نظريات وقواعد وأسس للتعامل مع النفس الإنسانية في كل فروع علم النفس عن طريق الاستمداد والاستنباط من مصادر القرآن الكريم والسنة النبوية، فهذا يعتبر حادث من جهه الزمن أما من جهه طرق الموضوع وطرحه والكتابة فيه فهذا قديم جدًا بقدم الإسلام لأنه لا يخفى عليكم أن من أصول علم النفس العام تحقيق الإنسان معنى التوازن والراحة النفسية والهدوء والثبات الانفعالي والاتزان النفسي وذاك مطلب شرعي إذ كان عليه الصلاة والسلام يستعيذ من الهم والحزن وغيره من المكدرات والمنغصات.

السؤال5: بعد ذكركم للو اقع التاريخي لعلم النفس الإسلامي، لا شك أن هذا الو اقع شهد إسهامات نوعية بنيت عليها معالم هذا الفن وقضايا، فما هي أبرز المحطات أو إسهامات علماء المسلمين في خدمة علم النفس الإسلامي؟

يعني فيما يخص السؤال الخامس وهو سؤال يعني عظيم جدًا لكن لا تمكن الإجابة عليه في سطور قليلة أو في دقائق ونحن جالسون هذه الاسهامات كبيره يعني منذ الأئمة وكيع ابن الجراح وعبد الله بن المبارك والإمام أحمد وقبلهم ؛ إذ كان هذا التأليف كان له علاقه بعصره، يعني في سياقاته في ألفاظه في مصطلحاته في نقله عمن قبله، فكل هذا السياق التاريخي الاجتماعي والثقافي والتربوي، وبالتالي لا يمكن الجزم بأن هناك محطات تؤدي إلى علم النفس الإسلامي بمصطلحه الحادث أو بتحرير أصول هذا العلم وقواعده بلغه العصر الحديثة كما لا يخفى عليكم، لكن المحطات كبرى اذا بدانا بالسياق الأخلاقي والتربوي واسياقات الزهد و الارتقاء في مقامات العبودية.

فمنذ العهد الأول كانت محطات كبرى وأرست كثيرًا من المعاني كالتفريق مثلًا بين الرغبات والاحتياجات، وكالتفريق بين أنواع المزاج الموجودة في دماغ الإنسان المستقى أصلًا من الفلسفة القديمة اليونانية، وقد تكلم فيها أئمة كبار في الطب وفي علوم النفس وفي تحرير مصطلح المرض النفسي أو المرض العقلي ولا يخفى عليكم أن في بغداد أنشئت أول مورستان أو مستشفى في العالم لعلاج الاضطرابات النفسية أو الاضطرابات

العقلية، وقد ظهرت دراسات جادة وقوية في الاستقصاء والتحليل لمدارس متعددة كمدرسة الإمام الغزالي رحمه الله والإمام ابن القيم رحمه الله و الإمام ابن تيميه رحمه الله ومن قبلهم ابن مسكويه رحمه الله.

ومدرسة الرعيل الأول في القرون الخيرية الثلاثة الأولى كان يجمعهم جامع كبير قبل ترجمة الفلسفه وقبل دخولها على خط الثقافه الإسلامية ففي المرحلة الأولى كان السياق واحدًا وواضحًا في الاستنباط والاستبداد من المعين العظيم، في النقل عن القرآن وعن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين، لكن هذه المحطات ينبغي أن يرصدها الباحثون ليضعوا منهجية لرصد هذا السياق التاريخي وقد حاولت بعض الجهات تأليف أو جمع المؤلفات عن علم النفس الإسلامي في التراث وكان منها علم النفس في التراث الإسلامي الصادر عن المعهد العالمي للفكر الإسلامي في ثلاثة مجلدات رصدوا فيها جميع - فيما يبدو لهم - جميع المؤلفات التي كتبت في علم النفس مرتبة حسب المؤلفين مع نبذة عن كل تأليف وما هي الفائدة التي ستعود على الناس ومشابهة ذلك بالنظريات الحديثة في علم النفس.

السؤال6: لا شك أن هذه الإسهامات إرث عظيم لا ينبغي الاستغناء عليه، فكيف يمكن الاستفادة من نتاج علماء الإسلام عبر التاريخ في خدمة علم النفس الإسلامي وتطويره ؟

الحقيقه هذا السؤال السادس سؤال في غايه الأهمية فهو خلاصة الرصد لما يمكن أن يكون عليه علم النفس الإسلامي في العصر الحديث؛ إذ لا يخفى عليكم أن العلوم لها تاريخها ولها سياق ، فعزل المجتمع الإسلامي والعربي عن تاريخه ومحاوله إلحاقه بالنظريات الغربية أو الشرقية جريمة، فكأنك تنزع نبتة من أرض وتذهب تزرعها في أرض أخرى، وهذه الأرض الأخرى لا تصلح لها لا في بيئتها ولا في تربتها ولا في هوائها ولا في شمسها ولا في نوع الماء الذي تروى بها فأنى لك أن تزرع مسلمًا في قيمه ومبادئه وأفكاره ودينه ثم تطالبه بأن يطبق مقاييس ومعايير أخرى لمعاني النفس الإنسانية ولمعاني الراحة والطمأنينة والهدوء والسعادة والأأس والمرض والاضطراب والخلل والألم والأسف .

ونحن نطالب الباحثين في الكليه بمزيد النظر والالتفات إلى هذا السياق التاريخي لاستكشاف المحطات الدقيقة لأن المحطات العامة واضحة ومعروفة ومرصودة لكن مع استكشاف المحطات الدقيقه سندرك حجم الإنجاز الضخم الذي أخرجه الأوائل وما زال الاستخراج لهذه العلوم النفسية مستمرًا في كتابات ومؤلفات الذين استمدوا من الماضي وعرفوا الحاضر واستشرفوا المستقبل ويتعاملون من هذا المنطلق وهذا قائم في كلية علم النفس الإسلامي.

نحن نحتاج إلى الأشخاص الذين يحسنون التعاطي مع هذا الإرث الكبير من المؤلفات والنظريات والممارسات والتقنيات مع محاولة إعادة صياغته بحيث يصبح مفهومًا مقروءًا مطروقًا من المثقف المسلم العربي في القرون التي نعيشها الآن ويبنى عليها فتشرح للناس أولًا، ويعرف المجتمع الثقافي والعلمي الأكاديمي بنتاج هؤلاء ثم يبنى عليهم بحيث تصبح سلسلة مكتملة يبنى عليها ويستقى منها ويستنبط منها ويستدل بها ويستمر في قطار نهضتها الذي بدأ منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ولم يزل العلم يقبل التطوير والانفتاح والنقد والتعديل والتصحيح فهي سنة الحياة، أن يبنى على هذا الإرث العلمي الكبير والضخم لكن بعد شرحه وتفسيره المجتمع الأكاديمي ويثبت لهم أن المسلمين لهم نظرات عن الوسواس القهري كما عند أبي علي البلخي، ولهم نظرات عن الاضطراب النفسي والعقلي كما عند أبي بكر الرازي، ولهم نظرات عندنا عن ارتقاء النفس كما عند ابن القيم ولهم نظرات عن العلاقات الإنسانية والاجتماعية كما يسقى من الكتاب والسنة في العلاقات الزواجية و الأسرية وحقوق الأفراد ، ولهم نظرات في مقاصد الشريعة والحياة التي ينبغي أن تكون هي مقاصد علم النفس كذلك من الحماية للأرواح والأعراض وللعقل وللدين وللمال، وما ينبغي أن تبنى العلاجات ولا النظريات إلا على حماية هذه المقاصد الخمسة الكبرى، وبالتالي عزل علم النفس الحالي عن تاريخ علم النفس جريمة كبرى لأن العلم النفس الغربي لم يعزل نفسه لا عن فرويد مؤسس علم النفس الحديث، ولا عن قدمائهم الكبار في اليونان وغيرهم.
هم اعتمدوا على مصادرهم ولم ينفصلوا عن نظرياتهم وأفكارهم وطوروا عليها فهم لم ينفصلوا عن تاريخهم ولا عن أسلافهم، ونحن أولى بهذا، فنحن لن ننفصل كذلك عن تاريخ علومنا ومعارفنا.

والبحث مستمر منذ القرون الأولى من الإسلام إلى الآن في صلاح النفس وارتقائه في الدنيا والدين، فنحن نطالب بفهم ميراث الأمة ثم إعادة صياغته ليصبح واضحًا ويوضع على طاولة البحث الأكاديمي فيتم نقده إن جاز التعبير ، ويتم الاستمداد منه والانتفاع به ثم المضي قدمًا في قطار علم النفس الإسلامي ليتناسب مع العصر الذي نعيشه وهو يستمد من ابحاث السلف والأئمة و ينطلق باحثًا عن آفاق جديدة لتحقيق الثبات النفسي والاتزان الانفعالي ووضع النظريات النافعة في علم نفس التربوي و النمو وغيرهما من فروع علم النفس الكثيرة والله اعلم وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد واهلا وسهلا بكم

ملحوظة: لفضيلة الدكتور المحاوَر كامل الصلاحية في ضبط بعض الأسئلة أو تعديها أو استبدلها أو حذفها إذا لزم الأمر... مع وفر الشكر والتقدير.

مجلة بادر

المُحكّمة لعلم النفس الإسلامي

PADİR

İslami Psikoloji Hakemli Dergisi

ISLAMIC PSYCHOLOGY COLLEGE

العدد الرابع – سبتمبر 2024

Issue 4 – September 2024

مجلة فصلية محكمة – تصدر عن كلية علم النفس الإسلامي

ISSN : 3023-6231